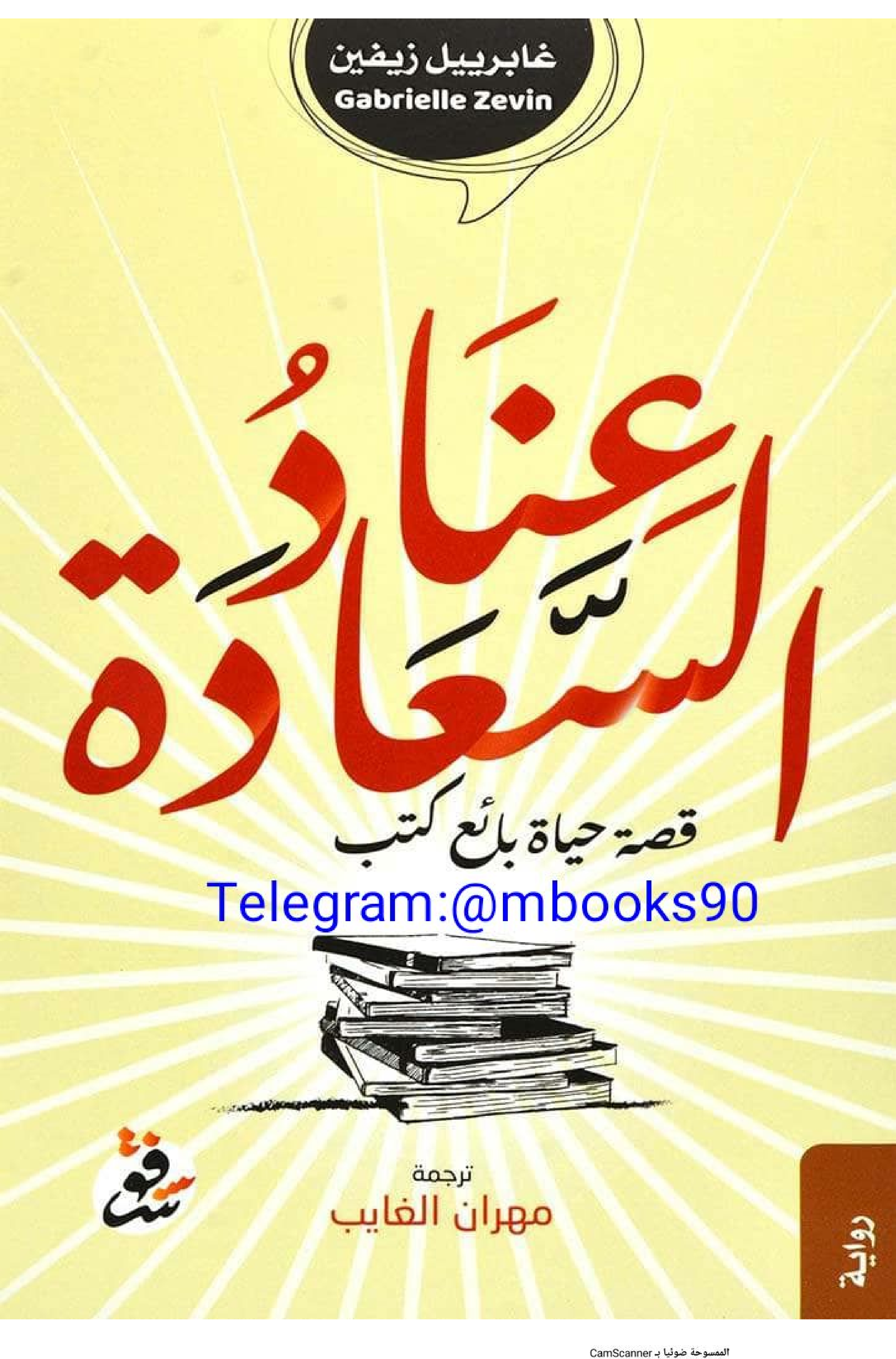
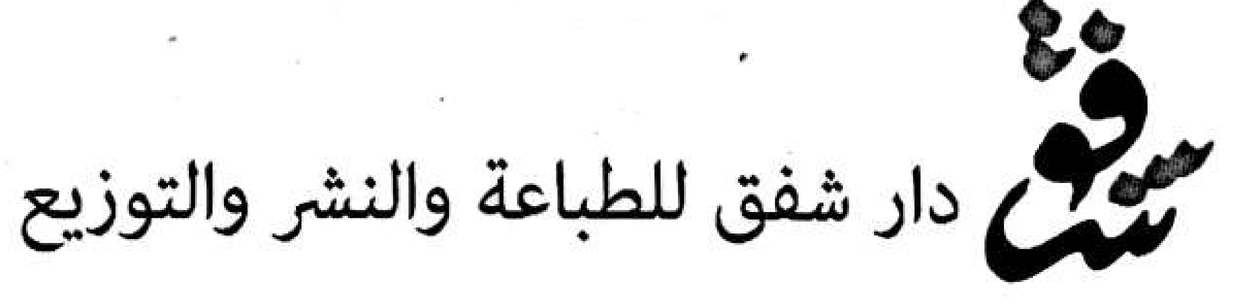

غابرييل زيفين
Gabrielle Zevin
عناد السعادة
قصة حياة بائع كتب
Telegram:@mbooks90
ترجمة
مهران الغايب
رواية

غابرييل زيفين

عِنَادُ السَعادة

قصة حياة بائع كتب

رواية





هذا الكتاب مشارك في مبادرة حروف من نور ، وهي مبادرة تطوعية ثقافية طويلة المدى، من مبادرات مركز العلمية الوطنية للاستشارات والتدريب (الكويت) لخدمة المجتمع بشراكات استراتيجية مع عدة جهات داخل وخارج دولة الكويت.

تعمل المبادرة على توفير الكتب بصيغة إلكترونية ومطبوعة على طريقة "بريل" لفئة القراء المكفوفين العرب بالمجان، وتوفيرها لهم عبر منافذ متعددة.

www.hurouf.org

الجزء الأول

حَمَلٌ على المذبح

روالد دال / 1953

أَقْدمتْ زوجة على قتل زوجها بوساطة نخذ ضأن مُجمَّدة، ثم تخلّصت من أداة الجريمة بتقديمها على مأدبة لرجال الشرطة.

كان سبْك روالد دال متينًا إلى حد مقبول، لكن لامبياز كان يتساءل إنْ كانت ربّة المنزل محترفةً لدرجة أنّه بإمكانها طهي نخذ من لحم الضأن بالطريقة المعتادة، وبعناية، أي من دون إذابة، أو استخدام للتوابل، أو المَرَق. ألا ينتج عن هذا لحمٌ قاسٍ ونيِّئ؟ إنّ عمله ليس الطبخ، بل العمل الجنائي، ولكن إنْ ناقشتَ هذه التفاصيل، فستبدأ القصة بأكملها بالتجلّي.

وعلى الرغم من هذه الضبابيّة، إلا أنه يبقى إنجازًا بسبب فتاة أعرفها كانت قد أحبّت رواية (جيمس والخوخة العملاقة) ذات يوم.

فكري.

على متن عبّارة من «هيانيس» إلى جزيرة «أليس»، كانت إميليا لومان تزيّن أظافرها وتلونها باللون الأصفر، وبينما كانت تنتظر

أظافرها لتجفَّ، اطَّلعت على تقارير مَنْ تشغل منصبه الآن؛ ألا وهو هارفي رودس، وقد ذكر فيها: "آيلاند بوكس تحصد قيمة مبيعات سنويّة نحو ثلاثمئة وخمسين ألف دولار، وذلك في أشهر الصيف حين تبدأ إجازات الناس، فيكون للصيف في آيلاند بوكس النصيب الأكبر من المبيعات. إنَّ مساحة المتجر سمئة متر مربع، أمّا موظفوه فدوامهم جزئي باستثناء المالك، وثمَّة قسم خاص بالأطفال الصغار. خدمات الإنترنت تكاد تكون معدومة، وكذلك وسائل التوعية المجتمعية، أمّا عن المخزون الأدبي فتثبته قوائم الجرد، وهو أمر إيجابي بالنسبة لنا، غير أنَّ (فِكري) من دون (نِيك) لا يمكن الاعتماد عليه في البيع بسبب ذائقته المحدودة. لكن لحسن حظه؛ إنَّ هذا المتجر هو المتجر الوحيد لبيع الكتب في تلك المدينة". تثاءبت إميليا، وكانت تعاني من آثار وعكة طفيفة، ثم تساءلت: {أتستحق إحدى المكتبات الصغيرة والمهتمة بأدق التفاصيل مثل هذه الرحلة الطويلة؟}. وفي الوقت الذي جفّت فيه أظافرها، تجلّت إطلالتها المُتألقة، وقالت: {بالطبع، يستحق الأمر هذا العناء كله!}.

كان اختصاصها متاجر الكتب الصغيرة ذات التفاصيل الدقيقة، وطبيعة المهووسين القائمين عليها، وكانت متعددة المواهب؛ إذ تستطيع انتقاء النبيذ المناسب في العشاء، ولديها مهارة التنسيق، والاعتناء بالأصدقاء الثمالى، والنباتات المنزلية، والأشخاص الهائمين، وغيرها من القضايا الميؤوس منها.

ما إن نزلتْ من العبَّارة حتى رنَّ هاتفها. كان رقمًا غريبًا، إذ لم يعد أي من أصدقائها يستخدم هاتفه كوسيلة للاتصال، ومع ذلك

بدت سعيدة بهذا الاتصال، ولا تريد أن تكون من الأشخاص الذين يعتقدون أن الأخبار السارة حكر على جهات الاتصال المتوقعة، ومن المتصلين الذين تعرفهم فحسب.

بدا أن المتصل «بويد فلاناغان»، ذاك الذي فشل بترتيب موعد معها عبر الإنترنت للمرّة الثالثة، والذي اصطحبها إلى السيرك قبل ما يقرب من ستة أشهر.

سألها: "حاولتُ إرسال رسالة إليك قبل بضعة أسابيع. هل وصلتكِ؟".

أخبرتْهُ أنّها غيّرتْ وظيفتها مؤخّرًا، ووسائل الاتصال لديها مُعطّلة، وأردفت: "كما أنني أعدتُ النظر في مسألة المواعدة عبر الإنترنت بأكملها، ورأيت أن هذا الأمر لا يناسبني".

يبدو أنّ «بويد» لم يسمع الجزء الأخير، فسألها: "هل تودّين الخروج معي مجدّدًا؟".

أَظهرتْ فكرة السيرك المبتكرة حقيقة أنّه ما من شيءٍ مشترك بينهما، وتجلّت هذه الحقيقة بوضوح بعد تناول العشاء. ربما كان من المفترض أن يشعرا بعجزهما عن الاقتراب حين لم يتوصّلا إلى وفاق في الرأي بشأن المقبلات، أو حين اعترف في أثناء الطبق الرئيس أنه لا يحب (الأشياء القديمة)؛ كالتحف، والمنازل، والكلاب، والأشخاص. ومع ذلك، لم تتيقّن إميليا إلا حين سألتْهُ عن الكتاب الذي ترك الأثر الأكبر في حياته لحظة تقديم الحلوى، فأجاب:

أجابته رافضةً بلطف، وأنها تفضل عدم الخروج مرّة أخرى.

تمكّنتْ من سماع نَفَس «بويد» المرتعش وغير المنتظم، وبدت قلقة من أنه ربما يبكي، فسألته: "هل أنت على ما يرام؟".

أجابها: "لا تُشفقي عليّ".

أدركت إميليا أنه يجب أن تغلق هاتفها، لكنها لم تفعل، لأن جزءًا منها تواقٍ للقصة. ما الفائدة من المواعيد السيئة إن لم تحصل منها على حكايا مسليّة لأصدقائك؟

سألته مستفسرةً: "عفوًا؟".

أجابها: "ستلاحظين أنني لم أتصل بك على الفور يا إميليا، لأنني قابلت شخصًا أفضل، وعندما لم يؤتِ الأمرُ أكله، قررت منحكِ فرصة ثانية، لذا لا تفكري أنك الأفضل. أعترف بأنه لديك ابتسامة لافتة، بيد أنَّ أسنانك كبيرة جدًا، وكذلك مؤخرتك، وما عدتِ ابنة الخامسة والعشرين حتى لو كنتِ تشربين بتلك الطريقة. عليكِ ألّا تكوني متكبرة وألّا تجرحي مشاعر الآخرين". فأجهشت كاسرة الخواطر بالبكاء قائلة: "أنا آسفة. أنا آسفة حقًا. لا بأس يا بويد".

- "ما العيب فيَّ؟ أنا لستُ سيئًا للغاية، والسيرك كان مُسليًا، أليس كذلك؟".

- "لقد كنت رائعًا، وكذلك السيرك".

- "ولكن لا بد من وجود سبب لنفورك مني. كوني صريحة".

في هذا الصدد ثمة أسباب عدة لعدم إعجابها به، لذا، اختارت سببًا وسألته: "هل تتذكر عندما أخبرتكَ أنني أعمل في مجال النشر فقلتَ لي: إنك لست قارئًا نهمًا".

أنهى كلامه قائلًا: "أنتِ متكبِّرة".

"أعتقد أنني كذلك في بعض الأمور. اسمع يا بويد، لديَّ عمل الآن، وعليَّ الذهاب". أغلقت هاتفها.

لم تكن عابئة بمظهرها، ولن تلقي لرأي «بويد فلاناغان» بالًا، فهو لم يتحدث معها لوقت طويل، وكانت محض خيبة أمل جديدة بالنسبة له. وهي تعاني من خيبات أمل أيضًا!

مضى من عمر إميليا واحد وثلاثون عامًا، وأدركت أنه من المحتّم عليها مقابلة شخص ما الآن.

ولكن...

ترى إميليا في فضائها المتفائل أنه من الأفضل للمرء أن يبقى وحيدًا بدلًا من وجوده مع شخص لا يشاركه مشاعره واهتماماته. (هل هذا صحيح؟).

كانت والدتها تقول إنَّ الروايات أفسدت ذائقتها اتجاه الرجال في الواقع، لكن هذه الملاحظة كانت تزعج إميليا؛ فمفادها هو أنها لم تقرأ سوى الكتب ذات الأبطال الرومانسيين والكلاسيكيين.

كانت إميليا تهتم بقراءة الروايات الرومانسية من حين لآخر، غير أنَّ ذائقتها في القراءة أكثر تنوعًا من ذلك. علاوة على ذلك، كانت تعشق شخصية «هامبرت هامبرت»، غير أنّها في الواقع تدرك حقيقة عدم رغبتها به بوصفه شريك حياة، أو خليلًا، أو حتى أحد معارفها العابرين، كما أنها تحمل الشعور ذاته اتجاه «هولدن كولفيلد»، و«روكستر»، و«دارسي»(1).

• • •

كادت إميليا أن تتجاوز المنزل ذا الطراز الفيكتوري الأرجواني، لأن اليافطة المعلقة على مدخله كانت باهتة اللون.

آيلاند بوكس

منهل جزيرة أليس الحَضْرِي

للمحتوى الأدبي الجميل منذ عام 1999

لا يمكن للمرء أن ينْزَوِي عن العالم؛ فكل كتاب عالم بحدِّ ذاته

داخل المتجر، ثمّة مراهقة تراقب درج النقود في أثناء قراءتها

مجموعة قصصية جديدة لـ أليس مونرو(2). سألتها إميليا: "أوه، ما رأيك بهذه المجموعة؟". كانت إميليا مولعة بمجموعة مونرو القصصية، لكنها خارج أوقات عطلتها، قلّما يكون لديها وقت لقراءة الكتب غير المدرجة على قائمتها.

أجابت الفتاة إجابة حاسمة: "إنها مجموعة مدرسيّة".

عرّفت إميليا عن نفسها على أنّها مندوبة مبيعات من دار نايتلي للنشر، فأشارت المراهقة بشكل مبهم نحو الخلف، ومن دون أن ترفع نظرها عن الصفحة، قائلة: "فكري في مكتبه".

ارتصفت في الممر رزم كتب وطبعات معدّة للمراجعة دونما انتظام، فانتابت إميليا مشاعر اليأس المعتادة. لم تكن الحقيبة المدلّاة على كتفها تحتوي مخصصات فكري فحسب، بل العديد من الأشياء الإضافية، وتحوي قائمةً (كتالوج) مليئة بأسماء كتب أخرى عليها أن تروّج لها. لم تكن إميليا تبالغ مطلقًا بشأن الكتب المدرجة على قائمتها، ولم تقل يومًا إنها تحب كتابًا ما لم تكن تحبه. كانت تتمتع بقدرة فائقة في إيجاد ما هو إيجابي في أيّ كتاب، وإن تعذّر فالغلاف، وفي حال عدم تحقق ذلك فالمؤلف، أو موقع الويب الخاص به. وأحيانًا تحاكي نفسها متهكمة: {لهذا السبب يدفعون لي كثيرًا من الدولارات!}. كانت تجني سبعة وثلاثين ألف دولار سنويًّا، وتحصل على مكافآت إضافية لم يحصل عليها أي شخص قام بعملها منذ أمد بعيد.

بينما كانت إميليا متجهة إلى مكتب فكري المُغلق، علق كُمُّ سترتها

بأحد الرفوف المتراصة في المكتبة، فوقع ما يقرب من مئة كتاب على الأرض، وربما أكثر، ما أدّى إلى إحداث دويّ كبير. فُتح الباب، قلّب فكري بصره بين الخراب والفتاة الشقراء العملاقة المتسخة التي تحاول بشكل هستيري إعادة رصف الكتب.

"من أنتِ بحق الجحيم؟".

وبينما تحاول تكديس بعض المجلدات، انهار نصفها مجددًا، فأجابت: "إميليا لومان".

قال فكري آمرًا: "خَلِّي عنك، فترتيبك هذا عبث. ثمّة ترتيب خاص لهذه الأشياء، من فضلكِ اتركيها".

انتصبت إميليا، التي كانت أطول من فكري بأربع بوصات على الأقل، قائلة: "لدينا اجتماع".

"ليس لدينا اجتماع" ردَّ فكري.

أصرَّت إميليا بقولها: "بل لدينا اجتماع، لقد أرسلت لك عبر البريد الإلكتروني الأسبوع الماضي رسالة حول قائمة الشتاء، فقلتَ لي إنّه من المُستحسن أن آتي يوم الخميس أو بعد ظهر الجمعة، فأخبرتكَ أنني سآتي يوم الخميس". كان الحوار عبر البريد الإلكتروني مُقتضبًا، لكنها تعي أنه لم يكن محض خيال.

- "هل أنتِ المندوبة؟".

هزت إميليا رأسها بارتياح معربة عن موافقتها.

- "مندوبة لأيّ دار نشر؟".

- "نايتلي".

- قال فكري: "مندوب نايتلي هو «هارفي رودس»، وعندما أرسلت الأسبوع الماضي بريدًا إلكترونيًا، ظننت أنّك مساعدة «هارفي» أو شيئًا من هذا القبيل".

- "أنا بديلة هارفي".

- تنهّد فكري بعمق: "ما اسم الشركة التي يعمل فيها هارفي؟".

«هارفي» مات. وللحظة شعرت إميليا أنها أطلقت فكاهة سَمِجة تصف الحياة الآخرة بأنها نوع من الشركات، وكأنّ «هارفي» موظف فيها.

أجابت إميليا متجردةً من عواطفها: "لقد مات. ظننتُ أنك سمعتَ بذلك". معظم زبائنه علِموا بموته مؤخرًا، فـ «هارفي» كان من مندوبي المبيعات الأسطوريين. ثم أردفت: "نُشِرت له نعوة على موقع {أي بي أي} الإخباري، وربما نُشرت له نعوة أخرى في مجلة {الناشرون الأسبوعية}".

نزع نظارته السوداء السميكة واستغرق وقتًا طويلًا في مسح إطارها قائلًا: "أنا لا أتابع أخبار النشر كثيرًا".

وضعت إميليا يدها على ذراع فكري، وقالت: "أنا آسفة إن كانت هذه صدمة لك".

قال فكري: "وبماذا يهمني ذلك؟ إنني بالكاد أعرف الرجل، كنت أراه ثلاث مرات على مدار السنة، وهذا لا يكفي للقول إنه صديق. وفي كل مرة كنت أقابله فيها كان يحاول أن يبيعني شيئًا ما، فهذه ليست صداقة".

فهمت إميليا أن فكري بمزاج سيئ، وعليها أن تتقدم بطلب للعودة في يوم آخر لتحدّثه وتروّج لقائمة الشتاء، إلّا أنّها فكرت في رحلة الساعتين إلى «هيانيس»، والسفر بالقارب لمدة ثمانين دقيقة إلى «أليس»، ومواعيد انطلاق العبّارات الذي أصبح غير منتظم بعد شهر أكتوبر. فقالت: "بما أنني هنا الآن، هل تمانع أن نتصفح عناوين قائمة نايتلي الشتوية؟".

كان مكتب فكري عبارة عن حُجرة صغيرة بلا نوافذ، وما من لوحات معلقة على جدرانه، ولا صور عائلية على مكتبه، وليس فيه تُحَف، ولا مَخرج للطوارئ، ويحتوي على كتب ورفوف معدنية رخيصة أشبه برفوف المرآب، وخزانة لحفظ الملفات، وحاسوب مكتبي قديم. لم يقدم لها فكري ماء أو شرابًا، وهي على الرغم من شعورها بالعطش لم تطلب شيئًا. كل ما فعلته هو مسح كرسي مخصص للكتب لتجلس عليه.

أخذت إميليا تتكلّم عن قائمة الشتاء، إنها أصغر قائمة لهذا العام

من حيث الحجم والتوقعات، فعروضها الجديدة شحيحة، ولكنها مليئة بالكتب التي ليس للناشر فيها أدنى آمال تجارية. ومع ذلك كانت إميليا -غالباً- تفضل قوائم الشتاء الراكدة، والمهضوم حقها، وصاحبة النصيب الأضعف من الطلب والشراء. (وليس من المبالغة إن قلنا إنها تجد نفسها أشبه بقوائم الشتاء). أخيراً، توجهت إلى كتّابها المفضل، مذكرات رجل بلغ الثمانين من عمره، وقضى معظم حياته عازبًا، إذ تزوّج في سن الثامنة والسبعين، وما إن مضى عامان على زواجه، حتى توفيت زوجته بمرض السرطان عن عمر يناهز الثالثة والثمانين. وفقًا لسيرته الذاتية فقد عمل الكاتب مراسلاً في صحف عدّة في الغرب الأوسط، وكان أسلوبه بعيدًا عن الحزن، وهزليًا بإتقان. في القطار المتجه من نيويورك إلى بروفيدنس بكت إميليا بكاءً يتعذر كبحه، فقد كانت تعلم أن الكتّاب صغير، وأنْ وصفه ليس أكثر من محض عبارات مبتذلة، لكنها كانت على يقين بأن الآخرين سيحبونه إذا منحوه فرصة. وحسب تجربة إميليا، فإن معظم مشكلات الناس ستحل إنْ منحت المزيد من الفرص.

كانت إميليا في منتصف سردها لوصف كتّاب (المُزهر متأخرًا) عندما وضع فكري رأسه على مكتبه.

"هل من خطب ما؟" سألته إميليا.

"هذا الكتّاب لا يروق لي" أجاب.

قالت إميليا بعد أن وضعت المسوَّدة في يده: "جرّب الفصل الأول فقط، أنا أعلم أن الموضوع قد يكون مبتذلًا بإفراط، ولكن عندما

ترى الأسلوب الذي كُتِبَ به..."

- قاطعها قائلًا: "هذا لا يروق لي".

- "حسنًا. إذن، سأحدثك عن شيء آخر".

أخذ فكري نفسًا عميقًا، وقال: "تبدين شابة لطيفة بما يكفي، ولكن الفكرة... أنّ «هارفي» كان يعرف ما يروق لي، ويتحلّى بذائقتي نفسها".

لملمت إميليا أوراقها المتناثرة فوق مكتبه، وشعرت وكأنها شخصية في فيلم إباحي عندما قالت له: "أود أن تتاح لي فرصة التعرف إلى ذائقتك".

تمتم بصوت خافت: إنها تظن أن الأمر يبدو أشبه بكتاب «ما هو سبب وجودي؟»(3)، لكنها غير متأكدة.

أغلقت إميليا قائمة نايتلي قائلةً: "من فضلك سيد فِكري، أخبرني ما الذي تحبه؟".

كرّرها على مضض: "أحبه!"، وأردف: "ماذا لو أخبرتك بما لا أحبّه؟ لا أحب أدب ما بعد الحداثة، أو ما يتعلق بالخيال عن مستقبل العالم، وكذلك لا أحب الروايات التي تروي أحداث ما بعد الموت، أو روايات الشعوذة، كما أنني نادراً ما أستجيب للوسائل الصورية التي تدّعي الذكاء، أو الخطوط المتراكبة، أو للصور التي لا ينبغي أن تكون - أساسًا - حيلًا من أي نوع. كما أنني أجد الخيال

الأدبي حول المحرقة (الهولوكوست)، أو أي مأساة عالمية كبرى أخرى أشياء مقيتة، أفضل قسم القصص فقط من فضلك. ولا أحب نوع المزيج الأدبي المشابه للروايات البوليسية أو الخيال الأدبي، إذ يجب أن يكون الأدب أدبًا، وينبغي أن يكون النوع الأدبي نوعًا أدبيًا، إذ نادرًا ما يؤدي التهجين إلى نوع أدبي غير مقنع. وكذلك لا أحب كتب الأطفال، خاصة تلك التي فحواها عن الأيتام، وأفضّل ألّا أربك الرفوف بكتب البالغين، ولا أحب أي كتاب أكثر من أربعمئة صفحة، أو أقل من مئة وخمسين صفحة. أتقزّز من الروايات المكتوبة من قبل نجوم التلفزيون، وكتب صور المشاهير، والمذكرات الرياضيّة، وما يستوحى من الأفلام، والمنتجات الجديدة، وأتصور أن هذا لا يعني مصاصي الدماء. نادراً ما أخزّن الكتب التي تنشر لأول مرّة، أو أدب المرأة أو الشعر أو الترجمات. كما أنني لا أفضل عدم تخزين الكتب التي لها أجزاء متتالية، ولكن مطالب محفظتي تتطلب مني ذلك. بالنسبة لكِ، لا تحتاجين إلى إخبارنا عن (السلسلة الكبيرة التالية) إلى أن يتم تضمينها في قائمة أفضل البائعين في جريدة نيويورك تايمز. قبل كل شيء يا سيدة لومان، أجد المذكرات الأدبية التي تتحدث عن الرجال المسنين القلائل الذين ماتت زوجاتهم المسنّات الواهنات بسبب السرطان لا تُحتمَل إطلاقًا. لا يهمني ادّعاء مندوبة المبيعات وانطباعها كم كانت جميلة ومؤثرة، كما لا يهمني عدد النسخ التي تعدني بأنني سأبيعها في عيد الأم".

احمرّت إميليا خجلًا، لكنها كانت غاضبة أكثر من كونها مُحرجة، كانت تتفق مع بعض ما قاله فكري، ولكن أسلوبه كان مهينًا بلا داعٍ. على أية حال، إن دار نايتلي للنشر لا تبيع نصف تلك الأشياء.

أمعنت النظر فيه، إنّه أكبر منها ولكن ليس بكثير، والفارق بينهما لا يزيد على عشر سنوات. إنه أكبر من أن يحب صغيرات السن. سألته: "وما الذي تحبه؟".

قال: "كل شيء سوى ذلك، سأقرُّ أيضًا بتقصيرنا في الاهتمام بمجموعات القصص القصيرة من حين لآخر، فذلك يحول دون رغبة الزبائن بشرائها".

لم يكن في قائمة إميليا سوى مجموعة قصصية واحدة تُنشر للمرة الأولى، ولم تكن إميليا قد قرأت ما في قائمتها، والوقت يشي بأنها من المحتمل ألّا تقرأ كل شيء، لكنها كانت تحب قصتها الأولى عندما شارك أمريكيون وهنود من طلاب الصف السادس في برنامج أصدقاء المراسلة الدولي. كان راوي القصة هندي صغير في الصف الأمريكي، واستمر في تقديم تضليل كوميدي عن الثقافة الهندية للأمريكان.

ابتلعت ريقها، وحلقها كان ما يزال جافًا جدًا، وقالت: "أعتقد أن قصّة (العام الذي أصبحت فيه بومباي مومباي) سيكون لها مضمون مميز...".

- أجاب: "لا".

- "لم أخبركَ عن مضمون الكتّاب بعد".

- "لا فحسب".

- "لكن لماذا؟".

- "إذا كنتِ نزيهة، فستعترفين بأن سبب حديثك لي عنه هو أنني هندي هجين، وأنت تظنين أنه سيكون من دواعي اهتماماتي المميزة. هل أنا على حق؟".

شعرت إميليا برغبة بتحطيم الحاسوب القديم فوق رأسه، وقالت: "أحيطك علماً، لقد حدّثتك عنه لأنّك تحب القصص القصيرة! وهذه القصة الوحيدة ضمن قائمتي". تبدأ إميليا بالكذب: "إنها قصة رائعة من بدايتها إلى النهاية حتى لو أنها تُنشَر للمرة الأولى. وهل تعرف ماذا أيضاً؟ أحب النشر الأول للأشياء، واكتشاف كل ما هو جديد، وهذا جزء من السبب الرئيس لأداء هذا العمل". نهضت إميليا بتثاقل، وكأنها شربت حتى ثملت! وأردفت: "أتريد رأيي؟".

"ليس تماماً" سألها: "كم عمرك؟ خمسة وعشرون؟".

"سيد فكري، هذا متجر جميل، لكن إذا تابعتَ في هذه...." تلعثمت كطفل، وهذا الأمر يحدث لها أحياناً عندما تكون مضطربة، تنحنحت... "في طريقة التفكير الرجعية هذه، فلن يبقى متجر (آيلاند بوكس) طويلاً".

غادرت إميليا عابرة بين الكتب الموجودة في الرواق بعدما وضعت كتاب المُزهر متأخراً مع قائمة الشتاء على مكتبه.

تجوّلتْ في المدينة ريثما يحين موعد العبارة القادمة بعد ساعة،

استوقفتها خارج بنك أمريكي لوحة برونزية تخلد ذكرى الصيف الذي قضاه هيرمان ميلفيل حينما كان المبنى فندق (أليس) سابقًا. أخرجت هاتفها والتقطت صورة لها مع اللوحة البرونزية. (أليس) مكان جميل إلى حد ما، لكنها فكّرت أنه لن يكون لديها سبب للعودة في المدى المنظور.

راسلت مديرها في نيويورك كاتبةً: {يبدو أنه لن يكون هناك أي طلبات من الجزيرة}.

ردَّ الرئيس: {اطمئني، ولا تلقي بالًا، فالرجل الذي يدير المكان غريب الأطوار، وفي الصيف عندما يأتي السياح إلى جزيرته سنحظى بطلبات وافرة، وكما كان لـ (هارفي) دائمًا حظ أوفر في بيع قائمة الربيع والصيف، ستحظين بذلك أيضا}.

في الساعة السادسة مساءً، قبل أن يسمح فكري لـ مولي كلوك بالمغادرة، سألها: "ما رأيك بمجموعة مونرو الجديدة؟".

ردَّت مُتذمّرِةً: "لماذا يسألني الجميعُ اليوم عنها بالتحديد؟". كانت تشير بذلك إلى إميليا، لكنَّ مولي تحب أن تبالغ في حديثها.

"لأنكِ قرأتها".

تذمّرت مولي ثانية: "حسنًا، لا أعلم، الناس أكثر درايةً مني. بدت المجموعة في بعض الأحيان إنسانية للغاية".

"أعتقد أنها فكرة مونرو" قال.

"لا أعلم، أما أنا فأفضل ما هو تقليدي. أراك يوم الاثنين".

فكَّر فكري بضرورة اتخاذ إجراء ما بحق (مولي) حينما أدار اللوحة إلى {مغلق}، فهي على الرغم من شغفها بالقراءة، إلا أنها كانت بائعة كتب فظّة. تتصف بأمانتها، لكنّ دوامها جزئيّ، ومن الصعب والمقلق الآن أن تُدرّب شخصًا جديدًا. كانت (نيك) من وظّفتها، لذا لا بدَّ أنَّها رأت شيئًا ما في السيدة (كلوك) الفظَّة. ربما في الصيف المقبل سيستجمع فكري طاقته كاملة لفصلها.

صرف فكري الزبائن الباقين، فقد كان منزعجًا للغاية من مجموعة دراسة الكيمياء العضوية التي لم يبع منها شيئًا، علمًا أنه نشرها في المجلات منذ أربع... كما كان متأكدًا من أن أحدهم قد تسبب في انسداد المرحاض أيضًا. ثم دقّق في بعض الإيصالات، كانت مهمة مثيرة للاشمئزاز. أخيرًا، صعد إلى الطابق العلوي حيث يقيم، دفع بطبق كرتوني مجمد من الفيندالو(4) إلى الميكروويف وتركه لتسع دقائق حسب التعليمات. وبينما كان يقف هناك، فكّر في مندوبة دار نايتلي التي بدت وكأنها مسافرة عبر الزمن وقادمة من تسعينات مدينة سياتل بـ (جرموقها) (5) المطاطي المزيّن بمرساة مطبوعة عليه، وبفستان أشبه بفستان جدتها المزهّر، وبسترتها البيج الفاتنة، وشعرها الطويل الذي يصل إلى كتفها، والذي بدا وكأنه قد قُصّ في المطبخ من قبل عشيقها. أو ربما صديقتها! فكر ثم قرر أنه قُصّ من قبل عشيقها! وفكَّر في عشق (كورتني) (6) عندما تزوجت من (كورت كوبين) (7)، وتذكر قول الفم الوردي الخشن: {ليس بمقدور أحد

أن يؤذيني}، بينما العيون الزرقاء العذبة تقول: {بل بمقدورك، وربما ستفعل}. أحدث هذا الحوار النفسي في رأسه صرخة فتاة مدوية: {أحسنت يا فكري}.

فاحت رائحة الـ (فيندالو) بقوّة على الرغم من أنه ما زال يحتاج إلى سبع دقائق ونصف وفق ما ظهر على شاشة المؤقت.

أراد عملًا جسديًّا غير مُضْنٍ.

نزل نحو الطابق السفلي ليفتح صناديق الكتب بمشرط. وجد كثيرًا من البعثرة والرزم.

ندم فكري على سلوكه مع المندوبة، لم يكن الخطأ خطأها، وكان على شخص ما أن يخبره بوفاة هارفي رودس.

ربما كان هناك من أخبره بذلك، بيد أن فكري تصفّح بريده الإلكتروني فحسب، ولم يُجب على هاتفه. هل كان هناك جنازة؟ لم يكن سيحضر على أية حال، فهو بالكاد يعرف هارفي رودس.

ولكن... كان قد أمضى ساعات مع الرجل على مدى السنوات السّتّ الماضية، كانا يكتفيان بمناقشة الكتب فحسب، لكن أليسَ في هذه الحياة ما هو أهم من الكتب؟

مشرط... بعثرة... رُزم.

وما مدى ندرة العثور على شخص يشاركك ذوقك؟ كان الجدال

الفعلي الوحيد الذي دار بينهما هو بشأن (ديفيد فوستر والاس)

(8) بعد انتحاره بفترة وجيزة، حيث رأى فكري أن لهجة التبجيل في مراسم التأبين أمر مبالغ فيه، فالرجل لم يكتب سوى رواية لائقة واحدة، وليتها كانت أكثر لطفًا وأطول من ذلك، وكتب بعض المقالات المميزة، ولا شيء أكثر.

كان هارفي قد قال: "إنَّ رواية «مزحة بلا نهاية»(9) تحفة فنية".

"إنِ رواية «مزحة بلا نهاية» أشبه بمسابقة قوة التحمّل، إذا ما غصتَ في أعماقها فلا يسعك إلا أن تقول إنَّك معجب بها، أو تتعامل مع حقيقة أنك قد أهدرت أسابيع من حياتك" علّق فكري قائلًا: "إنها أسلوب دونما جوهر يا صديقي".

احمرَّ وجه هارفي وهو يتكئ على المكتب، قال: "هل هذا رأيك بكل كاتب قد عاصرته؟".

في الوقت الذي عاد فيه إلى الطابق العلوي كان الفيندالو قد برد، لكنه إنْ سخّنه مرة أخرى في الطبق البلاستيكي نفسه، فعلى الأرجح سينتهي به الأمر إلى السرطان.

وضع الطبق البلاستيكي على الطاولة، كانت اللقمة الأولى لاذعة، أما الثانية فمتجمدة. ألقى بالطبق جانبا. وفكر كم كان هارفي لا يعني له شيئًا، في حين كان هو يعني الكثير لـ هارفي بوصفه زبونا.

الصعوبة في العيش وحيدًا تكمن في توضيب المَرْءِ أيّما فوضى يُحْدِثها،

بل الصعوبة الحقيقية أنَّه لا أحد يهتم لأمرك إن كنت منزعجًا، وما من أحد يكترث لإلقاء رجل يبلغ من العمر تسعة وثلاثين عاما طبقًا بلاستيكيًا من الفيندالو في غرفة مثل طفل صغير. يصب لنفسه كأسًا من نبيذ الـ ميرلوت، يبسط مفرش المائدة على الطاولة، يمشي في الغرفة، يفتح صندوقًا زجاجيًا قابلًا للتحكم بدرجة الحرارة ويخرج كتاب «تيمورلنك» منه. وعند عودته إلى المطبخ يضع الكتاب في الجهة المقابلة له من الطاولة، ويسنده إلى الكرسي الذي اعتادت نيك الجلوس عليه.

"نخبك أيها التافه" قالها للمجلد الصغير.

ينتهي من كأسه، ويسكب لنفسه أخرى، وختامًا وعد نفسه بقراءة كتاب، ربما من كتبه المفضلة القديمة مثل: رواية «المدرسة القديمة» لـ توبياس وولف، على الرغم من أن قراءة ما هو جديد أفضل دونما شك. ما الذي كانت تتحدث عنه المندوبة البليدة؟ المزهر متأخرا. لقد كان يعني ما قاله: إنه ما من شيء أسوأ من المذكرات اللطيفة عن الأرامل، لا سيما إذا كان المرء أرملًا كما هو حاله الآن منذ واحد وعشرين شهراً. كانت المندوبة جديدة، ولا ذنب لها في كونها ليست على علم بمأساته الشخصية المملة. يا الله، إنه مشتاق لـ (نيك)، صوتها، عنقها، وحتى إبطيها اللذين لم يكونا حليقين وأشبه بلسان قطٍّ، وفي نهاية كل يوم تكون رائحتهما أشبه برائحة الحليب قبل أن يتخثّر.

شرب ثلاث كؤوس فيما بعد، إلى أن أغمي عليه عند الطاولة. كان طوله خمسة أقدام وسبع بوصات، أما وزنه فمئة وأربعون رطلاً، ولم يكن قد تناول وجبة الفيندالو المتجمدة لتقيم صلبه، كما أنه لم

يقرب كومة القراءة الليلة.

أخيرًا، بدأ فكري بالهذيان عندما تراءى له صوت نيك هامسًا: "فكري، انهض إلى سريرك". كان الهذيان أقصى ما يتمناه من هذا الشرب.

في حالة سكره كان طيف زوجته نيك يساعده ليبصر طريقه.

- "إنك أيها المهووس مُخزٍ. ألا تعرف ذلك؟".

هزَّ رأسه موافقًا.

- "الفيندالو المجمدة والنبيذ الأحمر بخمسة دولارات".

- "أنا أحترم التقاليد العريقة من تراثي".

صحب طيفها مترنحًا نحو غرفة النوم.

- "أُهَنِّئك سيد فِكري، أصبحت مدمن خمور بجدارة".

- قال وهي تضعه على سريره: "أنا آسف".

- بدا شعرها البني قصيرًا كشعر طفلة طائشة، فقال: "غريب أنك قصصتِ شعركِ".

- "لقد كنت فظيعًا مع تلك الفتاة اليوم".

- "بسبب هارفي".

- "بدا ذلك جليًّا" قالت.

- "أنا أكره فقدان الأشخاص الذين اعتادوا إدماني".

- "ألهذا السبب لن تطرد مولي كلوك أيضًا؟".

هزَّ رأسه معربًا عن موافقته.

- "لا يمكنك الاستمرار على هذا النحو".

- "يمكنني" قال فكري: "لقد كنت كذلك، وسأبقى".

- قبّلته على جبينه، وقالت: "لا أريدك أن تستمر على هذا النحو".

بعد حفل الظهيرة، وبينما كانت (نيك) تُوصل روائية إلى منزلها، فارقت الحياة إثر حادث مبهم. من المحتمل أنَها كانت تسير بسرعة لتلحق بآخر عبّارة لنقل السيّارات العائدة إلى (أليس)، وربما كانت قد انحرفت لتتفادى ضرب غزال، أو ربما كان طريق ماساتشوستس سالكًا بصعوبة. إنّ السبل لمعرفة ذلك معدومة.

في المستشفى، كان الشرطي قد سأل فكري إن كانت تفكر أو تودُّ الانتحار، فنفى فكري ذلك بقوله: "ما من شيء من هذا القبيل".

كتما نبأ حملها الذي مضى عليه شهران بسبب ما تعرّضا له من

خيبات أمل من قبل، لكنه في أثناء وقوفه في غرفة الانتظار خارج المشرحة، تمنى لو أنهما أخبرا الناس، لربما كان ذلك سيجعلهما يحظيان - على الأقل - بفترة وجيزة من السعادة قبل هذه الفترة الطويلة من الألم والفراق. لم يكن يعرف بعد ماذا يطلق على هذا الأمر. قال: "لا، لم تكن تريد الانتحار". سكت برهة، ثم أردف: "لقد كانت سيئة في القيادة، لكنها كانت تظن أنها ماهرة".

قال الشرطي: "لم يكن خطأ أحد".

أجابه فكري: "يُحبّ الناس قول ذلك، لكنه كان خطأ شخص ما، كان خطأها، يا له من فعل غبي! كم كان توصيل (دانيال ستيل) (10) فعلًا لعينًا مشينًا ومبالغًا فيه. آه يا نيك! لو كانت هذه رواية لتوقفت عن قراءتها حالًا، وألقيت بها خارج الغرفة.

الشرطي، الذي لم يكن مهتمًا بالقراءة كثيرًا، سوى قراءته العابرة لكتاب (جيفري ديفر) (11) ذي الغلاف العادي في أثناء إجازته؛ حاول توجيه المحادثة إلى واقع ملموس، فقال: "أنت مالك متجر الكتب، صحيح؟".

أجاب فكري دون تردد: "لي ولزوجتي"، واقتبس من كتاب قائلًا: {يا للمسيح، لقد فعلت شيئًا غبيًا، كما لو أنني ممثل في مسرح نسي أن زوجته قد توفيت، فاستخدم كلمة (نحن)}. يبدو اقتباسا مبتذلا، أليس كذلك أيها الضابط؟..." سكتَ لبرهة لقراءة شارة الشرطي...، وأردف: "لامبياز، كلانا عبارة عن شخصيات في رواية

سيئة، هل تعرف ذلك؟ كيف - بحق الجحيم - انتهى بنا المطاف هنا؟ من المحتمل أنك تفكر في قرارة نفسك برواية «الوغد المسكين»، وفي هذه الليلة ستحضن أطفالك بشوق لأن هذا ما تفعله شخصيات هذه الرواية، أنت تعرف نوع الرواية التي أتحدث عنها، أليس كذلك؟ إنها من الخيال الأدبي البارع الذي يولي قليلًا من الاهتمام لبعض الشخصيات الثانوية، بحيث يبدو الكل (فولنيريسكي) (12) المتّسِم بوهم العظمة. انظر كيف اهتم المؤلف بالأشخاص الصغار، بالرجل العادي، بالطريقة التي ينبغي أن تبدو بها الشخصيات واسعة الأفق، حتى اسمك أيها الضابط لامبياز هو الاسم المثالي لشرطي ماساتشوستس. هل أنت عنصري يا لامبياز؟ شخصيتك تشي بذلك.

"يا سيد فكري"، وضع الضابط لامبياز يده على كتف فكري قائلًا: "هل من أحد يمكنني الاتصال به من أجلك؟". كان شرطيًا صالحًا، وعلى دراية بكثير من الأساليب التي يلجأ إليها السجناء للتعبير عن تذمرهم واستيائهم.

"نعم، مباشرة أيها الضابط لامبياز، هذا تمامًا ما يفترض أن تفعله في هذه اللحظة! أنت تؤدي دورك بشكل جميل. هل تعرف ما الذي يجب أن يفعله الأرمل بعد ذلك؟".

"يتصل بشخص ما" أجاب الضابط لامبياز.

"نعم، ربما هذا صحيح، مع أنني اتصلت للتو بأخت زوجتي" هزَّ فكري رأسه، ثم أردف: "لو كانت هذه قصة قصيرة، لكنا قد أنهيناها (أنا وأنت) الآن بمشهد ساخر بسيط، ثم نرحل، ولهذا لا يوجد أبهى

من القصة القصيرة في عالم النثر أيها الضابط لامبياز".

"لو كان ما نحن فيه قصة لـ (ريموند كارفر) (13)، لكنت مُنِحت قسطًا ضئيلًا من الراحة، ثم ينسدل الظلام عليّ، وينتهي كل شيء. لكن هذا الشعور أكثر ما يشبه بالنسبة لي رواية في النهاية، وهذا الأمر يتطلب مني بعض الوقت لأتجاوزه، هل تفهم ذلك؟".

"لست متأكدًا من أنني سأفعل ذلك" قال الضابط لامبياز: "لم أقرأ لـ ريموند كارفر، أنا أحب قافية لينكولن، هل تعرفه؟".

"عالِم الجريمة الرباعي يليق بهذا النوع من الكتابة، ولكن هل قرأت أي قصص قصيرة؟" سأله فكري.

"ربما في المدرسة، القصص الخيالية، أو... امممممم، كتاب (المُهرة الحمراء؟) أعتقد أنه كان من المفترض أن أقرأ كتاب المُهرة الحمراء".

قال فكري: "إنها خاطرة".

"آه أنا آسف... رويدك، ثمّة نسخة لدى شرطي أتذكره منذ أيام المدرسة الثانوية. إنها جريمة مُحكَمة، لذا فهي عالقة في ذهني. الشرطي يُقتل على يد زوجته، وأداة الجريمة قطعة متجمدة من اللحم البقري، قدّمتها الزوجة بعد الجريمة على العشاء للآخرين...".

"حَمَلٌ على المذبح" قال فكري: "اسم القصة حَمَلٌ على المذبح، وأداة الجريمة ساق الحَمَل".

"نعم، إنها كذلك!" سُرَّ الشرطي وقال: "أنت تعرف جيدًا في اختصاصك!".

"إنّها قصة مشهورة جدًا" قال فكري، ثم أضاف: "لا بد أن تصل أخت زوجتي إلى هنا في أي لحظة. أستميحك عذرًا لوصفي إياك آنفًا بأنك شخصية ثانوية داعمة، فتلك وقاحة بعينها، حسبما نعرفه جميعًا، فالشخصية الثانوية الداعمة في أعظم ملحمة للضابط لامبياز هي (أنا)، وعلى الأرجح يبرز الشرطي بوصفه بطلًا في الرواية أكثر من بائع الكتب. أنت يا سيدي أشبه بضربٍ أدبي".

"امممممم"، قال الضابط لامبياز "ربما تكون مُحقًا في ذلك. عَوْدًا على بدء، أنا بوصفي شرطيًا فإن مشكلتي في القصة تكمن في الترتيب الزمني للأحداث، مثلًا: تضع اللحم البقري...".

- "لحم الحَمَل".

- "لحم الحَمَل إذن، تقتل الرجل بقطعة اللحم المجمدة ثم تضعها في الفرن لطهيها من دون إذابة. أنا لست راشيل راي (14)، ولكن..."

في الوقت الذي سحبوا فيه سيارتها من الماء، كانت نيك تبدأ بالتجمد في درج برّاد المشرحة، وكانت شفتاها زرقاوين. هنا تذكّر فكري أحمر الشفاه الأسود الذي وضعته في إحدى حفلات الكتب التي أعدّتها للحصول على أحدث نسخة لمصاصي الدماء على الإطلاق. على كل حال، لم يكترث بفكرة وجود فتيات مراهقات سخيفات يتبخترن في المتجر بفساتين الحفلة الراقصة، لكن نيك التي كانت

تحب فعلاً كتاب مصاصي الدماء الملعون والمرأة التي ألّفته، أصرّت على أنّ حفل مصاصي الدماء كان مُجديًا للأعمال التجارية، وكان ماتعًا كذلك. "تتذكر المتعة، أليس كذلك؟".

كان قد أجاب: "أتذكرها بصعوبة، منذ فترة طويلة، قبل امتهاني بيع الكتب، وقبلٍ الفترة التي كنت أمضي فيها عطلات نهاية الأسبوع والليالي وحيدًا، وقبل قراءتي بنيّة الاستمتاع، تذكّرتُ أنّه كان هنالك متعة، لذلك فهي خافتة، نعم... خافتة".

"اسمح لي بإنعاش ذاكرتك؛ المرح يعني وجود زوجة ذكية، وجميلة، وسمِحة يمكنك أن تقضي معها كل يوم من دون ملل".

لم يزل بإمكانه تخيلها بفستانها الساتان الأسود المضحك ذاك، وذراعها اليمنى ملفوفة حول عمود الشرفة وشفتاها الملطختان. قال: "بشكل مأساوي، تحولت زوجتي إلى مصاص دماء".

"أيها الرجل المسكين". عبرت الرواق وقبّلته تاركة أثرٍ أحمر الشفاه كلعنة. "الخطوة الوحيدة هي أن تصبح مصاص دماء أيضًا، لا تحاول محاربته، فذلك أسوأ ما يمكنك فعله، عليك أن تكون هادئًا أيها الطالب النهم، ادعُني للدخول".

---

(1) هامبرت هامبرت، وهولدن كومفيلد، ودارسي و.... هم شخصيّات ذكورية في كتب عدة.

(2) كاتبة كندية، وُصِفت أعمالها بأنها أحدثت ثورة في بنيّة القصة القصيرة. حائزة على جائزة مان بوكر ٢٠٠٩، وجائزة نوبل في الأدب ٢٠١٣. من أعمالها: «الهروب»، «سعادة مفرطة»، «حياتي العزيزة»، و«سر يؤرقني». (المترجم)

(3) لـ ميستي إدوارز. تتحدث فيه الكاتبة عن مغزى الوجود، حيث تطرح فيه كثيرًا من الأسئلة الصعبة المتمثلة في إيجاد معنى للنجاح والفشل، والصغر والعظمة، والألم والسرور، حيث نعيش حياة لا تشكل في النهاية هذا العالم. (المترجم)

(4) طبق بالكاري، هندي مشهور. (المترجم)

(5) خف قصير يُلبَس فوق الحذاء وقاية له من الماء أو غيره. (المترجم).

(6) مغنية، ومؤلفة أغانٍ، وكاتبة أميركية. (المترجم)

(7) مُغنٍّ، وكاتب، وموسيقي أميركي، اشتهر باسم عازف الغيتار. (المترجم)

(8) من أشهر الكتّاب الأمريكيين في العصر الحديث، وأحد أهم الروائيين الذين يمكن تصنيفهم في مدرسة ما بعد الحداثة في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن العشرين. (المترجم)

(9) كوميديا عملاقة غيّرت التفكير عن السعي وراء السعادة في أمريكا. الرواية من تأليف الكاتب ديفيد والاس، وتشتهر بأسلوبها السردي غير التقليدي واستخدامها التجريبي للملاحظات الختامية. (المترجم)

(10) كاتبة أمريكية، اشتهرت بكتاباتها الرومانسية. (المترجم)

(11) كاتب أمريكي مهتم بكتابة الروايات الغامضة وروايات الجريمة، حصل على البكالوريوس في الصحافة من جامعة ميسوري، وشهادة الدكتوراه في القانون من جامعة فوردهام، وبدأ عمله بوصفه صحفياً. (المترجم)

(12) أي يشبه أسلوب كتابة الروائي فولكنر (تدفق اللاوعي). (المترجم)

(13) كاتب قصة قصير وشاعر أمريكي، أسهم في تنشيط دور القصة القصيرة في أمريكا خلال الثمانينات. (المترجم)

(14) شخصية تلفزيونية أمريكية مشهورة، وطباخة، ومؤلفة. (المترجم)

ماسة كبيرة بحجم ريتز
إف. سكوت فيتزجيرالد / 1922

يُعدّ هذا الكتّاب من الناحية الفنية خاطرة، لكنّها خاطرة في منطقة رمادية، لذا إنْ وجدت نفسك من بين الأشخاص الذين يكلفون أنفسهم عناء البحث عن مثل هذه الفروق - اعتدتُ أنا شخصياً أن أكون من هذا النوع من الأشخاص- فمن الأفضل أن تعرف ما الفرق. وإذا انتهى بك المطاف إلى كلية إيفي ليج*، فمن المحتمل أن تواجه هؤلاء الأشخاص، لذا سلّح نفسك بالمعرفة لتواجه هذه المجموعة المغرورة، على أنّ هذا ليس موضوعنا!

يُعرِّف (إدغار آلان بو) القصة القصيرة بأنّها قابلة للقراءة في جلسة واحدة. أتصور أن الجلسة في عصره كانت أطول. وكذلك هذا ليس موضوعنا.

إنّها حكاية مدهشة غريبة الأطوار، تروي تحدّيات امتلاك بلدة مصنوعة من الماس، ومدى حماية الأثرياء لنمط حيواتهم. اتبع فيتزجيرالد شكلاً رائعاً لروايته هنا.

إنّ روايته غاتسبي العظيم كانت مُبهِرة بلا شك، غير أن روايات أخرى له بدت لي في بعض الأحيان مرهِقة، مثل حديقة الأشجار الزخرفيّة.

يُعدّ شكل القصة القصيرة قضية أكثر شيوعًا، ومسألة أكثر فوضوية بالنسبة له. ورواية (الماسة) تتنفس مثل حديقة قزم أسطوري ساحر.

فيما يخص مضمونها، هل أبدأ بالأمر الجلي- وإن كان هذا تخمينًا- وأخبرك بأنني قبل مقابلتك مباشرة فقدت عنصراً ذا قيمة كبيرة في حياتي؟

فكري

* تذكَّر أنه يمكنك العثور على تعليم جيد في الأماكن غير المعتادة.

على الرغم من أنّه لم يستطع أن يتذكر كيف وصل إلى هناك، ولا أنه خلع ملابسه، استيقظ فكري فوجد نفسه في سريره بملابسه الداخلية فحسب. كان يتذكر أن هارفي رودس قد مات، وأنه كان وغدًا مع مندوبة نايتلي، وتذكر رميه للفيندالو في الغرفة، كما تذكر أول كأس من النبيذ والخبز المحمص بصحبة كتاب (تيمورلنك). بعد ذلك غلبه النسيان، وكان ذلك من وجهة نظره انتصارا.

كان يعاني من صداع، فمشى نحو الغرفة الرئيسة متوقعًا العثور على مخلفات الفيندالو، بدت الأرض والجدران ناصعة، وبينما كان يهنئ نفسه بصمت لملاحظته إزالة الفيندالو وتنظيف الغرفة، أخرج الأسبرين من الخزانة. عندما جلس عند طاولة غرفة الطعام لاحظ أن زجاجة النبيذ قد رُمِيت خارجًا أيضًا، كان من الغريب بالنسبة له أنه بدا حاذقًا بصورة غير مسبوقة، مما يعني أنه لم يكن في حالة سُكرٍ عميق. نظر إلى الطاولة حيث ترك كتاب (تيمورلنك) فلم يره. هل من

المحتمل أن كل ما دار في خلدِهِ هو إخراجه من الصندوق؟

بينما كان يتجوّل في الغرفة تنافست دقات قلب فكري مع خلجات عقله. وفي منتصف طريقه نحو خزانة الكتب تمكن من رؤية الصندوق الزجاجي ذي الحرارة المناسبة الذي يحفظ فيه كتاب (تيمورلنك) عن العالم، مفتوحاً على مصراعيه، وفارغاً.

ارتدى ثوب الاستحمام، وانتعل على عجل حذاء الجري الذي لم يركض به أميالًا كثيرة، وهرول إلى نهاية شارع (كابتن ويغينز) وثوب الاستحمام المنقوش الداكن يرفرف وراءه، بدا وكأنه بطل خرافي مكتئب مصاب بسوء تغذية. التفت اتجاه الشارع الرئيس، وانطلق مباشرة إلى مركز شرطة (أليس آيلاند).

على الرغم من أن فترة الجري كانت قصيرة، إلّا أنَّ فكري كان يلهث بشدّة، وقال محاولًا ألّا يبدو مثل سيدة مسنة تحمل حقيبة يد مسروقة: "لقد تعرضتُ للسرقة! من فضلكم، فليساعدني أحد منكم!".

وضع لامبياز فنجان قهوته، واستقبل الرجل المُضطرب الذي يلبس ثوب الاستحمام. تعرَّف إليه بوصفه مالك متجر لبيع الكتب، اصطحبته زوجته الشابة الجميلة إلى البحيرة منذ عام ونصف. بدا فكري أكبر بكثير من آخر مرة قد رآه فيها، لكن لامبياز لم يستهجن ذلك.

- "حسناً، سيد فكري" قال لامبياز: "أخبرني بما حدث".

- أجاب فكري: "سرق شخص ما تيمورلنك".

- "ما الذي تقصده بـ تيمورلنك؟".

- "إنه كتاب، كتاب قيّم للغاية".

- "للتوضيح، تقصد أن شخصًا ما سرق كتابًا من المتجر".

- "لا، إنه كتابي من مجموعتي الشخصية، وهي مجموعة نادرة للغاية من قصائد لـ إدغار آلان بو".

- "إذن، تعدّه كتابك المفضل؟" سأل لامبياز.

- "لا، حتى إنّني لا أحبه. هذا هراء، هراء ممل. إنه..." لهث فكري وقال: "اللعنة!".

- "هدّئ من روعك سيد فِكري، أنا أحاول أن أفهم، أنت لا تحب الكتاب، لكن هل له قيمة عاطفية؟".

- "لا! اللعنة على القيمة العاطفية، بل له قيمة مالية كبيرة، إنّ كتاب (تيمورلنك) قيّمٌ ونادر مثل بطاقات لاعب البيسبول (هوناس واجنر) (15)، وهو من الكتب النادرة، هل تعي ما أقوله؟".

- "بالطبع، كان والدي يجمع بطاقات البيسبول" هز لامبياز رأسه وكرر السؤال: " أهو قيّم؟".

لم يكن بإمكان فكري التكلم بسرعة كافية: "ذلك أول ما كتبه إدغار آلان بو، عندما كان في الثامنة عشرة. النسخ نادرة للغاية، كانت

خمسين نسخة مطبوعة فقط، ونُشِرت من دون تدوين اسم المؤلف، فبدلاً من أن يُكتب (من قِبل إدغار آلان بو) كتب على الغلاف (تمت بواسطة صحيفة بوسطن). تباع النسخ حسب الظرف وحالة سوق الكتب النادرة بأكثر من أربعمئة ألف دولار. كنت أخطط لمزاد علني في غضون سنتين عندما يحظى الاقتصاد ببعض الوقت ليتعافى، وكنت أنوي إغلاق المحل وأن أتقاعد معتمدًا على مرابحه".

قال لامبياز: "إذا كنت لا تمانع في طرح أسئلتي، فلماذا تحتفظ بشيء من هذا القبيل في منزلك وليس في بنك؟".

هز فكري رأسه: "لا أعرِف. كنت غبيًّا! وأظن أنني فضّلت إبقاءه قريبًا مني، ووددتُ أن يكون نصب عينيّ، وأن أتذكر دائمًا أنه بإمكاني الاستقالة وقتما أشاء، لذا حفظته في صندوق زجاجي مغلق، وظننت أنه في أمان بما فيه الكفاية، لا سيّما في ظل هذه التدابير، فالسرقة في جزيرة أليس تكاد تكون معدومة، باستثناء موسم السياحة في شهر أكتوبر.

"إذن، هل كسر شخص ما الصندوق أم عرف أحدهم الرقم السري؟" سأل لامبياز.

"لا هذا ولا ذاك. أردت أن أثمل الليلة الماضية، وراودتني فكرة غبيّة، فأخرجت الكتاب حتى أكحل به ناظريَّ. أعلمُ أنَّ فكرة إخراجه عذر تافه".

"يا سيد فِكري، هل أمّنْتَ على الكتاب؟ يعني هل كان كتاب

(تيمورلنك) مدفوع التأمين؟".

حين وضع فكري رأسه بين يديه أدرك لامبياز أن الكتاب لم يكن كذلك. "وجدت الكتاب منذ عام تقريباً، أي بعد شهرين من وفاة زوجتي، ولم أتطرّق للتفكير به أبدًا، إذ لم يكن لدي رغبة في إنفاق المزيد من المال. لا أعرف. مليون سبب أحمق بمفعول رجعي، والسبب الرئيس هو حماقتي أيها الضابط لامبياز".

لم يكلف لامبياز نفسه بإخباره أنها مهمته، بل قال: "هذا ما سأفعله، بداية سنقدّم كلانا تقريراً للشرطة، وبعد ذلك عندما تأتي المحققة الخاصة بي - إنها تعمل بدوام جزئي في موسم الركود - سأرسلها إلى منزلك للبحث عن بصمات الأصابع وغيرها من الأدلة، ربما سيتجلّى شيء ما، وما يمكننا القيام به أيضا هو الاتصال بدور المزادات والأشخاص الذين يتعاملون مع هذه الأنواع من الأشياء. إذا كان كتابًا نادرًا كما تزعم، فسوف يُلاحظ الأشخاص إن كانت هناك نسخة مُستهجنة في السوق. ألا تحتاج أشياء من هذا القبيل إلى سجل لمن يملكها، أو لا أعرف ماذا تسمونه؟".

- "تقصد مصدره، أليس كذلك؟" قال فكري.

- "نعم، تمامًا! اعتادت زوجتي مشاهدة التحف التي يُروّج لها. هل سبق أن شاهدت مثل هذه العروض؟".

- "لا" يجيب فكري.

- "تساؤل أخير: من يعرف شيئًا عن الكتّاب المسروق؟".

تذمّر فكري قائلًا: "الجميع... أخت زوجتي، إيسماي التي تدرِّس في المدرسة الثانوية. إنها قلقة بشأني منذ أن توفيت (نيك)...، إنها دائمًا ما تشجعني على الخروج من المتجر، وترك الجزيرة. منذ نحو عام دفعتني إلى بيع المنزل الكئيب في ميلتون. كان الكتّاب في صندوق يضم ما يقرب من خمسين كتّابًا آخر، وكلها لا قيمة لها باستثناء كتّاب (تيمورلنك). دفعت خمسة دولارات. لم يكن لدى الناس أدنى فكرة عن قيمة ما بحوزتهم، وشعرت بنوع من الغضب عندما أخذته إن كنت تريد معرفة الحقيقة. ليس هذا هو المهم الآن. على أي حال، ترى إيسماي أنه سيكون ناجعا للأعمال التجارية أو التعليمية أو بعض من هذا الهراء إن عرضته في المتجر، لذلك حفظته في صندوق في المحل طوال الصيف الماضي. أظن أنك لم تأتِ إلى المتجر من قبل".

أطرق لامبياز رأسه، وهو شعور بالعار معروف لدى طلاب المرحلة الثانوية في حصص اللغة الإنجليزيّة، إذا ما فشل أحدهم في تحقيق الحد الأدنى من القراءة المطلوبة منه. قال: "لست قارئًا نهمًا".

"لكنك كنت تقرأ بعض كتب الجرائم، أليس كذلك؟".

"ذاكرتك جيدة" قال لامبياز.

في الواقع يتمتع فكري بذاكرة مثالية عن أذواق القُرّاء.

"كانت كتبًا لـ (ديفر)، أليس كذلك؟ إن أعجبك ذلك فهناك كاتب جديد من...".

"بالتأكيد، سأمرّ بمتجرك في أقرب وقت. هل هناك شخص يمكنني الاتصال به من أجلك؟ أخت زوجتك (إيسماي إيفانس باريش)، أليس كذلك؟".

"إيسماي في الـ..." في تلك اللحظة تَسمَّر فكري كما لو أن شخصًا ما قد ضغط على زر إيقافه المؤقت، فبَدَتْ عيناه شاحبتين وفمه مفتوحًا.

"سيد فِكري، ما الخطب؟"

بقي فكري مُسمّرًا نحو ثلاثين ثانية، ثم استأنف حديثه وكأنّ شيئًا لم يكن، وقال: "إيسماي في العمل، وأنا بخير، لا داعي للاتّصال بها".

- قال لامبياز:" لقد شردْتَ مدة دقيقة".

- "ماذا؟".

- "لقد فقدت وعيك".

- "أوه، بحق المسيح! إنها نوبة غيبوبة بسيطة فحسب، لطالما اعترتني مِرارًا في طفولتي، ونادراً ما عانيت منها وأنا بالغ، باستثناء حالات التوتر غير العاديّة".

- "عليك أن تزور الطبيب".

- "لا، لا بأس. بصراحة أنا أريد أن أجد كتابي فحسب".

- أصرَّ لامبياز بقوله: "ستشعر بالتحسن، لقد مررتَ بفاجعة مؤلمة هذا الصباح، وأنا أعلم أنك تعيش بمفردك. سآخذك إلى المستشفى ثم سأجعل أخت زوجتك تقابلك هناك. في هذه الأثناء سأتحدث مع رفاقي لأرى ما إذا كانوا يستطيعون معرفة أي شيء عن كتابك".

• • •

في المستشفى، انتظر فكري، ثم ملأ الاستمارات، بعدها تجرَّد من ملابسه وأجرى فحوصات، ثم لبس مرة أخرى، وبعد هنيهة أجرى المزيد من الفحوصات، ومن ثم تجرَّد مرة أخرى، وفحصته أخيرا طبيبة عامة في مكتهل العمر. لم تكن قلقة جرّاء نوبته تحديدًا، ومع ذلك فقد كشفت الفحوصات أن ضغط الدم والكوليسترول في الدم يتراوحان بين الحدّ المقبول والعالي بالنسبة لرجل يبلغ من العمر تسعة وثلاثين عامًا. سألت فكري عن نمط حياته، وأجابها بصدق: "لستُ ممن يسمّى مدمن كحول، لكنني أحب أن أشربه إلى أن أفقد وعيي ولو لمرة واحدة أسبوعيًّا. أنا أدخن من حين لآخر وأعيش على نظام غذائي يعتمد على المقبلات المجمدة. وقلّما أنظف أسناني بالخيط. اعتدت أن أكون عدّاء لمسافات طويلة، بيد أني الآن لا أمارس الرياضة مطلقًا. أعيش وحدي وأفتقر إلى العلاقات الشخصيّة المُجدية، ومنذ وفاة زوجتي فأنا لا أطيق شيئًا، حتى عملي".

"هل هذا كل شيء؟" سألته الطبيبة، ثم قالت: "ما زلتَ في مُقتبل

العمر يا سيد فِكري، والجسم لا يمكنه تحمل الكثير من هذا الضغط، فإن كنت تحاول قتل نفسك، فيمكنك بالتأكيد التفكير بطرق أسرع وأسهل للقيام بذلك. هل تريد أن تموت؟".

صمتَ لبرهة.

- " يمكنني أن أضعك تحت المراقبة النفسية إن كنتَ تريد الموت حقًا".

- "لا أريد أن أموت"، قال فكري بعد هنيهة، ثم تابع: "من الصعب أن أمكث هنا لوقت طويل. هل تعتقدين أنني مجنون؟".

- "لا، بل أستطيع أن أرى لماذا تشعر بهذه الطريقة. أنت تعاني من عبء الوقت. ابدأ بالتمارين الرياضية وستشعر بتحسّن".

- "حسنًا".

- قالت الطبيبة: "كانت زوجتك ودودة، وقد اعتدتُ أن أرتاد نادي كتب (الأم وابنتها) الذي كانت تديره في المتجر، وما تزال ابنتي تعمل لديكم بدوام جزئي".

- "مولي كلوك؟".

- أشارت إلى لوحتها الاسمية: "كلوك اسم شريكي. أنا الدكتورة روزن".

واجه فكري في صالة الاستقبال مشهدًا مألوفًا؛ ممرضة ترتدي مريلة وردية، وتعطي كتابًا ورقيًا - يبدو أنها اشترته من السوق الشعبي- مهترئًا لرجل يرتدي سترة قطنية بأكمام مرقطة، وتسأله: "هل تمانع؟".

قال دانيال باريش: "بكل سرور. ما اسمك؟".

"جيل ميسي، لقد قرأتُ كتبك كلها، لكن الكتاب المفضل لدي بدرجات هو هذا الكتاب".

قال: "هذا هو الرأي العام"، لم يكن يمازحها. ففي الحقيقة لم يبُع أي كتاب من كتبه مثلما بيع الكتاب الأول".

"لا يمكنني حتى التعبير كم يعني لي، أشعر أنّ عينيّ اغرورقتا حين بدأت بالتفكير به". طأطأت رأسها وأخفضت عينيها طائعة كراقصة، وقالت: "هذا ما دفعني لأن أكون ممرضة! لقد بدأت بالعمل هنا مؤخرًا، عندما علمت أنك تعيش في هذه المدينة، كم وددتُ أن تأتي في يوم ما".

قال دانيال مبتسمًا: "هل تقصدين أنك كنت تأملين أن أصاب بمرض ما؟".

"لا، بالطبع لا!" احمرَّت خجلًا، ثم ضربته على ذراعه بعنف قائلة: "أنت رهيب!".

"أنا!" أجاب دانيال: "أنا حقًا كذلك".

في المرة الأولى التي التقت فيها نيك بدانيال باريش، علّقت علي أنه كان يتمتع بمظهر مذيع رائع لمحطة أخبار محلية، لكن سرعان ما غيرتِ رأيها عند ركوبها للسيارة متجهة إلى المنزل، {عيناه صغيرتان جدًا بالنسبة لمذيع إخباري، لا بد أن يكون مذيع نشرة جويّة}.

وكان فكري قد قال: "لديه صوت جهوري بالفعل".

ردّت نيك حينها: "إذا أخبرك ذلك الرجل أن العاصفة قد مرت، فستصدقه حتمًا. ربما حتى لو كنت ما تزال واقفًا مسفوعًا في منتصفها".

لم يكن فكري بالغ الرقة حيث قاطع مغازلتهما قائلًا: "دان، أعتقد أنهم اتصلوا بزوجتك".

تنحنح دانيال، وقال: "تشعر بوعكة صحيّة، لذا جئت بدلاً منها. كيف هي أحوالك أيها الرجل العجوز؟". ينعت دانيال قَرِيبَه (فكري) بالرجل العجوز، على الرغم من أن دانيال يكْبُرُه بخمس سنوات.

"لقد فقدت ثروتي، وأخبرني الطبيب أنني سأموت، لكن بخلاف ذلك، أنا رائع". مكّنه المهدئ من أن يتّخذ وجهة نظر.

"رائع! دعنا نحتسي مشروبًا". يلتفت دانيال إلى الممرضة (جيل) ويهمس في أذنها شيئًا ما. عندما أعاد دانيال الكّاب إليها، تمكّن فكري من رؤية رقم هاتفه مكتوبًا عليه. "تعال، أنت ملك الخمر!" يقول دانيال وهو يتجه نحو باب الخروج.

على الرغم من أنَّ فكري يعشق الكتب ولديه مكتبة، إلّا أنّه لا يعير الكُتّاب اهتمامًا خاصًا، إذ يرى أنهم أناس نرجسيون، وسخيفون، وغير مهذبين، وغير سعداء بالعموم، لذا يبتعد عن مؤلّفي الكتب التي أحبها، خشية من أن يُتلفوا جمال كتبهم عند اللقاء والتعارف. لحسن الحظ، فهو لا يحب كتب دانيال، ولا حتى روايته الشعبيّة الأولى. أما بالنسبة له بوصفه صديقًا، فلا بأس به، إنه يسلي فكري إلى حد ما، مما يعني أن دانيال باريش هو أحد الأصدقاء المقربين لـ فكري.

يقول فكري بعد الكأس الثانية من النبيذ: "لقد كان خطئي، كان يجب أن أحصل على تأمين للكتّاب، وأن أحفظه في مكان آمن، كما لم يكن عليّ إخراجه عندما كنت ثملًا. بغض النظر عمن سرقه، لا أستطيع القول إنّ سلوكي كان سليمًا". شعر فكري بالنشوة إثر اختلاط الكحول بالمهدّئ، مما جعله فيلسوفًا. صبَّ دانيال كأسًا أخرى.

قال دانيال: "لا تفعل ذلك يا فكري، لا تلومنَّ نفسك".

قال فكري: "إنها صيحة إيقاظ من غفلتي، بالتأكيد سأعمل على التخفيف من احتساء المشروب".

سخر منه دانيال قائلًا: "بعد هذه الكأس مباشرة!".

دَقّا كأسيهما.

فتاة في المدرسة الثانوية تحظى بأرداف خاطفة تمشي في البار مرتدية شورتًا قصيرًا جدًا من الجينز، وذا شقوق كثيرة. يعطيها

دانيال الكأس: "ملابس جميلة!" ترفع الفتاة إصبعها معبّرة عن استيائها وامتعاضها. يقول دانيال: "عليك التوقف عن الشرب، وعليّ التوقف عن غش إيسماي، لكن عندما أرى شورتًا قصيرًا كهذا، توضع نيتي تحت الاختبار بجدية. بدت هذه الليلة سخيفة؛ الممرضة! والشورت القصير!".

ارتشف فكري النبيذ، وقال: "ما أخبار الكتّاب؟".

هز دانيال كتفيه استهجانًا: "إنه كتّاب، سيكون له صفحات وغلاف، وحبكة وشخصيات وتعقيدات، ويعكس سنوات من الدراسة والتمحيص ومزاولة مهنتي. على الرغم من كل ذلك، سيكون بالتأكيد أقل شعبيّة من كتّابي الأول الذي كتبته في الخامسة والعشرين من عمري".

"الوغد المسكين" قال فكري.

"أنا متأكد من أنك ربحت جائزة الوغد المسكين أيها الرجل العجوز".

"كم أنا محظوظ!".

قال دانيال: "كان (بو) كاتبًا فاشلًا، أتعرف ذلك؟ وكتّابه (تيمورلنك) هو الأسوأ، وعمله مسروق من الشقي لورد بايرون، فلو كانت النسخة الأولى عن شيء لائق، لكان الأمر مختلفًا. يجب أن تكون سعيدًا لأنك تخلصت منه. أنا أمقت الكتب النادرة على

أي حال. الناس يُفتنون بأوراق معينة تافهة، ما يهم هو الأفكار والكلمات يا رجل".

أنهى فكري كأسه، وقال: "يا سيد دانيال، أنت شخص أحمق".

استمر التحقيق مدة شهر، وكأنه مرّ عليه سنة في قسم الشرطة في (أليس). لم يجد لامبياز وفريقه في مكان الحادث أيّ دليل ملموس. يبدو أن المجرم قد مسح الشقة من بصمات الأصابع ناهيك عن إلقاء زجاجة النبيذ وتنظيف الفيندالو. استجوب المحققون موظفي فكري، وعدداً قليلاً من أصدقائه وبعض الناس الذين لهم علاقة به في أليس. لم تفضِ هذه المقابلات إلى أي إدانة خاصة. لم يبلّغ تجار الكتب أو أصحاب دور المزادات عن أي نسخ من كتاب (تيمورلنك) كذلك. (بالطبع، دور المزادات شهيرة بهدوئها في هذه المسائل). اعتبِر التحقيق دونما جدوى، واختفى الكتاب، وأدرك فكري أنه لن يراه مرّة أخرى.

لا فائدة من الصندوق الزجاجي الآن، وفكري في حيرة من أمره، إذ ليس لديه كتب نادرة أخرى. كان الصندوق باهظ الثمن؛ أي ما يقرب من خمسمئة دولار. كم كان بودّه لو أنّ الصندوق يثرى بشيءٍ ما، وقد قيل له عندما اشتراه إنّه يمكن استخدامه لتخزين السيجار أيضاً.

بما أنّ التقاعد لم يعد يلوح في أفق فكري، بدأ بقراءة المدونات، والإجابة عن رسائل البريد الإلكتروني، والرد على الهاتف، وكتابة لصاقة أو لصاقتين للرفوف. في الليل، بعد إغلاق المتجر، شرع في

الركض مرة أخرى. كان هناك العديد من التحديات التي تواجه ركضه لمسافات طويلة، ولعل أكبرها هو مسألة مكان وضع مفاتيح المنزل. قرر في النهاية ترك بابه الأمامي مفتوحًا، إذ لا شيء لديه يستحق السرقة حسب تقديره.

---

(15) لاعب بيسبول أمريكي مشهور، تتوفر بطاقاته في المتاحف لندرتها وقيمتها العالية. (المترجم)

الحظ في مخيم رورن
برت هارت / 1868

قصّة عاطفيّة بشكل مفرط، تروي أحداث مخيَّم التنقيب الذي يتبنّى طفلاً ذا عزيمة، وصف بالمحظوظ. قرأتُ القصة للمرّة الأولى في جامعة برينستون ضمن ندوة بعنوان أدب الغرب الأمريكي، ولم تبرح الفكرة من مكانها على الإطلاق. في ورقة الرد الخاصة بي بتاريخ 14 نوفمبر 1992، كان الشيء الوحيد الذي ارتأيت أن أوصي به هو أسماء الشخصيات المثيرة للجدل: (ستومبي)، و(كينتوك)، و(الفرنسي بيت)، و(تشيروكي سال)، وما إلى ذلك. وقد صدف أن عثرت على قصة الحظ في مخيم رورن مجدّداً منذ عامين، وما أبكاني كثيراً أنّكِ ستجدين نسخة دوفر المقتضبة غارقة في المياه. يبدو لي أنني قد أصبحت هرِماً في منتصف عمري، بيد أني أعتقد أن ردَّة فعلي في اليوم الأخير تتحدث عن ضرورة مواجهة القصص في الوقت المناسب تماماً في حياتنا. تذكري يا مايا أنَّ وجهة نظرنا اتجاه الأشياء في العشرينات ليست بالضرورة نفسها في الأربعينات، والعكس صحيح، وهذا جليٌّ في الكتب وفي الحياة كذلك.

فكري.

في الأسابيع التي تلت السرقة طرأ ارتفاع طفيف على مبيعات كتب الجزيرة، إلا أنَّه كان ارتفاعاً غير محتمل وفقاً لإحصائيات الأعمال التجارية، وعزا فكري هذا الارتفاع إلى المؤشر الاقتصادي الأقل

شيوعًا والمعروف باسم (مؤشر المدينة المثير للجدل).

انسلَّ أحد رجال المدينة ذوي القصد الحسن نحو المكتب بحذر قائلًا: "هل من أخبار عن تيمورلنك؟". [القصد: هل لي أن أقلب خسارتك الشخصية الكبيرة لتسلية لي؟].

* أجاب فكري: "ما من أخبار بعد". [القصد: حياتي ما تزال مُتعِبة].

* رجل المدينة: "أووه، أنا متأكد من أن شيئًا ما سيحدث". [القصد: نظرًا لعدم حصولي على أي فائدة في نهاية هذا الموقف، فإن التفاؤل لن يكلفني أيّ شيء]. "ما الجديد الذي لم أقرأه؟".

* فكري: "لدينا أمران". [القصد: كل شيء جديد إلى حدّ ما، كما أنك لم تأتِ إلى هنا منذ شهور، وربما منذ سنوات].

* رجل المدينة: "قرأتُ عن كتاب في مجلة نيويورك تايمز لمراجعات الكتب، كان له غلاف أحمر حسبما أتذكر".

* فكري: "نعم، هذا يبدو مألوفًا". [القصد: هذا هو الغموض المفرط، فلا وصف للمؤلف، ولا العنوان، ولا وصف للحبكة، وهذه هي المؤشرات الأكثر نفعًا. إنَّ الغلاف ربما كان أحمر، وربما ذُكِر الكتاب في مجلة نيويورك تايمز لمراجعات الكتب، لكن ذلك لم يساعدني في معرفته كما تظن!]. "هل هناك أي شيء تتذكره بشأنه؟" [القصد: عبّر عنه بكلماتك أكثر].

اصطحب فكري بعد ذلك رجل المدينة إلى قسم الإصدارات الجديدة، حيث تأكد من أنه سيبيعه كتابًا بغلاف مقوى.

الغريب في الأمر أنّ وفاة نيك كان لها تأثير عكسي في العمل، وعلى الرغم من أنّه كان يفتح المتجر ويُغلقه بانضباط حازم كما لو أنه ضابط في الأمن، إلا أن الربع المالي الذي عقب وفاتها كان له النصيب الأسوأ من المبيعات في تاريخ الجزيرة. وهذا طبيعي لأن أهل الجزيرة شعروا بالأسى الكبير، لأن نيك كانت من السكان الأصليين، ولكونها واحدة منهم كان لعودتها إلى أليس، متخرجة في جامعة برينستون، تأثير كبير، لا سيما أنها تخرجت في مدرسة أليس آيلاند الثانوية بمرتبة الشرف. وعادت إلى أليس لتفتح مكتبة مع زوجها ذي العيون الحادّة. كم يبدو جميلًا وراقيًا أن ترى شابة تعود إلى وطنها لإحداث تغيير إيجابي فيه، لكنْ ما إن فارقت الحياة حتّى وجد الناس أنّه لا شيء مشترك بينهم وبين فكري سِوى خسارتهم جميعًا لـ نيك.

هل ألقوا اللوم عليه؟ البعض منهم فعل ذلك نوعًا ما، متسائلين: لماذا تركها هي توصل تلك المؤلفة إلى منزلها في تلك الليلة؟ تهامسوا، ثم واسوا أنفسهم على أنه كان دائمًا غريبًا، وأقسموا أنهم لا يقصدون ذلك بطريقة عنصرية، فقد كان أجنبيًا بالنسبة لهم؛ وكان قد وُلِد في نيوجيرسي. كانوا يحبسون أنفاسهم حينما يمرّون بجوار المتجر كما لو أنّه مقبرة.

تحقق فكري من بطاقاتهم الائتمانية وخلُص إلى أنّ السرقة كانت خسارة اجتماعية مقبولة، في حين أنّ الموت خسارة منعزلة.

بحلول كانون الأول / ديسمبر، عادت المبيعات إلى معدّلها الطبيعي الذي كانت عليه ما قبل السرقة.

• • •

يومان قبل عيد الميلاد، وقبل الإغلاق بدقيقتين، تحدث فكري مع آخر الزبائن وصرفهم.

تردد رجل يرتدي معطفًا فضفاضًا وتلجلج في شراء آخر إصدارات (أليكس كروس) (16) قائلًا: "ستة وعشرون دولارًا! إنّه سعر باهظ. هل تعرف أنّه يمكنني الحصول عليها عبر الإنترنت بسعر أرخص؟". أجابه فكري وهو يصطحب الرجل نحو الباب بأنّه بالتأكيد يعلم ذلك. قال الرجل: "إنْ كنت تريد أن تكون قادرًا على المنافسة حقًّا، فعليك أن تخفض أسعارك".

أجابه فكري بلطف: "أخفض أسعاري؟ أخفض... الأسعار. لمْ تراودني الفكرة من قبل".

"هل بدوت فظًّا؟".

"لا، أنا ممتن لك، وفي اجتماع مساهمي آيلاند بوكس القادم سأثير هذا الاقتراح المبتكر الذي قدمته، فنحن نريد أن نبقى قادرين على المنافسة. في الحقيقة تخلينا عن المنافسة منذ فترة في مطلع هذا العقد، وأظنه كان خطأ، لكن مجلس الإدارة قرّر أنّه من الأفضل

ترك المنافسة للرياضيين الأولمبيين، وللأطفال في مُسابقات التهجئة، ولمنتجي أغذية الأطفال. في هذه الأيام يسعدني أن أبلغك بأنّنا في آيلاند بوكس سنعمل - بالتأكيد - في مجال المنافسة مجدّدًا". أشار فكري نحو باب الخروج مُردِفًا: "عذُرًا، حان وقت إغلاق المتجر".

بينما كان الرجل ذو المعطف الفضفاض يشقَ طريقه خارجًا من الباب، اعتلت امرأة عجوز العتبة، وهي زبونة دائمة، لذا حاول فكري أن يجمح غضبه لأنّها جاءت متأخرة، وقال: "آه، السيدة كومبرباتش... لسوء الحظ نحن على وشك الإغلاق".

"يا سيد فكري، لا تُشِح بنظرات عينيك الشبيهة بعيون عمر الشريف عنّي، فأنا غاضبة منك". اندفعتَ السيدة كومبرباتش متجاوزة إيّاه، وخبطت كتابًا سميكًا ورقيّ الغلاف على الطاولة، وقالت: "إنّ الكتاب الذي نصحتني به أمس كان أسوأ كتاب قرأته طوال حياتي الممتدة لاثنين وثمانين عامًا، لذا أريد استرداد أموالي".

نظر فكري إلى الكتاب ثم وَجّه نظره إلى المرأة العجوز قائلًا: "ما مشكلتك معه؟".

"مشكلات يا سيد فكري. بدايةً يرويه الموت! ثمّ إنني امرأة في الثانية والثمانين من عمري وليس من الممتع أن أقرأ قصة مؤلّفة من خمس وخمسين صفحة يسردها الموت. أعتقد أنّه اختيار متبلّد الإحساس بشكل ملحوظ".

اعتذرَ فكري لكنه لم يكن نادمًا. كيف يعتقد الناس أنّ الكتاب

يأتي مع ضمان لهم أنّهم سيحبّونه؟! تفحّص الكتّاب لاسترجاعه، لكن كان غلاف الكتّاب الخلفي مشقوقًا، لذا لن يكون قادرا على بيعه ثانية. لم يستطع كتم ما يريد قوله: "يا سيدة كومبرباتش، يبدو أنّكِ قرأتِه. أتساءل منذ متى حصلتِ عليه؟".

"نعم، لقد قرأته" أجابت: "بالتأكيد قرأته. لقد جعلني مستيقظة طوال الليل، وكنت غاضبة للغاية. في هذه المرحلة من حياتي أفضّل ألّا أكون مستيقظةً طوال الليل، كما أنني لا أودّ أن أذرف دموعي بالغزارة التي ذرفتها بسبب هذه الرواية. في المرة القادمة التي تنصح فيها بكتّاب، آمل أن تضع ذلك في الاعتبار يا سيد فكري".

قال: "سأفعل ذلك، أستميحكِ عذرًا سيدة كومبرباتش. معظم عملائنا يفضّلون (كتّاب اللص) (17)".

ما إن أغلق فكري المتجر حتى صعد إلى الطابق العلوي ليرتدي ملابس الجري. غادر من المدخل الأمامي للمكتبة، ولم يغلق الباب كعادته.

ركض فكري في سباق الضاحية في فريق مدرسته الثانوية، ثم ركض إلى (برينستون). وقد اختار هذه الرياضة أساسًا لأنه لم يكن لديه أيّ مهارة أخرى إلى جانب القراءة الدقيقة للنصوص. لم يفكر قط في أن جريه في سباق الضاحية موهبة كبيرة، لكن مدرب المدرسة الثانوية أخبره بودّ أنه وسيط يُمكن الاعتماد عليه حتى النهاية في الجزء المتقدم من أيّ مرحلة. في الآونة الأخيرة اعتزل الجري وتركه فترة من الزمن، مما جعله يعترف فيما بعد بأنّه كان موهبة،

ففي وضعه الراهن لا يستطيع أن يجري أكثر من ميلين بدون توقف، وقلّما كان يركض أكثر من خمسة أميال من دون أن يتأذى ظهره وساقاه وكل عضو منه. تبيّن أن الألم شيء جيد. اعتاد أنْ يقضي جريه بالهواجس، والألم يصرف انتباهه عن هذا التفكير غير المثمر.

بدأ الثلج يتساقط قبيل نهاية جولته، ولم يكن لديه رغبة في ترك أثر للطين داخل المنزل، لذا توقف عند الشرفة لخلع حذاء الجري. اتّكأ على باب المدخل، فانفتح متأرجحًا. كان يعلم أنه لم يقفله، لكنه على يقين أيضًا أنه لم يتركه مفتوحًا. شغّل الإنارة، وبدا كل شيء على ما يرام، وكذلك خزينة النقود. لعل الريح تسببت بفتح الباب. أطفأ الأنوار وكان على وشك صعود الدرج عندما سمع صوتًا باكيًا أشبه بزعاق الطائر، ثم تكرّر الصوت وبدا أشدّ هذه المرة.

أعاد فكري تشغيل الأنوار مرّة أخرى، ورجع إلى المدخل ثمّ شقّ طريقه في أروقة المكتبة كلها حتى وصل إلى الصّف الأخير، حيث قسم الأطفال والبالغين الذي يفتقر إلى التّرتيب، وإذ به يجد طفلة تجلس على الأرض، وفي حضنها كتاب «أين توجد الأشياء البريّة»(18)، وكان مفتوحًا وكأنها تصفحته حتى وصلت إلى منتصفه، وهو النسخة الوحيدة في المتجر، كما أنّه أحد الكتب المصوّرة القليلة التي لا يتنازل متجر (آيلاند) عن احتوائه. كانت طفلة كبيرة كما خمن فكري وليست حديثة الولادة، لكنه لم يستطع أن يقدر عمرها لأنّه لا يعرف في الواقع أيّ أطفال عن قربٍ أبدًا، وقد كان هو الطفل الأصغر في عائلته، وهو ونيك لم يكن لديهما أطفال. كانت الطفلة مرتدية سترة تزلّج ورديّة اللون، وشعرها بنيّ

فاتح اللون ومجعد للغاية، وعيناها زرقاوان زاهيتان، وتتمتع ببشرة داكنة لكنها أفتح من لون فكري. كانت مخلوقًا جميلًا.

- "من أنتِ بحقّ الجحيم؟" سأل فكري الطفلة.

- لسبب ما توقفت عن البكاء وابتسمت له، وأجابت: "مايا".

- بدا لـ فكري أنّه أمر سهل، فسألها: "كم مضى من عمركِ؟".

أشارت مايا بإصبعيها.

- "أتقصدين عامين؟".

ابتسمت مايا مرّة أخرى، ورفعت ذراعيها نحوه.

- "أين أمّكِ؟".

بدأت مايا بالبكاء مواصِلة رفع ذراعيها نحو فكري، ولأنّه ما من خيارات أخرى لديه، رفعها. كانت تزن ما لا يقل عن أربع وعشرين كرتونة من الورق المقوى، ثقيلة بما يكفي لإجهاد ظهره. لفّت الطفلة ذراعيها حول رقبته ولاحظ فكري رائحة لطيفة شبيهة بالبودرة وزيت الأطفال تفوح منها. من الواضح أنها ليست رضيعة مهملة، ولم تعامل بسوء. تبدو لطيفة، وأنيقة الملبس، وراضية وقنوعة. بالتأكيد سوف يعود المعنيّ بهذه الطفلة في أيّ لحظة ومعه تسويغ منطقي لذلك. هل تعطّلت سيارتهم؟ أو ربّما أصيبت أمّها بحالة مفاجئة من التّسمم الغذائي. في المستقبل سوف يعيد النظر في سياسة

فتح الباب. على الرغم من أنه تعرّض للسرقة من قبل، إلّا أنه لم يفكر مطلقًا في إمكانية ترك شيء ما له.

عانقته عناقًا أكثر قوة وإحكامًا. لاحظ فكري وجود دمية (إلمو) موضوعة على الأرض مع ملاحظة معلقة على صدرها الأحمر، ومثبتة بدبوس. أنزل الطفلة والتقط الدمية (إلمو) التي لطالما شعر نحوها بالازدراء وعدم الرضى؛ لأنها تُمثّل دور الشخصية الاتكاليّة.

"إلمو!" قالت مايا.

قال فكري: "نعم، إلمو". أزال المذكرة ثم أعطى الدمية للطفلة.

تقول المذكرة:

إلى مالك هذه المكتبة:

هذه مايا، وعمرها خمسة وعشرون شهرًا. إنها ذكية جدًا، وهي متحدثة بشكل استثنائي قياسًا لعمرها، وهي فتاة جميلة وعاقلة. أريدها أن تكون قارئة عندما تكبر، وأريدها أن تكبر في مكان مع الكتب وبين الأشخاص الذين يهتمون بهذه الأنواع من الأشياء. أحبها كثيرًا، لكنني لم أعد أستطيع الاعتناء بها. لا يمكن لأبيها أن يكون في حياتها، وليس لدي عائلة يمكنها مساعدتنا. أنا يائسة.

والدة مايا.

"اللعنة" قال فكري.

تبكي مايا مرة أخرى.

عاود حمل الطفلة، يبدو أن حفاضتها متسخة، وفكري لم يغير حفاضات في حياته أبدًا، على الرغم من أنه كان يغلف الهدايا بمهارة. بالعودة للوراء عندما كانت نيك على قيد الحياة، اعتاد متجر (آيلاند) أن يقدم هدية ملفوفة مجانية في عيد الميلاد، وهو يرى أن تغيير الحفاضات وتغليف الهدايا يجب أن يكونا من الكفاءات المتصلة ببعضها. بجانب الطفلة يوجد كيس، تمنى فكري بصدق أن يكون كيس حفاضات... الحمد لله، إنّه كذلك. غيّر للطفلة على أرضية المتجر محاولًا عدم تلطيخ السجادة أو النظر إلى أجزائها الخاصة كثيرًا. استغرق الأمر منه نحو عشرين دقيقة. الأطفال يتحركون أكثر من الكتب ولا يثبتون بشكل مريح. كانت مايا تراقب رأسه وهو يحركه، وشفتيه المزمومتين، وأنفه المجعّد.

قال فكري معتذرًا: "آسف مايا، لكنها لم تكن مغامرة ماتعة بالنسبة لي كذلك. كلما توقفت عن إسكات نفسك بسرعة أكبر، ارتحنا ونحن نقوم بذلك أكثر".

أجابت: "آسفة". فشعر فكري على الفور بالندم.

"لا، أنا آسف. لا أعرف أي شيء عن هذا. أنا أحمق".

كرّرت: "أحمق!"، ثم ضحكت.

عاود فكري لبس حذاء الجري، ثم حمل الطفلة والحقيبة والملاحظة

واتجه نحو مخفر الشرطة.

كان الضابط لامبياز على رأس عمله في تلك الليلة. يبدو أن هذا الرجل كثيرًا ما يكون حاضرًا في أهم لحظات حياة فكري. قدَّم فكري الطفلة إلى ضابط الشرطة هامسًا كي لا تستيقظ مايا الغارقة في النوم بين ذراعيه: "شخص ما تركَ هذه الطفلة في المتجر".

كان لامبياز في منتصف تناوله لكعكة مقلية، وهو فعلٌ حاول إخفاءه لأن الموقف أحرجه. أنهى لامبياز مضغ اللقمة التي في فمه، ثم قال لـ فكري بأسلوب غير مهني: "أوه، إنها تشبهك".

تابع فكري همسًا: "إنها ليست طفلتي".

"إذن، طفلة من؟".

"أعتقد أنها طفلة لزبون ما" مدَّ فكري يده إلى جيبه وأعطى لامبياز المذكّرة.

"أوووه، واو"، تعجّب لامبياز وقال: "تركتها أمها لك". فتحت مايا عينيها وابتسمت لـ لامبياز، فقال: "إنها صغيرة لطيفة، أليس كذلك؟"، ثم انحنى اتجاهها، فأمسكت بشاربه، "من أخذ شاربي؟" قال لامبياز بصوت طفولي مُضحِك: "من سرق شاربي؟".

"يا حضرة الضابط لامبياز، لا أعتقد أنك تبدي قدرًا مناسبًا من القلق هنا".

تنحنح لامبياز وسوّى ظهره قائلًا: "حسنًا، الأمر كالآتي: الساعة الآن التاسعة مساءً واليوم جمعة. سأجري مكالمة مع قسم الأطفال والأسر، لكن في هذا الجو ومع هطول الثلوج، وعطلة نهاية الأسبوع، ومواعيد رحلات العبّارات، أشك في أنَّ أي شخص سيكون هنا حتى يوم الاثنين على أقرب تقدير. سنحاول تعقب الأم وكذلك الأب، في حال ما إذا كان شخص ما يبحث عن الشقية الصغيرة".

قالت مايا: "أنا مايا".

"هل هذا اسمك؟" سألها لامبياز بصوت طفولي، "إنه اسم جميل للغاية". تنحنح لامبياز ثانية، "سيتعيّن على شخص ما مراقبة الطفلة خلال عطلة نهاية الأسبوع. يمكنني مع بعض رجال الشرطة الآخرين أن نتناوب على القيام بذلك هنا، أو...".

ردَّ فكري قائلًا: "لا، لا بأس. لا يبدو من الصواب إبقاء الطفلة في مخفر الشرطة".

سأله لامبياز: "هل لديك أي خبرة بخصوص رعاية الأطفال؟".

"ما مدى صعوبتها إن كانت فترة عطلة نهاية الأسبوع فقط؟ سأتصل بأخت زوجتي، وأي شيء يصعب عليها، سأبحث عنه في جوجل".

"في جوجل؟" سألت الطفلة.

"جوجل! إنها كلمة مشهورة جدًا! ومهمة" قال لامبياز: "حسنًا، سوف أطمئن عليك يوم الاثنين. إنّه عالم غريب، أليس كذلك؟ شخص ما يسرق كتابًا منك، وآخر يترك لك رضيعًا".

"هاها!" تعجّب فكري.

في الوقت الذي وصلوا فيه إلى الشقة انفجرت مايا بالبكاء، وجاء صوت من مكان من بين أبواق حفلة عشية رأس السنة الميلادية وجهاز إنذار الحريق. استنتج فكري أنّها جائعة، ولكن ليس لديه أدنى فكرة عن إطعام طفلة تبلغ من العمر خمسة وعشرين شهرا. رفع شفّتها لمعرفة إن كان لديها أسنان، فحاولت استخدامها بعضّه! كتب على غوغل سؤالًا: "ماذا أطعم طفلًا يبلغ من العمر خمسة وعشرين شهرا؟"، فجاءت الإجابة: إن معظمهم يجب أن يكونوا قادرين على تناول ما يأكله آباؤهم. ما لا يعرفه غوغل هو أن معظم ما يأكله فكري مثير للاشمئزاز، فبرادّه يحتوي على مجموعة متنوعة من الأطعمة المجمدة، وكثير منها حارّ، فاتصل بإيسماي أخت زوجته كي تساعده.

"متأسف على إزعاجك" قال: "لكنني كنت أتساءل ماذا يجب أن أطعم طفلة عمرها خمسة وعشرون شهرا؟".

سألته إيسماي بصوت مرتفع: "لماذا تسأل عن هذا؟".

بدأ يشرح لها أن شخصًا ما قد ترك طفلة في متجره. صمتت لبرهة، ثم قالت إنها ستأتي في الحال.

سألها فكري: "هل أنتِ متأكدة؟". كانت إيسماي حاملًا بشهرها السادس، ولم يكن يريد إزعاجها.

"نعم، متأكدة. وأنا مسرورة لأنَّك اتصلت. الروائي الأمريكي العظيم خارج المدينة، وأنا أعاني من الأرق منذ أسبوعين".

بعد أقل من نصف ساعة وصلت إيسماي ومعها كيس فيه بعض الأغراض التي حملتها من مطبخها؛ بعض الخضار لإعداد السلطة، وطبق لازانيا، ونصف شطيرة تفاح.

قالت: "هذا أفضل ما يمكنني فعله في غضون مهلة قصيرة".

"هذا ممتاز، إن مطبخي عبارة عن مهزلة".

قالت: "مطبخك يبدو كمسرح جريمة".

ما إن رأت الطفلة إيسماي حتى بدأت بالزعاق، فقالت إيسماي: "لا بدَّ أنها اشتاقت لوالدتها، أو ربّما ذكّرتُها بأمها؟". هزَّ فكري رأسه موافقًا رغم أنه يعتقد أن السبب الحقيقي هو أن أخت زوجته أرعبت الطفلة. كان لإيسماي شعر أحمر بقصة أنيقة؛ قصَّة السبايكي، وكانت بشرتها شاحبة، وعيناها كذلك، وأطرافها نحيلة، ملامحها كلها كبيرة، وحركاتها مفعمة بالحيوية بعض الشيء، وحامل، إذ تبدو جميلة مثل (غولوم) (19)، حتى صوتها كان منفّرًا للطفل، لأنه رقيق ومدرّب على الإلقاء المسرحي، وعندما تصدح به يملأ الغرفة. عرفها فكري منذ خمس عشرة سنة تقريبًا. اعتقد أن إيسماي قد تقدمت بالسن بشكل

جعلها تشبه بعض الممثلات، من جولييت إلى أوفيليا إلى جيرترود إلى هيكاتي.

سخّنت إيسماي الطعام، وسألته: "هل تريد مني إطعامها؟".

حدّقت مايا بـ إيسماي بشكل مثير للريبة، فأجاب فكري: "لا، سأتولى أنا ذلك". التفت إلى مايا، وقال: "هل تجيدين استخدام الأواني؟".

لم ترد مايا.

قالت إيسماي: "ليس لديك كرسي للأطفال. عليك أن تبتكر هيكلاً ما حتى لا تسقط".

وضع مايا على الأرض، ويبني ثلاثة جدران من أكوام الكتب المعدّة للمراجعة، ثم يثبّتها بوسائد السرير لتبدو كقلعة.

ابتلعت الملعقة الأولى من اللازانيا من دون أي جهد. قال: "يبدو الأمر سهلاً".

في الملعقة الثانية دارت مايا رأسها في اللحظة الأخيرة ناثرة الصلصة في كل مكان وعلى فكري، وعلى وسائد السرير، وأسفل الكتب. التفتت مايا إليه، وابتسامة كبيرة تعلو وجهها، كما لو أنها مازحته مزاحًا ذكيًا نال إعجابه.

"آمل أنك لم تكن تخطط لقراءة هذه" قالت إيسماي.

بعد العشاء، وضعوا الطفلة إلى جانب السرير على الأريكة في غرفة النوم الثانية.

سألته إيسماي: "لماذا لم تترك الطفلة في مخفر الشرطة؟".

"لم أشعر أنه أمر صائب" أجاب فكري.

فركت بطنها وهي تسأله: "أنت لا تفكر بالاحتفاظ بها، أليس كذلك؟".

أجاب: "بالطبع لا، سأعتني بها حتى يوم الاثنين فقط".

"أظن أن الأم ستغير رأيها وستحضر حتى حلول ذلك الوقت" قالت إيسماي.

أعطى فكري المذكرة لـ إيسماي لقراءتها.

قالت إيسماي: "إنَّهُ لأمر سيئ".

"أتفق معكِ، لكن لا يمكنني القيام بذلك. لا أستطع التخلي عن طفلي أو طفلَتي في محل لبيع الكتب".

قالت إيسماي مُستهجنة: "ربما للفتاة أسبابها".

"كيف تثبتين أنَّها كانت فتاة؟" سألها فكري: "قد تكون امرأة في منتصف العمر استنفدت حيلها".

"حسبما أعتقد، وبناءً على نبرة الرسالة بدت لي فتاة، وربما خط اليد يشي بذلك أيضًا". خللت إيسماي أصابعها من خلال شعرها القصير قائلة: "بغض النظر عن هذا كله، كيف حالك؟".

"أنا بخير" قال فكري وهو مُدرِك أنَّه لم يفكر بكتّاب (تيمورلنك) أو نيك لساعات.

غسلت إيسماي الأطباق على الرغم من أنَّ فكري طلب منها أن تدعها.

قال فكري مؤكدًا: "لن أحتفظ بها، فأنا أعيش بمفردي، وليس لدي كثير من المال، وأعمالي التجارية ليست مزدهرة تمامًا".

"بالطبع لا" قالت إيسماي: "لن يكون ذلك منطقيًّا مقارنة مع نمط حياتك". جففت الأطباق ثم وضعتها جانبًا، وقالت: "لن يضرك تناول الخضروات الطازجة من حين لآخر".

قبّلته إيسماي على خده، فتراءى لـ فكري أنها تشبه (نيك) ولا تشبهها. في بعض الأحيان يجد صعوبة في تحمّل النظر إلى ملامحها التي تشبه ملامح نيك كوجهها، وشكلها، أما عقلها، وقلبها فمختلفان جدًا، لذا فهو لا يأبه بها.

"إن احتجت إلى مزيد من المساعدة فأخبرني" قالت إيسماي.

على الرغم من أن نيك كانت الأخت الصغرى، إلا أنّها كانت

دائمًا قلقة بشأن إيسماي، فمن وجهة نظر نيك كانت أختها الأكبر منها دليلًا تمهيديًا يوضح لها ما ينبغي عليها تجنبه في أسلوب حياتها إثر نتائجه المرئية المتمثلة في أختها الكبرى!

اختارت إيسماي إحدى الكُلِّيَّات لأنها كانت تحبّ الصّور الموجودة في الكتيّبات الخاصة، وتزوَّجت من رجل لأنّه بدا رائعًا في بدلة السهرة، وزاولت التدريس لأنها شاهدت فيلمًا عن مدرس ملهم. كانت نيك قد قالت: "مسكينة إيسماي! دائمًا ما ينتهي الأمر بها بخيبة أمل كبيرة".

ظنَّ فكري أنَّ (نيك) كانت ستطلب منه أن يكون ألطف مع أختها، فسألها: "ما أخبار أعمال الإنتاج؟".

ابتسمت إيسماي وبدت كطفلة صغيرة، وأجابت: "عجبًا يا فكري لم أكن أعرف أنّك قد علِمت بذلك".

قال فكري: "البوتقة... أتى أطفال إلى المتجر لشراء نسخ منها".

"نعم، هذا منطقي. مسرحية فظيعة حقًا، لكن الفتيات يُعبِّرن بالهتاف والصراخ حين يستمتعن بأمر ما، أما عن نفسي فأنا لست كذلك، كنت أحمل معي دائمًا زجاجة من (تايلينول) إلى التدريب. لكنْ لعلّهن في خضمّ هذا الصراخ كله، يتعلّمن القليل عن التاريخ الأمريكي. في الحقيقة السبب الحقيقي لاختيار العمل هو كثرة الأدوار النسائية... وتكون الدموع أقلّ عندما أنشر القائمة كما تعلم. لكن الآن، ومع اقتراب قدوم الطفل، بدا الأمر جيدًا، وأصبح

دراميًا أكثر".

ولشعور فكري بأنه ملزم بها بسبب مجيئها ومعها الطعام، تطوّع بمساعدتها، فقال: "ربما أستطيع طلاء الشقق، أو طبع البرامج، أو أي شيء آخر؟".

أرادت أن تقول: (هذا ليس من شيمك)، لكنها قاومت ذلك. بصرف النظر عن زوجها، اعتقدت أن صهرها واحد من أكثر الرجال الذين قابلتهم أنانية على الإطلاق، ومن أولئك الذين لا يهتمّون إلّا بأنفسهم. لكنْ إذا كان بإمكان طفل في فترة ما بعد الظهيرة أن يبعثر كيان فكري، فتخيل ما يمكن أن يحدث لدانيال عند ولادة طفله. ما بان على صهرها، بعث فيها الأمل. مسّدت بطنها، ثمة جنين هنا، وقد اختاروا له اسمًا أصليًا وآخر احتياطيًّا إذا لم يكن الاسم الأصلي مناسبًا.

• • •

بعد ظهيرة اليوم التالي، ما إن توقف الثلج وبدأ بالذوبان حتى تحول إلى وحل، قذفت الأمواج جسدًا ما على الشريط الصغير من اليابسة بالقرب من المنارة. وبينت الهوية الموجودة في جيبها اسم ماريان والاس، ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلاً حتى استنتج لامبياز أن الجسد والطفلة المتروكة مرتبطان ببعضهما.

ليس لدى ماريان والاس معارف في (أليس)، ولا أحد يعرف سبب وجودها هنا، أو لرؤية من جاءت، أو لماذا قررت قتل نفسها

غرقًا في المياه الجليدية لساوند آيلاند أليس في ديسمبر. وهذا يعني أنه ما من أحد يعرف الحقيقة. يعرفون أن ماريان والاس سوداء وأنّ عمرها اثنان وعشرون عامًا، ولديها طفلة صغيرة تبلغ من العمر خمسة وعشرين شهرًا. وفقًا لهذه الحقائق، يمكنهم إضافة ما كتبته في مذكرتها لـ فكري، وهكذا انبثقت قصة غير مكتملة ولكنها كافية لأن يخلص القانون إلى أنّ ماريان والاس انتحرت، لا شيء أكثر من ذلك.

مع نهاية الأسبوع، تكشّفت المزيد من المعلومات حول ماريان والاس، حيث كانت قد جاءت إلى هارفارد بمنحة دراسية، كما كانت سبّاحة في بطولة ولاية ماساتشوستس، وكاتبة مبدعة متعطشة. ولدت في روكسبري، والدتها ماتت بالسرطان عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، وبعد عام وللسبب ذاته توفيت جدّتها، وكان والدها مدمن مخدرات. أمضت سنوات الدراسة الثانوية في دار رعاية للأيتام وخارجها. تذكر إحدى الأمهات الكافلة لماريان الشابة أنّه لطالما كانت الدراسة همّها. ما من أحد يعرف والد طفلتها، وما من أحد يتذكّر على الأقل أنَّ لها عشيقًا. حُرِمت من استحقاق الدراسة في الكلية لأنها فشلت في مواد الفصل السابق جميعها... حيث أصبحت متطلبات الأمومة والبرنامج الأكاديمي الصارم أكثر عِبئًا. كانت جميلة وذكية، ما جعل موتها مأساة. كانت فقيرة وسوداء، مما جعل الناس يتنبؤون بمأساتها.

ليلة الأحد، توقف لامبياز عند متجر الكتب ليطمئنّ على مايا، وليخبر فكري بما استجد. لديه العديد من الأشقاء الأصغر سنًا، وطلب مشاهدة مايا حينما كان فكري يهتمّ بالمتجر.

"هل لديك مانع؟".

سأله فكري: "هل لديك مكان تذهب إليه؟".

كان طلاق لامبياز حديثًا، وقد تزوّج من حبيبته في المدرسة الثانوية، لذلك استغرق الأمر وقتًا طويلًا ليدرك أنها لم تكن - في الواقع - حبيبة أو فتاة لطيفة على الإطلاق. في نقاشاتهما كانت مولعة بنعته بالغبي والسمين، لكنه لم يكن غبيًّا على الرغم من أنه لم يكن قارئًا نهمًا ولا مسافرًا جيدًا، ولم يكن سمينًا على الرغم من أن بنيته كانت أشبه بـ (البلدغ) (20)؛ فرقبته ذات عضلات ثخينة وساقاه قصيرتان، وأنفه عريض مسطّح، كان يبدو وكأنه بلدغ أمريكيّ قويّ وليس إنجليزيًّا.

لم يكن لامبياز توّاقًا لزوجته، لكنه يفتقد إلى مكان يذهب إليه بعد العمل.

انحنى نحو الأرض وسحب مايا إلى حضنه. وبعد أن غفت مايا، أخبر لامبياز (فكري) بالأمور التي علمها عن أمها.

قال فكري: "الغريب بالنسبة لي هو سبب وجودها في جزيرة أليس في المقام الأول، إنّ الوصول إلى هنا نوع من أنواع العذاب كما تعلم، حتى إن والدتي لم تزرني إلا مرة واحدة طيلة السنوات التي عشت فيها هنا. هل تعتقد حقًا أنها لم تأتِ لرؤية شخص معين؟".

غيّر لامبياز مكان مايا في حضنه قائلًا: "لقد كنت أفكر في ذلك،

ربما لم يكن لديها خطة للمكان الذي ستذهب إليه، وربما كانت قد استقلت القطار الأول ثم الحافلة الأولى ثم القارب الأول وهذا ما انتهى إليه الأمر".

هزَّ فكري رأسه موافقًا بلباقة، إلّا أنّه لم يكن يُؤمن بالأفعال العشوائيّة، إنه قارئ، وكل ما يؤمن به هو البناء السردي، فإذا ظهرت بندقية في الفعل الأول، كان من الأفضل أن تنفجر هذه البندقية في الفعل الثالث.

"ربّما أرادت أن تموت في مكان ذي مناظر طبيعية خلّابة". أضاف لامبياز: "لذلك ستأتي سيدة من قسم رعاية الأطفال والأسر للحصول على هذه الباقة الصغيرة من الفرح يوم الاثنين. وبما أنّ الأم لم يكن لديها أيّ عائلة، ونسبها مجهول، فسيتحتّم عليهم إيجاد منزل لتبنّيها".

- عدّ فكري النقود الموجودة في صندوق الحسابات: "نظام قاسٍ للأطفال، أليس كذلك؟".

- "ربّما" قال لامبياز: "لكن من المحتمل أن تبلي هذه الشابة بلاء حسنًا".

- عدّ فكري النقود مجددًا: "قلتَ إنّ أمّها كانت تخضع لنظام التّبنّي؟".

هزَّ لامبياز رأسه موافقًا.

- "ربما افترضت أنّ الطفلة ستحظى بفرصة أفضل في متجر لبيع

الكتب".

- "من يستطيع قول ذلك؟".

- "لست رجل دين أيها الضابط لامبياز، ولا أؤمن بالقدر على خلاف زوجتي".

في تلك اللحظة، استيقظت مايا ووضعت ذراعيها على فكري، فأغلق صندوق الحسابات، وأخذها من لامبياز. ظن لامبياز أنَّه سمع الفتاة الصغيرة تنادي لفكري (أبي).

- قال فكري: "آه، أوصيتها بعدم مناداتي بذلك، لكنّها لا تصغي إليّ".

- "للأطفال أفكارهم" قال لامبياز.

- "هل تودُّ شرابًا؟".

- "بالتأكيد. لِمَ لا؟".

قفل فكري الباب الأمامي للمتجر واتجه نحو الدرج. وضع مايا على الأريكة وخرج إلى الغرفة الرئيسة في المنزل.

"لا يمكنني الاعتناء بطفل رضيع" قالها بحزم: "لم أنم على مدار ليلتين. إنها رهيبة! تستيقظ في أوقات مجنونة؛ تستيقظ في الساعة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة صباحًا، ويبدو أن هذا التوقيت بداية يومها. أنا

أعيش وحيدًا، كما أنني فقير، ولا يمكنني تربية طفل بالاعتماد على الكتب بمفردي".

"إنّك محق" قال لامبياز.

"بالكاد ألملم شتات نفسي" تابع فكري: "إنّها أسوأ من جرو، ورجل مثلي لا ينبغي أن يكون لديه جرو. حتى إنها ليست مدربة على دخول الحمّام، وليس لديّ أدنى فكرة عن كيفية القيام بأشياء كهذه، وكل ما يتعلق بذلك أيضا. علاوة على ذلك، لم أكن أحب الأطفال بتاتًا. أحببت مايا، ولكن... المحادثة معها لا تعدو التحدث عن (إلمو) على أقل تقدير، ولا يمكنني تحمله، كما أنها أنانيّة بشكل مطلق!".

قال لامبياز: "إنّ ميول الأطفال يكون على هذا النحو، ومن المحتمل أن تتطوّر محادثتكما عندما تكتسب مزيدًا من الكلمات".

"وهي ترغب دائمًا بقراءة الكتاب نفسه، وهو من كتب الأطفال الأكثر غرابة؛ (الوحش في نهاية هذا الكتاب) (21)".

قال لامبياز إنه لم يسمع به.

ضحك فكري قائلًا: "حسنًا، صدقني لديها ذوق رهيب في الكتب".

هزّ لامبياز رأسه موافقًا وهو يشرب النبيذ، وقال: "لم يقل أحد إنّك مُلزم بالاحتفاظ بها".

"نعم، نعم، بالطبع. ولكن هل تعتقد أنه يمكنني أن أبقى مكتوف

اليدين حيال ذلك؟ إنّها مخلوق صغير وفي منتهى الذكاء، وكأنها تعرف بالفعل الحروف الأبجدية وأنا من جعلها تتقن الترتيب الأبجدي، ولن أطيق رؤيتها مع بعض الحمقى الذين لا يقدّرون ذلك. كما كنت أقول من قبل، أنا لا أؤمن بالقدر، لكنني أشعر بالمسؤولية اتجاهها، فقد أودعتها تلك المرأة الشابة في رعايتي".

"كانت تلك الشابة فاقدة لصوابها" قال لامبياز: "لقد كانت على بعد ساعة واحدة من إغراق نفسها".

"نعم"، قطَّب فكري حاجبيه: "إنّك على حق". أتت صرخة من الغرفة الأخرى فاستأذن فكري قائلًا: "يجب أن أطمئن عليها".

• • •

بحلول عطلة نهاية الأسبوع، أصبحت مايا بحاجة إلى الاستحمام. على الرّغم من أنّه يفضل ترك مثل هذا النشاط الحميم لمركز ولاية ماساتشوستس، إلا أن فكري لم يرغب بتسليمها للخدمات الاجتماعية لأنها تبدو وكأنها صورة مصغّرة عن ملكة جمال (هافيسهام). حاول فكري مرارًا أن يبحث عبر غوغل عن مراسم الاستحمام؛ كدرجة حرارة الماء المناسبة لاستحمام طفل يبلغ من العمر عامين، وهل يمكن له استخدام شامبو البالغين؟ وكيف ينظف الأب الأجزاء الخاصّة لفتاة تبلغ من العمر عامين من دون أن يفسد أخلاقها؟ ونسبة ارتفاع الماء بالحوض لطفل صغير، وكيفيّة تجنيبه الغرق عن طريق الخطأ في الحوض، والقواعد العامة لسلامة الحمام... وهلمّ جرّا.

غسل شعر مايا بشامبو بنبات القنب، كان يعود لـ نيك.

بعد فترة طويلة من التّبرع أو التّخلص من أغراض زوجته، لم يحتمل أن يتخلّى عن أشيائها الخاصّة بالحمام.

نشّف شعرها، وبدأت مايا بالغناء.

- "ماذا تُغنّين؟".

- أجابت: "أغنية".

- "ما هذه الأغنية؟".

- "لا لا بويا لا لا".

- ضحك فكري: "نعم، إنّها غير مفهومة بالنسبة لي يا مايا".

رشّت الماء عليه

- "هل أنتَ أمّي؟" سألته بعد برهة.

- أجابها فكري: "لا، أنا لستُ أمّك".

- "لقد ذهبتْ" قالت مايا.

- "نعم" قال فكري: "وربّما لن تعود".

- فكّرت مايا في هذا الأمر ثم هزّت رأسها وقالت: "غنِّ".

- "لا أحبُّ الغناء".

- كرّرت: "غنِ".

بما أنّ الفتاة فاقدة لوالدتها، فمن المفترض أنَّ هذا أقل ما يمكن أن يفعله.

لم تُتح له فرصة البحث عبر غوغل عن أغانٍ مناسبة للأطفال. وقبل أن يلتقي بزوجته كان قد عمل بالغناء بصفته تينور ثان(22) في فرقة الـ (فوت نوتس)، وهي فرقة كابيلا(23) الموسيقية من جامعة برينستون. وعندما وقع في حبّ نيك عانت فرقة الـ (فوت نوتس) منه، فقامت بعزله بعد غياب عن البروفات لفصل كامل. بدأ يستحضر آخر عرض قدّمته فرقة الـ (فوت نوتس)؛ العرض الذي كان أشبه بتكريم لموسيقا الثمانينات.

في حوض الاستحمام، تابع البرنامج عن كثب، حيث بدأ بأغنية «تسعة وتسعون بالونًا»، ثم انتقل إلى أغنية «اخرجي من أحلامي، وادخلي في سيارتي»، واختتمها بأغنية «حبّ في المصعد»، ثم شعر بالحماقة.

صفّقت له عندما انتهى، وطلبت منه قائلة: "أعِدْ، أعِدْ".

"هذا العرض يُؤدّى مرّة واحدة". رفعها من الحوض ثم جففها

بالمنشفة، ومسْح ما بين أصابع قدميها.

"يا بالون" قالت مايا: "أحبك".

"ماذا؟".

"أحبك" قالت.

"لقد طُرِبْتِ كثيرًا بسحر غناء الكابيلا".

أومأت برأسها معربة عن موافقتها قائلة: "أحبّك".

"تحبينني؟ أنتِ لا تعرفينني" قَال فكري: "إنّكِ فتاة صغيرة، لا يجبِ أنْ ترمي حبّكِ بسهولة هكذا". يضمّها إليه، ويقول: "حققنا نجاحا مُبهرًا، وهذا مفرِح بالنسبة لي بعد أن أمضيتُ اثنتين وسبعين ساعة لا تنسى، لكن بعض الناس لا ينبغي أن يكونوا في حياتك إلى الأبد".

نظرتْ إليه بعينيها الزرقاوين الكبيرتين المرتابتين مكررة قولها: "أحبّك".

جفّفَ فكري شعرها ثم شمّ رأسها، وقال: "أنا قلق بشأنك، إنْ كنتِ تحبّين الجميع، فسيؤول بكِ الأمر إلى الشعور بالألم معظم الأوَقات. وأعتقد أن صغر سنّكَ هو ما جعلك تشعرين وكأنّك تعرفينني منذ وقت طويل. إنّ وجهة نظرِك للوقت مشوّهة جدًا يا مايا. لكنني كبير في السن وقريباً ستنسين أنّك عرفتِني".

قرعت مولي كلوك باب الشقة، وقالت: "ثمّة موظفة حكوميّة في الطابق السفلي. هل من المناسب أن أجعلها تصعد إليك؟".

هز فكري رأسه موافقًا.

ضمَّ مايا إلى حضنه، وانتظرا الأخصّائيّة الاجتماعيّة مستمِعَين إلى صرير درجات السلّم وهي تصعد. قال: "والآن، لا تخافي يا مايا. سوف تجد هذه السيدة منزلًا مُناسبًا لك أفضل من هنا، فكما تعلمين؛ لا يمكنك قضاء بقية حياتك وأنت تنامين على أريكة، فنوع الأشخاص الذين يقضونَ حياتهم كضيوف دائمين على أريكة ليسوا ممّن تودِّين معرفتهم".

كان اسمها «جيني»، وفكري لا يتذكّر أنّه قابل امرأة بالغة تدعى «جيني» من قبل، لو كانت جيني كتابًا، لكانت أشبه بكتاب عاديّ، وغير مألوف، وبلا أوراق مطوية، غلافه ورقيّ وغير مجعد. كان فكري سيفضل أخصائيّة اجتماعية بملابس واضحة، فقد تخيل سيرتها على خلفية قِصة جيني؛ عندما تولت السيدة جيني من فيرفيلد بولاية كونيتيكت وَظيفة أخصائيّة اجتماعية في المدينة الكبيرة، لم يكن لديها أدنى فكرة عمّا أقحمت نفسها به.

سألها فكري: "هل هذا أول يوم لك؟".

أجابت جيني: "لا... لكن بدأت مزاولة هذا العمل منذ فترة وجيزة". ابتسمت جيني في وجه مايا قائلة: "يا لكِ من جميلة!".

انكفأت مايا بوجهها ودسّته في قميص فكري.

"يبدو أنّكما متعلقان ببعضكما جدًا". دوّنت جيني ملاحظة في مدونتها. "إذن، يبدو الأمر هكذا؛ سأعيد مايا إلى بوسطن، وبصفتي مرشدتها الاجتماعيّة سأملأ بعض الاستمارات الورقيّة لها، فهي - طبعًا - لا تستطيع فعل ذلك بنفسها. وسيقيّمها طبيب وأخصائي نفسي".

قال فكري: "إنّها منسجمة معي، وحالتها الصحيَّة تبدو جيدة إلى حدٍ ما".

"من الجيد أنَّك لاحظت ذلك. سيبحث الأطباء في سبب تأخر نموها، والأمراض، وأشياء أخرى قد لا تكون واضحة للأشخاص العاديين، بعد ذلك ستوضع مع إحدى الأسر الكافلة التي نالت الموافقة مسبقًا، و...".

قاطعها فكري قائلًا: "كيف تنال الأُسَرُ الكافلة القبول؟ أهي عملية حصول على بطاقة ائتمان متجر ما كي تكون بهذه السهولة؟".

"ها ها. لا بالطبع، هناك خطوات كثيرة؛ منها: ملء الاستمارات، والزّيارات المنزليّة...".

قاطعها فكري مرّة أخرى: "ما أقصد قوله يا جيني هو كيف تتأكدين من أنّكِ لا تضعين طفلاً بريئًا مع مريض نفسي؟".

"حسنًا، سيد فكري، نحن بالتأكيد لا نبدأ من وجهة النظر القائلة

إن كل من يريد أن يتبنّى طفلاً هو شخص مختل عقليًّا، لكنّنا نفحص أسرنا الكافلة جميعها فحصًا واسعًا ودقيقًا".

"حسنًا، أنا قلق لأنّ...، لأنَّ مايا ذكيّة جدًا، لكنّ ثقتها بالناس عمياء" قال فكري.

"سأدوِّن ذلك: ذكيَّة لكنّ ثقتها مفرطة، وتتمتّع بنظرة ثاقبة". دوَّنت جيني ذلك، وابتسمت لـ فكري قائلة: "بعد أن أضعها في حال الطوارئ، عند أسرة كافلة مُستقرّة نفسيًّا، سأذهب للعمل مجددًّا، وأحاول معرفة ما إذا كان أي شخص من عائلتها يُطالب بها، فإذا لم أجد، فسوف أبدأ بمحاولة إيجاد وضع دائم لها".

"تعنين بذلك بأن أحدًا سوف يتبنّاها".

"نعم، تمامًا". لم تكن جيني مضطرّة لشرح هذا كلّه، لكنها تحب أنْ تُشعِرَ فاعلي الخير أمثال فكري أنّ وقتهم لم يذهب سُدى. أردفت: "بالمناسبة، عليّ أنْ أشكركَ حقًّا، فنحن بحاجة إلى مزيد من فاعلي الخير أمثالك". مدّت ذراعيها إلى مايا قائلة: "هل أنتِ جاهزة يا حبيبتي؟".

ضمَّ فكري مايا آخذًا نفسًا عميقًا. هل سيفعل ذلك حقًّا؟ {نعم سأفعل ذلك يا إلهي}. "لقد قلتِ إنَّ مايا ستوضَع في دار أيتام مؤقتة؟ ألا يمكنني أن أكون (أنا) دار الأيتام تلك؟".

زمَّت الأخصائيّة الاجتماعيَّة شفتيها وقالت: "إنَّ الأسر الكافلة

جميعها قدمت لدينا طلبات يا سيد فكري".

"كل ما في الأمر...، أنني أعرف أنَّها ليست أرثوذكسية، لكنّ أمها تركت لي هذه الملاحظة". سلّم الملاحظة لـ جيني. "أرادت أن تكون هذه الطفلة عندي كما ترَين، وهذه أمنيتها الأخيرة، كما أعتقدُ أنَّه من الصواب أن أحتفظ بها، ولا أريد أن تنتقل إلى دار أيتام إن كانت تحظى بمنزل جيد هنا، وقد بحثت ليلة أمس عبر غوغل من أجل العناية بها".

"غوغل!" تعجّبت مايا.

"لقد أُعجبتْ بهذه الكلمة، ولا أدري لماذا".

سألت جيني: "ما الخطب؟".

شرح فكري: "لستُ مُلزمًا بتسليمها عندما تكون رغبة أمها هي بقاؤها عندي".

"أبتي" قالت مايا هذه الكلمة فجاءت كما لو أنَّها إيحاء لفكري.

حوّلت جيني ناظريها من فكري إلى مايا، كلاهما كانا مُصمّمَين على الفكرة نفسها تصميمًا مزعجًا. تنهدت، وكانت قد ظنَّت أن فترة ما بعد الظهيرة ستكون سهلة، لكنّها بدأت تتعقد الآن.

تنهَّدت جيني مرَّة أخرى. لم يكن هذا يومها الأول، على الرغم من أنّها لم تكمل سوى درجة الماجستير في العمل الاجتماعي قبل ثمانية

عشر شهراً، مما يعني أنها إما ما زالت غرّة، أو ليس لديها خبرة كافية لمساعدتهما. ثم فكرت بأنه رجل يعيش فوق المتجر بمفرده، وخمّنت أنَّ العمل بالمعاملات سيكون مثيرا للسخرية، فقالت: "ساعدني للخروج من هنا يا سيد فكري، أخبرني أن لديك خلفية في التعليم أو تنمية الأطفال أو ما شابه".

"امممم... كنت في طريقي للحصول على درجة الدكتوراه في الأدب الأمريكي قبل أن أترك ذلك من أجل فتح مكتبتي هذه، كتبت عن إدغار آلان بو، رواية (سقوط منزل آشر) وهي تعد مقدمة لائقة عمّا لا يجب فعله مع الأطفال".

"هذا جزء من القضيّة...". قالتها جيني وهي تعني أن هذا الشيء لا جدوى منه مطلقًا. "هل أنت متأكد من أنك متفرغ لهذا؟ إنه التزام عاطفي، ومالي ضخم، ومستغرق للوقت كذلك".

أجاب فكري: "لا، لستُ متأكدًا. لكنني أعتقدُ أنَّ مايا لديها فرصة جيدة معي مثل أي شخص آخر، أستطيع مراقبتها في أثناء عملي، وأعتقد أننا نحب بعضنا".

قالت مايا: "أحبك".

"نعم، إنها دائمًا تقول ذلك" قال فكري: "على الرغم من أنني حذرتها من منح الحب الذي لم تكسبه بعد، لكن بصراحة أعتقد أنّ لـ إلمو تأثير خبيث في ذلك، إنّه يحبّ الجميع، أتعلمين ذلك؟".

قالت جيني: "أنا معتادة على إلمو".

شعرت برغبة بالبكاء، إذ سيكون لديها كثير من المُعاملات الورقيَّة لتثبيت الكفالة، وستكون عملية التبني أشبه برحلة عذاب عسير، وجيني هي الجهة التي يتعين عليها القيام برحلة مدتها ساعتان إلى جزيرة أليس في كل مرة يتعين على شخص من مركز الرعاية الاطمئنان على مايا وفكري. "حسناً، أنتما الاثنان، عليّ الاتصال بمديري". كانت الفتاة جيني برنشتاين نتاج والدين مستقرين ومحبين من ميدفورد ماساتشوستس، عشقت قصص الأيتام مثل آن في المرتفعات الخضراء(24)، والأميرة الصغيرة(25). وبدأت مؤخراً بالشك في أن التأثير الشرير للقراءة المتكرّرة لهذه القصص هو ما دفعها إلى اختيار مهنة العمل الاجتماعي. لكن عمومًا اتضح لها فيما بعد أن المهنة أقل رومانسية من قراءاتها التي دفعتها إلى اعتقادها الجميل عنها. بالأمس اكتشف أحد زملائها السابقين في الدراسة أمًا كافلة جوّعت صبياً يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، حتى صار وزنه اثنين وأربعين رطلاً. تراءى للجيران جميعًا أن المراهق كان طفلاً عمره ست سنوات. قال زميل الدراسة: "ما زلت أريد أن أؤمن بالنهايات السعيدة، لكن الأمر يزداد صعوبة". ابتسمت جيني لـ مايا، وخمنت أنها ستكون فتاة محظوظة.

• • •

في عيد الميلاد ذاك وبعد أسابيع تلته، عجّت (أليس) بالأخبار التي تفيد بأنَّ (فكري) الأرمل صاحب متجر بيع الكتب تبنى

طفلة مشرَّدة، إنّها القصة الأكثر إثارة في أليس منذ سرقة كتّاب تيمورلنك، وما يثير الاهتمام بشكل خاص هو شخصية فكري. لطالما اعتبرتِ المدينة أنه متكبر وباردِ المشاعر، وبدا أنه من غير المعقول أن يتبنَّى مثل هذا الرجل طفلةً لمجرد أنها تُركتِ في متجره. روى بائع الزهور في البلدة قصة فحواها: أن نظارة شمسيَّة نُسِيت في (آيلاند بوكس) وبعد أقل من يوم واحد رماها (فكري) خارج المتجر، وقال إنه لا يوجد في متجره قسم للإبلاغٍ عن المفقودات وتسليمها. هذا ما حدث ل (راي بانز) اللطيف جداً!. "هل يمكنك أن تتخيل ماذا سيحدث لمثل هذا الإنسان بحق؟"، كما أنهم طلبوا من فكري لسنوات المشاركة في حياة البلدة؛ في مساندة فرق كرة القدم، أو رعاية مبيعات الخبز، أو شراء الإعلانات في الكتّاب السنوي للمدرسة الثانوية، لكنه كان دائمًا ما يرفض وبأسلوب غير مؤدب أيضًا. استنتجوا الآن أن (فكري) قد تعب وتغير منذ أن فقد كتّاب تيمورلنك.

أمهات أليس خَشِين على الطفلة من الإهمال، فكيف يمكن لرجل أعزب أن يربّي طفلة؟ لذا جعلوها قضيتهم، وكانوا يتوقفون عند متجره كلما أتيح لهم ذلك لإسداء النصح له، ولإعطائه الهدايا الصغيرة أحيانًا، كأثاث أطفال قديم، وبعض الملابس، والبطانيات، وألعاب الأطفال. فوجئت الأمهات برؤية مايا الصغيرة نظيفة وسعيدة ومكتفية على الدوام. وكن يتشاجرن حول خلفية قصة مايا المأساويّة بعد مغادرتهن المتجر.

فكري من جانبه لم يكن لديه مانع من الزيارات، وكان يتجاهل

النصائح. أمّا الهدايا فيقبلها (رغم أنّه يعتني بها، وينظفها بسخاء بعد مغادرة النساء). كما أنّه كان على دراية بالثرثرة اللاحقة للزيارة ويقرّر تجاهلها كي لا تزعجه. كان يترك زجاجة معقم فوري على الطاولة، كتب بجانبها أمرًا مفاده: {يرجى التعقيم قبل منحها للأميرة}. إلى جانب ذلك فإن النساء يعرفن بالفعل بعض الأشياء التي يجهلها، أشياء عن التدريب على استخدام الحمام (أعمال الرشوة)، ونمو الأسنان (مكعبات الثلج الفاخرة)، واللقاحات (يمكنك تخطي لقاح جدري الماء). وقد اتضح له فيما بعد أنّهن مصدر للنصائح، ومع أن غوغل يعد مرجعًا واسعًا، إلا أنه للأسف ليس عميقًا بشكل كافٍ.

في أثناء زيارة الطفلة، تشتري كثير من النساء الكتب والمجلات، ويبدأ فكري بتكديس الكتب لأنه يعتقد أنّ النساء سيستمتعن بمناقشتها. لفترة من الوقت تستجيب النساء للقصص المعاصرة حول النساء ذوات القدرة الزائدة اللواتي يقعن في شرك الزيجات الهشّة، وتحلو لهن القصة إذا كانت لديها علاقة غراميّة لا تشبه ما عشنه، أو علاقة سيعترفن بأنهن قد عانين منها. وتكمن النكتة في أحكامهن؛ فالنساء اللاتي يتخلين عن أطفالهن يصنّفن على أنهن فعلن خطبًا جللًا للغاية، على الرغم من أنّ أزواجهن الذين يتعرضون لحوادث فظيعة يُستقبلون عادة بحفاوة، (يحظى بنقاط إضافية إذا مات، أو يحظى بالحب مرّة أخرى). لقد حظي مايف بنشي بشعبية لفترة من الوقت، إلى أن جاء مارغين الذي كان يعمل في ظروف أخرى في بنك في مجال الاستثمار المصرفي، فأثار الشكوى من أن عمل (بنشي) كان رسميًا للغاية.

"كم مرّة يُمكنني أن أقرأ عن امرأة متزوجة في سنّ مبكرة من رجل سيئ وسيم في بلدة أيرلندية خانقة؟". كانوا يشجعون فكري على توسيع جهوده المبذولة، وفي ذلك قال له مارغين: "لو كان لدينا نادٍ للقراءة كهذا، لربما امتلكنا شيئًا مختلفًا".

"هل هذا ناد للقراءة؟" سأل فكري.

سأل مارغين: "أنت لا تؤمن بأن هذه النصائح المتعلقة بتربية الأطفال كلها جاءت مجانًا، أليس كذلك؟".

في أبريل/ نيسان، رواية «الزوجة الباريسية». في يونيو / حزيران، «الزوجة الموثوقة». في أغسطس / آب، «الزوجة الأمريكية». في سبتمبر / أيلول، «زوجة المسافر عبر الزمن». في كانون الأول / ديسمبر، نفدت الكتب اللائقة التي تحوي في عنوانها كلمة (زوجة). فقرأنَ «بيل كانتو - الرهينة».

اقترح (بينيلوب) الذي يبدو دائمًا مُنهكًا: "لن يضرّك توسيع قسم كتب الصور، إذ لا بدّ أن يكون للأطفال شيء يقرؤونه في أثناء وجودهم هنا أيضًا". اعتادت النساء اصطحاب صغارهن ليتمكنوا من اللعب مع مايا، لذلك فهذا منطقي. ناهيك من أن (فكري) قد سئم من قراءة «الوحش في نهاية هذا الكتاب»، وعلى الرغم من أنه لم يكن مهتمًا بالكتب المصورة بشكل خاص من قبل، إلا أنّه قرّر أنْ يجعل نفسه متخصصًا. أراد من مايا قراءة الكتب الأدبية المصوّرة في حال توفرها وفضّل الحديثة منها، كما كان يفضل الكتب المُدافعة عن حقوق المرأة، وليس كتب الأميرات، إذ اتضح أن هذه الأعمال

متوفرة بالتأكيد. في إحدى الليالي وجد نفسه يقول: "من حيث الشكل والأناقة، فإنَّ الكتب المُصورة مشابهة للقصة القصيرة. هل تعرفين ما أقصده يا مايا؟".

هزت رأسها موافقة وقلبت الصفحة.

"موهبة بعض هؤلاء الناس مذهلة" قال فكري: " صِدقًا لم يكن لدي أي فكرة".

نقرت مايا على الكتاب. هم يقرؤون كتاب البازلاء الصغيرة(26)، قصة البازلاء التي يجب فيها على حبة البازلاء أن تأكل سكاكرها كلها قبل أن تتمكن من تناول وجبتها المفضلة.

قال فكري: "هذا ما يُسمَّى بالسخرية يا مايا".

"سخرية" قالتها محدثة حركات سخرية.

كررها قائلًا: "سخرية".

أطرقتْ مايا رأسها، وقرّر فكري أنه سوف يعلمها أسلوب السخرية في يوم آخر.

• • •

كان الضابط لامبياز من روّاد المتجر الدائمين، ولتسويغ تلك الزيارات كان يشتري الكتب، ولأنه لا يؤمِن بهدر المال كان يقرأ

الكتب أيضًا. في البداية كان يشتري بشكل أساسي كتبًا ذات أغلفة رخيصة من السوق الشعبيَّة لـ (جيفري ديفر وجيمس باترسون)، (أو من يكتب لجيمس باترسون)، ثم طوّره فكري وجعله يشتري كتبًا بأغلفة رخيصة لـ (جو نيسبو والمور ليونارد). كلا المؤلفين حقّقا نجاحًا مع لامبياز، لذلك شجعه فكري مرَّة أخرى على كتب (والتر موسلي ثم كورماك مكارثي)، وكانت أحدث نصيحة لـ فكري هي رواية «تاريخ القضية» للروائية كيت أتكينسون.

أراد لامبياز التحدث عن الكتّاب، وما إن وصل إلى المتجر حتى قال: "في البداية كرهت هذا النوع من الكُتب، لكن بعد ذلك تعلقت به". اتكأ على الطاولة، وأردف: "لأنه، كما تعلم، يتعلق الأمر بمُحقّقٍ، لكن الأحداث سارت نوعًا ما ببطء وذهبت معظم الأشياء من دون حل. بعد ذلك فكرت أن الحياة هكذا، وهذه هي المهمة بالفعل".

"ثمة تكملة" أبلغه فكري.

هز لامبياز رأسه موافقًا: "لستُ مُتأكدًا من أنني على دراية بذلك حتى الآن. في بعض الأحيان أحبّ أن ينتهي كلّ شيء بحلّ ما، الأشرار يلقون عقابهم، والأخيار ينتصرون، وأشياء من هذا القبيل. ربّما أحد هؤلاء الكتّاب إلمور ليونارد. مهلًا فكري، لقد جال في خاطري بأنه ربما يمكننا (أنا وأنت) أن نبدأ بإنشاء نادٍ للقراءة من أجل الضباط المسؤولين عن تطبيق القانون؟ مثلًا: قد يعجب رجال الشرطة الآخرون الذين أعرفهم بقراءة بعض هذه القصص، وأنا الرئيس، لذلك سأجعلهم يشترون الكتب من هنا. ليس من

الضروري أن يكون لرجال شرطة فحسب، بل يُمكن أن يضم المُتحمسين لتطبيق القانون كذلك". ضغط لامبياز على المعقم الفوري بيديه وانحنى لالتقاط مايا.

قال لامبياز: "كيف حالك أيتها الفتاة الجميلة؟".

"طفلة متبنَّاة" أجابت.

"هذه كلمة كبيرة جدًا" نظر لامبياز إلى فكري: "مهلًا، هل هذا صحيح؟ هل حدث هذا بالفعل؟".

لقد استغرقت العملية فترة طويلة من الزمن، واختُتمت في شهر سبتمبر قبل أن تصل مايا ربيعها الثالث، حيث انهالت المصائب على فكري، وكان آخرها افتقاره إلى رخصة قيادة، إذ لم يحصل على رخصة بسبب حالته النفسية، وطبعًا أُخذ بالحسبان أنه رجل يعيش بمفرده، ولم يسبق له أن ربّى طفلاً أو كلبًا أو رعى نبتة في منزله، وما زاد الطين بلّة أنّ الأم أرادت أن تكون مايا عنده. وفي الواقع لم يكن لفكري علاقات قوية مع أفراد مهمين في المجتمع، فثقافته وعلاقاته القوية لا تتجاوز حدود متجره.

قذف لامبياز مايا في الجو ثم أمسكها وأنزلها على الأرض، ثم انحنى على الطاولة ليصافح (فكري) قائلًا: "تهانينا لصديقي المفضل؛ القارئ النّهم العزيز، عليّ أن أعانقك يا رجل، هذه أخبار تستحق العناق" اتجه لامبياز نحو فكري لعناقه.

"هيا بنا نشرب نخب هذا الإنجاز" قال فكري.

رفع فكري مايا على خصره، وصعد الرجلان إلى الطابق العلوي. وضع فكري مايا في الفراش وهو يعلم أنها ستستغرق وقتًا طويلًا في إجراء بعض الشؤون المعقدة؛ المرحاض وتصفّح كتابين مصورين بالكامل.

فتح لامبياز زجاجة النبيذ.

"هل ستُعَمّدُ الفتاة في هذه الآونة؟" سأل لامبياز.

"أنا لستُ مسيحيًا ولا متدينًا" قال فكري: "لذلك، لن أُعمّدها".

أخذ لامبياز هذا بعين الاعتبار، شرب المزيد من النبيذ، وقال: "لم تسألني عمّا في جعبتي، ولكن يجب أن تجهز لحفلة من أجل تعريفها بالناس، إنها مايا فِكري الآن، أليس كذلك؟".

هزّ فكري رأسه موافقًا.

"يجب أن يعرف الناس هذا، كما عليك أن تسمّيها اسمًا ثلاثيًّا أيضًا. وأعتقد أنه يجب أن أكون عرابًا لها" قال لامبياز.

قال فكري: "ما الذي سنكسبه من ذلك بالضبط؟".

"حسنًا، دعنا نقل إن الطفلة تبلغ من العمر اثنا عشر عامًا، وقُبض عليها مُتلبّسة بسرقة من متجر للكتب، من المحتمل أن أستخدم نفوذي

للتدخل". قال لامبياز.

"مايا لن تفعل ذلك أبدًا". قال فكري.

"هذا ما يفكر فيه الآباء والأمهات جميعهم" قال لامبياز: "في الحقيقة سأكون نسختك الاحتياطية يا فكري، يجب أن يكون لدى كل إنسان سند آخر". أنهى لامبياز كأسه وأردف: "سوف أساعدك في الحفلة".

سأله فكري: "ما الذي يلزمنا من أجل الحفلة غير التعميد؟".

"مممممم، ما من مشكلة، سنجهز للحفلة هنا في المتجر، اشترِ لـ مايا فستانًا جديدًا من متجر (فيلين) (27)، أراهن أن إيسماي يمكنها مساعدتنا في ذلك، وعليك أن تحضر الطعام من كوستكو(28). ربما تشتري من تلك الكعكات الكبيرة، قالت أختي إن كل كعكة تساوي ألف سعرة حرارية. وعليك أن تشتري بعض الأطعمة المجمدة، إنها لذيذة. وجوز الهند، وقطعة كبيرة من جبنة الـ ستيلتون. وبما أنها لن تكون مسيحية...".

قاطعه فكري قائلًا: "أحيطك علمًا بأن الحفل لن يكون غير مسيحي أيضًا".

"ليكن... وجهة نظري؛ يمكنك تقديم النبيذ، وسندعو صهرك وأخت زوجتك، والسيدات اللاتي نتعاطف معهن، وكل من يهتم بمايا الصغيرة، وأرى يا فكري أن ندعو المدينة بأكملها، وسأتلو أنا

بعض الكلمات اللطيفة كوني العرّاب إذا قررت أن تسير الأمور بهذه الطريقة. ولن نقيم صلاة لأنني أعلم أنه لا يعجبك ذلك، لكنك تعلم أنني أتمنى للفتاة الصغيرة أن تكون بحال جيدة في هذه الرحلة التي نسميها الحياة. وسوف تشكر الجميع على تشريفهم. نحن جميعا سنرفع كؤوسنا نخب مايا. والجميع سيعودون إلى منازلهم مسرورين".

- "سيشبه حفل توقيع كتاب".

- "نعم، بالتأكيد". لم يكن لامبياز قد حضر حفل توقيع كتاب من قبل.

- "أنا أكره حفلات توقيع الكتب" قال فكري.

- "لكنك تدير المكتبة" قال لامبياز.

- اعترف فكري: "هذه مشكلة".

• • •

أقيم حَفْل مايا غير التعميديّ قبل حفل عيد الهالوين بأسبوع، ومع كثرة الأطفال الذين ارتدوا ملابس عيد الهالوين، لم يكن تمييز ماهية الحفل سهلًا، أهو حفل تعميد أم حفل توقيع كتاب أم حفل الهالوين. راقب فكري مايا وهي ترتدي فستان حفلها الوردي، وشعر بأنه مألوف جدًا، ثمّة غليان لا يُحتمل يثور بداخله. يريد أن يضحك بصوت عال أو يريد أن يلكم الحائط. شعر أنه في حالة سكر، وشعر كأنه مليء بالغازات... مجنون. في البداية اعتقد أن هذه هي السعادة،

ولكن بعد ذلك حصرها بأنَّها الحب. قال في نفسه: {الحب سخيف، يا له من أمر تافه}، فقد أعاق خطته كلها؛ السكر حتى الموت، ودفع أعماله إلى الخراب. الشيء الأكثر إزعاجًا في الأمر هو أن الإنسان حين يكترث بأحد أو بشيء ما، يبدأ بالاهتمام بكل شيء.

والشيء الأكثر إزعاجًا في الأمر هو أن (إلمو) بدأ يعجبه، على الطاولة القابلة للثني ثمّة مع جوز الهند صحون ورقية لـ إلمو، فقد ذهب فكري بسرور إلى متاجر عدة كي يحصل عليها! في قسم الكتب الأكثر مبيعًا ألقى لامبياز خطابًا يتكوّن من اقتباسات خالصة من القلب وقابلة للتطبيق، تحدث عن كيفية اغتنام فكري للفرص، وكيف أصبح مايا جانبًا مشرقًا بعد محنته ومحنتها، وكيف أنّ إرادة الله تجلّت هنا فعلًا؛ فبعد كل ضيق فرج،... وأشياء أخرى. ثم ابتسم في وجه فكري الذي رفع كأسه نخب نظيره وبادله الابتسامة. وبعد ذلك، على الرغم من أن (فكري) لا يؤمن بالله، إلا أنه أغلق عينيه وشكر من صميم قلبه النقي من له القوة العليا.

أمسكت إيسماي التي اختارها فكري عرّابة بيده وقالت: "آسفة لأنني تخليتُ عنك، لكنني لستُ على ما يرام".

- سألها فكري: "هل بسبب خطاب لامبياز؟".

- "لا، ربما أصبتُ بالبرد. أنا ذاهبة إلى المنزل".

- هزَّ فكري رأسه، وقال: "اتصلي بي لاحقًا، حسنًا؟".

كان دانيال من اتصل لاحقًا وقال: "إيسماي في المستشفى... إنه إجهاض آخر".

أجهضتْ مرّتين في العام الماضي ليصبح مجموع مرات الإجهاض التي حدثت معها خمس مرات.

- سأله فكري: "كيف حالها؟".

- "على الرغم من أنّها تبدو كمُهرة مُسنَّة قويّة، إلّا أنها متعبة ونزفت بعض الدماء".

- "نعم، إنها كذلك".

قال دانيال: "إن ذلك يبدو أمرًا سيّئًا من النواحي جميعها فلسوء الحظ أيضًا عليَّ اللحاق برحلة الطائرة إلى لوس أنجلوس باكرًا، فقد اتصل السينمائيون بي". السينمائيون دائمًا ما يضجّون بقصص دانيال على الرغم من أنّه لم يسبق لأحد منهم أن اتصل به. "هل يمكن أن تطمئن عليها في المستشفى، وأن تتأكد من وصولها إلى المنزل على ما يرام؟".

اصطحب لامباز فكري ومايا إلى المستشفى، فترك فكري مايا في غرفة الانتظار مع لامباز وذهب لرؤية إيسماي. كانت عيناها حمراوين، وبشرتها شاحبة.

- قالت عندما رأت فكري: "أنا آسفة".

- "على ماذا تتأسفين يا إيسماي؟".

- "أستحق هذا" أجابت.

- قال فكري: "لا. لا تستحقين ذلك. لا تقولي ذلك".

- "دانيال أحمق لأنه جعلك تأتي" قالت إيسماي.

- "جئت برغبة مني" قال فكري.

- "لقد خدعني، هل تعلم ذلك؟ كان يخدعني طوال الوقت".

لم ينبس فكري ببنت شفةٍ، لكنّه على علم بما قالته، فانهماك دانيال في مغازلة النساء لم يكن سِرًّا.

"بالطبع أنت تعرف ذلك" قالت إيسماي بصوت أجش، وأردفت: "الكل يعرف".

لم يقل فكري شيئًا.

"أنت حقًّا تعرف، لكنّك لن تتحدث عن ذلك، فهذه بعض القوانين الذكورية غير الرشيدة حسبما أفترض".

نظر فكري إليها. بدا كتفاها هزيلين تحت مريلة المستشفى، لكن بطنها ما زال منتفخًا نوعًا ما.

قالت: "أبدو في حال مُزرية، أليس هذا ما يجول في خاطرك؟".

أجاب فكري: "لا، لاحظت طول شعركِ، وكم يبدو جميلًا على هذا النحو".

"أنت لطيف" قالت. في تلك اللحظة سوّت نفسها لتجلس محاولة تقبيل فكري من فمه، فمال مبتعدًا عنها، قائلًا: "يقول الطبيب إنّه يمكنك العودة إلى المنزل الآن إنْ كنتِ ترغبين بذلك".

"حسبتُ أن أختي كانت غبية عندما تزوَّجَتْك، لكنّني أراك الآن لست بذاك السوء؛ طريقتك في التعامل مع مايا، والطريقة التي تعاملني بها الآن، كشفت لي ذلك. كشفت لي الجانب المهم من فكري. أعتقد أنني من الأفضل أن أبقى هنا الليلة" قالت ذلك ثم أكملت وهي تبتعد عنه: "ما من أحد في منزلي، ولا أريد البقاء بمفردي. ما قلته من قبلٍ عن (نيك) أنّها كانت فتاة طيبة كان صحيحًا. أنا سيئة، وتزوّجت من رجل سيئ أيضًا. وأعلمُ أنّ الأشرار يستحقون ما يحصلون عليه، لكننا نكره أن نكون بمفردنا".

---

(16) سلسلة روايات عن الجريمة والإثارة والغموض كتبها جيمس باترسون. (المترجم)

(17) رواية تاريخية للمؤلف الأسترالي ماركوس زوساك. (المترجم)

(18) كتاب لموريس سينداك، وهو مصور وكاتب أمريكي مشهور لأدب الأطفال. (المترجم)

(19) شخصية خيالية مشهورة في رواية سيد الخواتم. كما عُرِف باسم سميغول. (المترجم)

(20) من سلالة متوسطة الحجم من الكلاب، له عضلات، ووجه مجعّد، وأنف مسطح. (المترجم)

(21) كتاب صور للأطفال من تأليف الكاتب والمنتج جون ستون. (المترجم)

(22) التينور الثاني: مصطلح كورالي، وهو إحدى طبقات الصوت التي تُغنى ضمن جوقة. (المترجم)

(23) فرقة كورالية بدون آلات موسيقية. (المترجم)

(24) رواية مثيرة للمشاعر تناسب الأعمار كلها، ترصد فيها الكاتبة الكندية لوسي مود مونتغمري حياة إنسانة يتيمة من الطفولة حتى سِن المراهقة مع التحولات التي تمر بها، وكيفية التعامل مع مواقف الحياة وظروفها تبعاً لآلية التفكير في كل مرحلة. (المترجم)

(25) رواية أطفال شهيرة للكاتبة فرانسيس هودسون برنيت، تجري أحداثها في مطلع عام ١٩٠٠ وتحكي قصة طفلة غنية للغاية تتحول حياتها لفقر مدقع، وكيف تغير تعامل الجميع معها. (المترجم)

(26) قصة قصيرة للأطفال من تأليف (إيمي كروس روزنتال)، وهي قصة تتحدث عن حبة البازلاء التي لن تستطيع أكل وجبتها المفضلة مالم تأكل السكاكر. (المترجم)

(27) سلسلة من المتاجر الكبرى في ماساتشوستش. (المترجم)

(28) سلسلة مطاعم أمريكية متعددة الجنسيّات. (المترجم)

ما يشبه العالم
ريتشارد باوش / 1985

قصة فتاة بدينة تعيش مع جدِّها.

قطارات تنطلق نحو معرض الجمباز بالمدارس الابتدائية.

ستشعر بالدهشة لمدى اهتمامك فيما إذا كانت تلك الفتاة الصغيرة ستتخطى الوثب الطويل. تمكن (باوش) من خلق توتر عالٍ من حكاية بسيطة على ما يبدو (على الرغم من أن هذه هي الفكرة بوضوح)، وينبغي أن يكون هذا استنتاجك السريع: حيث يمكن أن يشتمل عرض الوثب الطويل على كثيرٍ من الدراما؛ كتحطم طائرة ما.

لم أحظَ بهذه القصة إلا بعد أن أصبحت أبًا، لذا لا يمكنني القول ما إذا كنت سأحبها قبل مجيء مايا. كما أنني مَرَرْتُ بأطوار مختلفة في حياتي، فعندما كنت في حالة مزاجية رائقة للقصص القصيرة، تزامن ذلك مع طفولتك، فهل لديك هوى لقراءة الروايات يا صغيرتي؟

فكري.

عادة ما تستيقظ مايا قبل شروق الشمس، عندما يكون صوت

شخير فكري في الغرفة الأخرى هو الصوت الوحيد. تمشي مايا بخطى خافتة مرتدية ملابس النوم عبر الغرفة الرئيسة نحو غرفة نوم فكري. في البداية تهمس: "أبتي، أبتي"، لكنها لم تنجح بذلك، ثم تنطقها بصوت عال، وعندما لا يجدي ذلك نفعا، تقفز على السرير على الرغم من أنها تفضل عدم اللجوء إلى مثل هذا التصرف الأبله، إلا أنه لم يستيقظ اليوم إلا عندما وصلت إلى مرحلة الكلام، حيث قالت: "هيا، استيقظ. هيا، انزل إلى الطابق السفلي".

بدا أن المكان الذي تحبه مايا أكثر من غيره هو الطابق السفلي؛ لأنه المتجر، والمتجر أفضل مكان في العالم!

انبعثت من أنفاسه رائحة كرائحة الجوارب المبللة من الثلج حين تمتم: "بنطالي...، قهوتي....".

كان هناك ست عشرة درجة حتى تصل إلى المكتبة. انزلقت مايا بمؤخرتها على كل درجة لأن ساقيها أقصر من اللازم كي تنزل على الدرج بثقة. تهادت بمشيتها عبر المتجر متجاوزة الكتب التي لا تحوي صورا، وكذلك بطاقات التهنئة. مرّرت يدها عبر المجلات، وفتلت الحامل الدوّار لمراجع الكتب. صباح الخير أيتها المجلات! صباح الخير يا مراجعي! صباح الخير أيتها الكتب! صباح الخير أيها المتجر!

ألواح الجدران الخشبيّة للمكتبة أعلى من رأسها تقريبًا، ووراءها خلفيّة زرقاء. لم يكن بمقدور مايا الوصول إلى الكتب من دون كرسي. بدت الخلفية برسومات دوّارة غير مستوية، ومن دواعي سرورها فرك وجهها عليها. يومًا ما ستقرأ كلمة (اللون الرمادي) في

كتّاب ما، وستفكر (نعم، بالطبع هذا ما يطلق عليه). في المقابل، فإن كلمة (مكسو بألواح خشبيّة) ستكون بمثابة خيبة أمل كبيرة.

كان عرض المحل يساوي من طول مايا خمسة عشر ضعفًا، وطوله يساوي عشرين ضعفًا. إنها تعرف ذلك لأنها قضت ذات يوم فترة ما بعد الظهيرة بقياسه بجسدها وهي مستلقية. من حسن الحظ أنه لا يزيد طوله على ثلاثين ضعفًا من طول مايا، لأنه بعيد عن قدرتها على العدّ في يوم إجرائها للقياسات.

من نقطة مراقبتها على الأرض بدت لها أحذية الناس، ففي الصيف يلبسون الصنادل، وفي الشتاء أحذية عالية الساق، حيث إن مولي كلوك تلبس أحيانًا حذاء أحمر نخمًا جدًا يصل إلى رُكبتيها، أما فكري فيلبس حذاءً رياضيًّا أسود اللون بمقدمة بيضاء، ويرتدي لامبياز حذاء كبيرًا بإصبع مسحوق، أمّا إيسماي فتلبس حذاء مسطحًا بلا كَعْب أشبه بالحشرات أو الجواهر، وكذلك دانيال باريش يلبس حذاء بني اللون بلا كَعب ومزين بقطعة حديدية.

قبل أن يُفتح المتجر في تمام الساعة العاشرة صباحًا، اعتادت مايا أن تذهب إلى موقعها حيث الرَّف الذي فيه الكتب المصورة جميعها.

وأول ما تقوم به مايا هو الاقتراب من الكتّاب وشمّه، ثم تقوم بتجريد الكتّاب من غلافه، ثم تقربه إلى وجهها وتطوي جانبيه حول أذنيها. عادةً ما تكون رائحة الكتب أشبه برائحة صابون والدها، ورائحة العشب، والبحر، وطاولة المطبخ، والجبن. تتفحّص الصور وتحاولُ أن تستخلص القصص منها. كان عملًا مرهقًا، لكن حتى في الثالثة

من عمرها، كانت تُدرِكُ بعض العبارات المجازيَّة؛ على سبيل المثال: الحيوانات ليست دائمًا حيوانات في كتب الصور، إنّها تمثل في بعض الأحيان الآباء والأمهات والأطفال، فالدب الذي يرتدي ربطة عنق قد يكون أبًا، والدب الذي بشعر أشقر مستعار قد يكون أمًا. بإمكانك سرد الكثير عن قصة ما من الصور، لكن الصور تعطيك أحيانًا فكرة خاطئة. إنها تفضل أن تعرف الكلمات.

إذا افترضنا أن لا أحد يُقاطِعها، فيمكنها إنهاء سبعة كتب في الصباح. ومع ذلك، هناك دائمًا ما يُقاطعها، فمايا تُحب الزبائن كثيرًا، وتحاول أن تكون مهذبة معهم. إنَّها تتفهم العمل الذي تقوم به مع فكري، فعندما يأتي الأطفال إلى صفّها، تتأكد دائمًا من وضع كتاب في أيديهم. الأطفال يذهبون نحو منضدة المحاسبة، وفي أغلب الأحيان سيشتري من يرافقونهم ما يحتجزونه. وسيسأل الأبوان: "أوه، هل اخترت ذلك بنفسك؟".

ذات مرَّة، سُئل فكري إنْ كانت مايا ابنته: "كلاكما من أصحاب البشرة السوداء ولكنكما تختلفان بدرجة السواد". كانت تتذكر مايا ذلك لأن الملاحظة التي أبداها فكري قالها بنغمة صوت لم تسمعها من قبل مع أحد من الزبائن".

كان فكري قد سأله: "ما قصدك بدرجة السواد نفسها؟".

"لم أكن أقصد الإساءة لك"، هذا ما قاله الشخص، ثم شقّ طريقه نحو الباب مُغادرًا من دون أن يشتري شيئًا.

نظرت إلى يديها مُتسائلة: ماذا قصد بدرجة السواد نفسها؟

وكان هناك بعض الأشياء الأخرى التي تتساءل عنها، مثل، كيف نتعلم القراءة؟ لماذا يحب البالغون الكتب من دون صور؟ هل سيموت أبي؟ ماذا عن الغداء؟

• • •

كان موعد الغداء في الساعة الواحدة تقريبًا، ويقدّمه محل لبيع السندويش. عادة تتناول جبنة مشوية، وفكري يتناول الديك الرومي. كانت تحب الذهاب إلى المحل، لكنها تمسك يد فكري، خشية أنْ تُترَك في محلّ بيع السندويش.

في فترة ما بعد الظهيرة، كانت تُراجِع الكتب، وتوقّع تقاريرها باسم (مايا)، وتمررها إلى فكري للموافقة عليها، وكانت التفاحة تعني أنها وافقت على رائحة الكتّاب، وقطعة الجبنة تعني أنَّ الكِتاب جاهز، أمَّا الصورة الشخصيّة فتعني أنَّها أحبّت صوره.

كانت تُحبُّ أن تكتب اسمها (مايا) (MAYA).

تعرف أن كنيتها (فكري)، لكنها لم تعرف بعد كيف تكتبها.

في بعض الأحيان، وبعد مغادرة الزبائن والموظفين، يخطر ببالها أنَّها وفكري الوحيدان في هذا العالم. إذ لا أحد يبدو حقيقيًّا كما يبدو، والآخرون عبارة عن أحذية لفصول مختلفة لا أكثر. يمكن لـ فكري لمس الخلفية من دون الاستعانة بكرسي، كما يمكنه استخدام آلة

المحاسبة في أثناء الحديث بالهاتف، أو رفع طرود ثقيلة من الكتب فوق رأسه، واستخدام كلمات طويلة لا يمكن وصفها، إنّه يعرف كل شيء عن كل شيء. من يمكن مقارنته بـ فكري؟

لم تكن تفكر في والدتها على الإطلاق.

تعرف أنّ والدتها قد ماتت، وتعلم أنّ الموتى أشخاص يخلدون إلى النوم ولا يستيقظون. تشعر بالأسف الشديد على والدتها لأنّ الأشخاص الذين لا يستيقظون، لا يمكنهم النزول إلى الطابق السفلي حيث تجد محل بيع الكتب في كل صباح.

تعرف مايا أنّ والدتها قد تركتها في (آيلاند بوكس)، ولكن ربما هذا ما يحدث لجميع الأطفال في سنٍّ ما، يُترَك بعض الأطفال في متاجر الأحذية، ويترَك بعضهم في متاجر الألعاب، وآخرون في محلات بيع السندويش، وتحدّد حياتك بأكملها حسب المتجر الذي تُترَك فيه. إنها لا تريد أن تعيش في متجر السندويتش.

في وقت لاحق، عندما تكبر، ستفكر في أمها أكثر.

في المساء، يقوم فكري بتغيير حذائه، ثم يضعها في عربة الأطفال التي أصبح مقاسها مناسباً لها، وهي لا تشتكي لأنها تحب الركوب فيها. كانت تحب سماع فكري وهو يتنفّس، وتحب رؤية العالم يتحرك بهذه السرعة، كان أحيانًا يغني، وأحيانًا يروي قصصها. وقد أخبرها أنه كان لديه كتاب باسم (تيمورلنك) ذات مرّة، وأنه كان يساوي الكتب الموجودة في المتجر كلّها مجتمعة.

"تيمورلنك!"، نطقت الكلمة مُعجبَة بغموضها وموسيقا أحرفها.

قال فكري: "بهذه الطريقة تكونين قد حصلتِ على اسمك الثلاثي".

مساءً، وضعها في السرير، وهي لا تحبّ الذهاب إلى الفراش حتى لو كانت متعبة، لذا كانت أفضل طريقة لـ فكري لإقناعها بالنوم هي اقتراح قصة.

"أيّ قصّة ترغبين؟" سألها.

كان يحاول محاورتها لتتوقف عن اختيار قصة (الوحش في نهاية هذا الكتاب)، لذا كانت ترضيه بقولها: "قبّعات للبيع"(29).

كانت قد سمعت القصة من قبل، لكنها لم تستطع فهمها، فقد كانت عن رجلٍ يبيع القبّعات الملوّنة، وحينما كان مستغرقًا بقيلولته، سرقت القِردة قبّعاته، لذا كانت تأمل ألّا يحدث هذا أبدًا لـ فكري.

قطّبت مايا حاجبيها مُمْسِكةً بذراع فكري.

سألها: "ما خطبك؟".

كانت مايا تتساءل عن سبب رغبة القرَدة بالقبّعات، فالقردة حيوانات. كانت تحدّث نفسها بصمت: {ربّما تمثل القرَدة الدب الأمّ بشعره المستعار، وربّما تمثل الأب بربطة العنق، أو ربّما شيئًا ما آخر، ولكن ماذا...؟

قالت: "اقرأها".

كانت هناك في بعض الأحيان امرأة تأتي إلى المتجر من أجل قراءة الكتب بصوت عالٍ لـ مايا والأطفال الآخرين. كانت المرأة تجعّد وجهها وتقوم ببعضٍ الإيماءات، وترفع صوتها وتخفضه لمزيد من الإثارة والتشويق. أرادت مايا أن تطلب منها أن تستريح لأنّها كانت معتادة على قراءة فكري الناعمة والخفيضة، وكانت تقوم بتقليده.

شرع فكري بالقراءة: "... وفي الغصن العلوي ثمّة مجموعة من القبّعات الحمراء".

تُظهر الصورة على الكتّاب رجلاً لديه العديد من القبّعات الملونة.

تضع مايا يدها على يد فكري لمنعه من قلب الصفحة. تُقلّب بنظرها بين الصورة والصفحة، وتعاود الكرّة مرّة أخرى. في كل مرة، تعرف أن الأحمر يعني أحمر، تعرفه كما تعرف اسمها (مايا)، كما تعرف أنّ والدها هو فكري، وتعرف أن المكان الأفضل في العالم هو آيلاند بوكس.

- "ما بكِ؟" سألها.

- أخذت يده وحرّكتها بحيث أشارت بها إلى الكلمة، وقالت: "الأحمر".

---

(29) قصة قصيرة مصورة للأطفال. تعتبر من أشهر أعمال الكاتبة (اسفير سلوبودكينا) وأكثرها شعبية. (المترجم)

من الصعب إيجاد الرجل الطيب
فلانيري أوكونور / 1953

رحلة عائليَّة - رحلة آمي المفضلة - لم تجرِ على ما يرام. (تبدو أنها ماتعة للغاية ظاهريًّا، أليس كذلك؟) أنا وآمي ليس لدينا على الدوام الذائقة نفسها في الأشياء، إلّا أنَّ هذا كان يعجبني.

عندما أخبرتني أن هذه رحلتها المفضلة، بدت لي أشياء غريبة ورائعة عن شخصيتها، لم أكن أتوقعها، كالأماكن المظلمة التي قد أرغب بزيارتها.

عادة يروي الناس أكاذيب مملة عن السياسة، والرب، والمحبة. إلا أنك تعرف كل ما تحتاج معرفته عن شخص ما انطلاقًا من الإجابة عن سؤال: {ما هو كتابك المفضل؟}.

فكري.

في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس / آب، قبل أن تباشر مايا بالدوام في روضة الأطفال، حصلت على طقم نظّارات دائريّة ذات إطارات حمراء اللون، كما أصيبت بجدري الماء (حبّات دائريّة حمراء). لعن فكري الأم التي أخبرته أن لقاح الجدري اختياري، فهذا الداء هو داء السفلس نفسه الذي انتشر في منزلهم. بدت مايا بائسة، وفكري كذلك لأن مايا بائسة. بانت أعراض الداء على وجهها.

مكيف الهواء متعطّل، ولم يكن بمقدورهما النوم في المنزل. أحضر فكري مناشف مبللة وقشّر شرائح اليوسفي، وألبسها بيديها جوارب، ووقف مراقبًا بجانب سريرها.

اليوم الثالث، الساعة الرابعة صباحًا، غفت مايا. وبدا فكري منهكًا ومضطربًا. كان قد طلب من أحد الموظّفين أن يحضر له كتابين من الكتب المُعدّة للمراجعة من الطابق السفلي. لسوء الحظ، كانت الموظّفة جديدة، واختارت الكتب من كومة الكتب التي رفضها، وليس من كومة القراءة. لم يكن فكري يريد أن يبتعد عن مايا، لذا قرر قراءة أحد الكتب القديمة التي كان يرفضها. كان الجزء العلوي في الكومة رواية خياليّة للبالغين، وقد ماتت فيها الشخصية الرئيسة. اشمئز، فهناك نوعان من أقل الكتب المفضلة لديه، وهما: (روايات ما بعد الموت، وروايات الشباب البالغين). رمى الكتاب التافه جانبًا، أمّا الكتاب الثاني في الكومة فكان مذكرات كتبها رجل يبلغ من العمر ثمانين عامًا، كان عازبًا طيلة حياته، وفي وقت ما كان يعمل مراسلًا في العديد من الصحف في الغرب الأوسط. تزوّج في سن الثامنة والسبعين، وتوفيت عروسه بعد عامين من الزفاف في سن الثالثة والثمانين. (المزهر متأخرًا) للكاتب ليون فريدمان، الكتاب مألوف لدى فكري لكنه غير متأكد من السبب، فتح الكتاب وسقطت بطاقة عمل باسم: {إميليا لومان، مطبعة نايتلي}... نعم، تذكّر الآن.

كان قد واجه إميليا لومان في السنوات التي تلت ذلك الاجتماع الأوّل المحرِج، وتبادلوا مجموعة من رسائل البريد الإلكتروني الوديّة. كانت تحضر ثلاث مرّات في السنة لتقديم تقرير عن أهم تطلعات

نايتلي. بعد أن أمضى معها عشر أمسيات أو ما يزيد، توصّل مؤخرًا إلى استنتاج بأنّها جيدة في وظيفتها، وأنّها على علم بقائمتها والاتجاهات الأدبية الكبرى. تبدو متفائلة لكنّها ليست بائعة متفوقة. كانت لطيفة مع مايا أيضًا، وتتذكّر دائمًا إحضار كتاب للفتاة من أحد إصدارات نايتلي للأطفال. قبل كل شيء، إميليا لومان محترفة، ممّا يعني أنها لم تثر سلوكًا سيئًا على الإطلاق مع فكري في اليوم الذي التقت به. يا الله، لقد كان فظيعًا معها. وكتكفير عن الذنب، قرر إعطاء فرصة لكتاب (المُزهر متأخرًا)، على الرغم من أنه ليس من ذائقته.

{أنا في الواحدة والثمانين من عمري، ومن الناحية الإحصائية ينبغي أن أموت منذ أربع إلى سبع سنوات}. هكذا كان استهلال الكتاب.

في الساعة الخامسة صباحًا أغلق الكتاب وربَتَ عليه. استيقظت مايا بحال أفضل، وقالت: "لماذا تبكي؟".

أجابها فكري: "كنتُ أقرأ".

...

ردّت إميليا على الهاتف من الرنّة الأولى، على الرغم من عدم معرفتها بالرقم.

- "مرحبًا إميليا. أنا فكري من الجزيرة. لم أكن أتوقع منك أن تُجيبي".

- "هذا صحيح"، ضحكت قائلة: "أنا آخر شخص في العالم بأسره ما

يزال يجيب على هاتفه".

- قال: "نعم، قد تكونين كذلك".

- "الكنيسة الكاثوليكية تفكر في تنصيبي قديسة".

- "القديسة إميليا التي أجابت على الهاتف". قال فكري.

- لم يكن قد اتصل بها من قبل، وقد عزت الأمر لهذا السبب: "هل ما زال موعدنا بعد أسبوعين من الآن، أم أنّك مضطر لإلغاء الموعد؟". سألت إميليا.

- "أوه لا، لا شيء من هذا القبيل. في الواقع، كنتُ أخطط لترك رسالة لك".

- تحدثت إميليا بشكل رتيب: "مرحباً، هذا البريد الصوتي لإميليا لومان. بيب".

- "أممممم".

- "بيب"، كرّرتها إميليا "اترك رسالتك من فضلك".

- "امممم، مرحباً إميليا. أنا فكري. لقد انتهيتُ للتو من قراءة كتاب كنتِ قد نصحتني بقراءته...".

- "أوه نعم، أيّ كتاب؟".

- "هذا غريب. يبدو أنّ البريد الصوتي يتحدث معي. كتاب من عدة سنوات مضت، (المُزهر متأخرًا) للكاتب ليون فريدمان".

- "لا تفطر قلبي يا فكري، كان هذا كتابي المفضّل على الإطلاق منذ أربع قوائم شتاء مضت. لم يكن لأحد الرغبة في قراءته. أحببت هذا الكتاب، وما زلت أحبّه! مع أنّني ملكة الحظ العاثر".

- "ربما كانت المشكلة بالغلاف". أجابها فكري برقَّة.

- وافقته إميليا قائلة: "غلاف يبعث على الأسى، عليه أقدام مُسِنّة وأزهار. دعك من شراء كتاب عليه تلك الأقدام، كأن الجميع يرغبون في التفكير في الأقدام المتجعدة. كان الغلاف ورقيًا وإعادة تجديده لا جدوى منها، كان أبيض اللون وأسود، وعليه كثير من الأزهار. يبدو أن الأغلفة تُهمل في دور النشر كإهمال الربيبات (30)، ونحن نلقي اللوم عليهم في كل شيء".

- "لا أعرف إنْ كُنْتِ تتذكرين أنَّكِ أعطيتِني كتاب (المُزهر متأخرًا) أول مرة التقينا فيها" قال فكري.

- صمتت إميليا لبرهة: "أنا أعطيتك إيَّاه؟ نعم، هذا معقول. من المحتمل أنني أعطيتك إيَّاه في الوقت الذي بدأت فيه العمل في نايتلي".

لقد كان فكري يشعر بالعار عندما يتحدث عن الأشياء التي يحبها حقًا، قال: "حسنًا، تعلمين أن المذكرات الأدبية ليست من اهتماماتي،

غير أن هذا الكتّاب كان مذهلاً بشكله البسيط، كان كتّابًا واسع الأفق و...".

- "تابِـع".

- "كل كلمة كانت صحيحة وبالمكان الذي يجب أن تكون فيه بالضبط، وهذا ببساطة أعلى مجاملة يمكنني الإدلاء بها. أنا آسف لأنّني استغرقت وقتًا طويلاً لقراءته".

- "إنّه قصة حياتي. ما الذي جعلك تختاره في نهاية المطاف؟".

- "كانت ابنتي الصغيرة مريضة، لذا...".

- "أوه، مايا المسكينة! آمل أنّه ما من مكروه أصابها!".

- "جدري الماء. كنت مستيقظًا طوال الليل معها، وكان الكتّاب الأقرب لي في ذلك الوقت".

- "بكل الأحوال، أنا سعيدة لأنّكَ قرأته"، أردفت إميليا: "لقد توسّلت إلى كل مَن أعرفهم كي يقرؤوا هذا الكتّاب، ولم يصغ إليّ أحد سوى والدتي، ومع ذلك لم يكن من السهل إقناعها".

- "في بعض الأحيان لا تعثر علينا الكتب حتى يحين الوقت المناسب".

- "لا شيء يعزينا بالسيد فريدمان"، أضافت إميليا.

- "حسنًا، سوف أطلب وكُلّي أسىً طردًا من أغلفة الورق المقوى، وفي الصيف عندما يكون السيّاح جميعهم هنا، ربما يمكننا دعوة السيد فريدمان لنحتفل به".

- "إن عاش لفترة طويلة" قالت إميليا.

- "هل هو مريض؟" سألها فكري.

- "لا، لكنه شارف على التسعين عامًا!".

- ضحك فكري قائلًا: "حسناً إميليا، سأراكِ في غضون أسبوعين حسبما أظن".

- "ربّما في المرّة القادمة ستستمع لي عندما أخبرك عن أفضل كتّاب في قائمة الشتاء!" قالت إميليا.

- "على الأرجح لا، فأنا رجل مُسنّ ومتمسّك بقناعاتي".

- "أنت لست بهذا العمر" قالت إميليا.

- "لا أُقارَن بالسيد فريدمان على ما أعتقد" تنحنح فكري وأضاف: "عندما تأتي إلى المدينة ربما يمكننا تناول العشاء أو شيء ما".

لم يكن من الشائع على الإطلاق أن يتشارك مندوبو المبيعات وبائعو الكتب بوجبة، لكن إميليا تكتشف نغمة معينة بصوت فكري، فتوضح له قائلة: "يمكننا أن نراجع قائمة الشتاء الجديدة".

"نعم، بالطبع" أجابها فكري بسرعة هائلة، ثم قال: "إنَّها رحلة طويلة إلى (أليس) بالنسبة لك، وستكونين جائعة، مع أنَّني لم أقترح من قبل".

قالت إميليا: "فليكن غداءً متأخرًا". ثمّ أردفت: "كما أنني مضطرة للحاق بآخر عبّارة عائدة إلى هيانيس".

قرَّر فكري أن يأخذ إميليا إلى مطعم (بيكويد)، وهو ثاني أفخم مطعم للمأكولات البحرية في جزيرة (أليس)، أمّا مطعم (الكارازون) فقد كان من أجمل المطاعم، إلا أنه غير مفتوح لتناول وجبات الغداء، وحتى لو كان مفتوحًا فإنَّ مطعم (الكارازون) كان سيبدو رومانسيًا للغاية بالنسبة لمحض اجتماع عمل.

وصل فكري أوَّلًا، مما منحه الوقت للندم على اختياره، ولم يكن قد قدِم إلى مطعم (بيكويد) من قبل حادثة مايا، حيث بدا ديكوره مُحرِجًا ويفتقد للأصالة. شراشف المائدة البيضاء الأنيقة لا تصرف الانتباه عن شِباك الصيد والرماح، والمعاطف المطرية المعلقة على الجدران، أو عن ذلك القبطان الذي يرحب بك بدلو من مياه البحر المالحة، وذلك الحوت الذي كسا جسده جلد زجاجي مغزول بعيون صغيرة حزينة يتلوى من السقف. يستشعر فكري حالة ذلك الحوت، ويفكر أنه كان ينبغي أن يذهب إلى مطعم الـ (كارازون) الودود.

تأخرت إميليا خمس دقائق. قالت: "يبدو «بيكويد»(31) أشبه بـ «موبي ديك»(32)". كانت ترتدي ثوبًا مصنوعًا مما يشبه شراشف

المائدة المنسوجة فوق قميص داخلي كلاسيكي زهري، وعلى شعرها الأشقر المجعد أقحوانة مستعارة، وترتدي جرموقًا في ساقيها رغم أن الجو مشمس. يرى فكري أن الجرموق يجعلها تبدو وكأنها فتى من الكشافة في حالة تأهب واستعداد لكارثة.

"هل تحبين رواية موبي ديك؟" سألها.

"أكرهها"، وقالت: "أنا لا أقول ذلك لعدة أسباب؛ المعلمون يولونها اهتمامًا، والآباء سعداء بذلك لأن أطفالهم يقرؤون شيئًا عن (الجودة)، لكن هذا ما يُجبر الأطفال على قراءة كتب من هذا النوع، ويجعلهم يفكرون أنهم يكرهون القراءة".

"أنا مندهش لأنك لم تلغ الموعد عندما رأيت اسم المطعم".

"أوه، لقد فكرت في ذلك"، قالت وفي صوتها نبرة فكاهة: "لكنني بعد ذلك ذكّرت نفسي بأنه محض اسم للمطعم، وربما لن يؤثر في جودة الطعام كثيرًا. بالإضافة إلى أنّني بحثت عن التعقيبات عبر الإنترنت، وتبين أنه لذيذ".

"ألا تثقين بي؟".

"أحب أن أفكر فيما سأتناول قبل وصولي إلى هناك، أحبّ استباق...". - تمدّ الكلمة - "الأموووور". فتحت القائمة وأردفت: "أرى أنَّ لديهم العديد من الكوكتيلات على اسم شخصيات موبي ديك على أية حال، لو أنني لم أكن أرغب في تناول الطعام هنا،

لكنتُ ربما افتعلت حساسية من المحار".

"حساسية غذائية خيالية، هذا خداع منك". قال فكري.

"الآن لن أكون قادرة على استخدام هذه الخدعة معك".

كان النادل يرتدي قميصًا أبيض فضفاضًا يتعارض بوضوح مع نظارته السوداء وتسريحة شعره التي تشبه عرف الديك، بدا مظهره كالقراصنة. قال النادل بشكل رسمي: "أهلًا بمالكة الأرض، أتحبين أن تجرّبي نوعًا مميزًا من الكوكتيل؟".

"مشروبي العادي هو الطراز القديم، لكن كيف يمكن للمرء أن يقاوم مشروبًا مميزًا؟". قالت: "أريد كأسًا من كوكتيل الـ (كويكويغ) من فضلك". أمسكت بيد النادل، وأردفت "انتظر، هل سائغ شربه؟".

"أمممم"، قال النادل: "يبدو أن السيّاح يحبونه".

"حسناً، وإن كان السياح يحبونه" قالت.

"أمممم، لذلك أنا واضح، هل هذا يعني أنكِ تريدين الكوكتيل أم لا؟".

"بالتأكيد أريده" قالت إميليا: "مهما غلا ثمنه". ابتسمت للنادل: "لن ألومك إذا كان غير ذلك".

طلب فكري كوبًا من النبيذ الأحمر.

قالت إميليا: "إن هذا لأمر محزن. أراهن أنك قد قضيت حياتك من دون أن تشرب الـ (كويكويغ) على الرغم من أنَّك تعيش هنا وتبيع الكتب، وربما تحب موبي ديك".

"من الواضح أنكِ شخص أكثر تطوراً مني" قال فكري.

"نعم أستطيع أن أرى ذلك، وبعد أن أحصل على هذا الكوكتيل، فمن المحتمل أن تتغير حياتي برمتها".

قُدِّمَت المشروبات. "أوه، انظر"، قالت إميليا: "جمبري يتخلله القليل من الهاربون، يا لها من فرحة غير متوقعة". أخرجت هاتفها والتقطت صورة قائلة: "أحب التقاط صور لمشروباتي".

قال فكري: "يبدوان مثل أُسرة".

قامت برفع كأسها ودقّتها بكأس فكري قائلة: "بل هم أفضل من الأسرة".

سألها: "كيف ذلك؟".

"أشياء مالحة، وفاكهة، وسمك. يبدو الأمر كما لو أنّ نوعًا من كوكتيل الروبيان قرّر أن يضاجع كوكتيل بلودي ماري".

"أحببت كيف قلتِ (يضاجع). بالمناسبة، يبدو المشروب مثيرًا

للاشمئزاز.

احتست رشفة أخرى، وهزَّت كتفيها قائلة بلا مبالاة: "بدأت أعجبُ به".

"بناءً على ما قرأتِ من روايات، في أي مطعم تفضّلين تناول العشاء؟" سألها.

"أوه، هذا صعب. هذا لا معنى له، لكن عندما كنت في الكُليَّة، كنتُ أشعر بالجوع عندما أقرأ (أرخبيل غولاغ) (33)، إذ كان وصفها كله عن الخبز والشراب في السجن السوفييتي" أجابت إميليا.

"أنتِ غريبة" قال فكري.

"شكرًا لك. وأنت، أين كنت تفضّل تناول العشاء؟" سألت إميليا.

"ليس مطعمًا بالضرورة، ولكني لطالما أردتُ تجربة ما في رواية (الحلوى التركية) الموجودة في مجموعة روايات نارنيا(34)، فعندما كنتُ صبيًّا، قرأت منها رواية (الأسد)، و(الساحرة)، و(خزانة الملابس)، وظننتُ أنَّ الحلوى التركيَّة لا بُدَّ أن تكون لذيذة بشكل لا يوصف حتى لو جعلت إدموند يخون أسرته". قال فكري: "أعتقد أنني أخبرت زوجتي بهذا، لأنه في عام ما أحضر لي نيك علبة خاصة بالأعياد، واتضح لي أنَّ هذه الحلوى مكونة من البودرة الحلوة. لا أعتقد أنني أصبت بخيبة أمل كبيرة طيلة حياتي".

"طفولتك قد انتهت رسميًّا في ذلك الوقت".

"لم أكن أبدًا كما كنت" قال فكري.

قال: "ربما كانت مجموعة (الساحرة البيضاء) مختلفة، وأشبه بـ (الحلوى التركية) السحرية التي كانت أفضل".

"أو ربما كانت وجهة نظر لويس هي أن إدموند لم يكن بحاجة إلى الكثير من الإقناع لخيانة عائلته".

"هذا في غاية التهكّم" قالت إميليا.

"هل تذوّقت (الحلوى التركية) يا إميليا؟".

"لا" أجابت.

"سأضطر إلى منحك بعضًا منها" قال.

"ماذا لو أحببتها؟".

"ربما لن أفكر فيك كثيراً".

"حسنًا، لن أكذب كي أجعلك تحبني يا فكري. إن إحدى أفضل صفاتي هي صراحتي".

"أخبرتِني أنكِ ادّعيت حساسية المأكولات البحرية لتتخلصي من تناول الطعام هنا" قال فكري.

"نعم، ولكن كان الأمر فقط هكذا، لذا لم أجرح مشاعر المحاسب. أنا لا أكذب أبدًا على شيء مهم مثل (الحلوى التركية)".

طلبا الطعام ثم قامت إميليا بإخراج الكتالوج الشتوي من حقيبة الكتب، وقالت: "إذن نايتلي".

"نايتلي" كرّر.

فتحت قائمة الشتاء بسرعة، تخطّت بشكل همجي الكتب التي لن يختارها مؤكّدة على آمال الناشر الكبيرة، ووفرت صفاتها الأكثر روعة لأشيائها المفضلة. أخذت بعين الاعتبار إنْ كان الكتاب يحتوي على الاقتباسات الخاصة بالناشرين، والتي تظهر على الغلاف الخلفي لكتّاب معروفين، والتي تعدّ بمنزلة مصادقات إضافية في الغالب، وفكري ليس واحدًا من تلك الاعتبارات. ففي اجتماعهما الثاني أو الثالث، كان قد أشار إلى اقتباسات الناشرين على أنّها (العصب الماسي للنشر)، أصبحت تعرفه بشكل أفضل الآن، وغني عن القول إن هذه العملية أقل إيلامًا له، فهو يثق بها أكثر، كما تعتقد، أو ربما يكون الأمر هو أن الأبوّة جعلته يافعًا. (من الحكمة الاحتفاظ بأفكار كهذه لنفسك). وعدها فكري بقراءة المزيد عن الكتب المعروضة.

"آمل أن يكون ذلك في أقل من أربع سنوات" قالت إميليا.

"سأبذل ما بوسعي كي أنجزها في ثلاث سنوات" صمت ثم أردف: "دعينا نطلب الحلوى، لا بد أن يتوفر (ويل أوف سانديه) هنا، أو

شيء من هذا القبيل".

تأوهت إميليا: "هذا حقًا تلاعب فظيع بالكلمات".

"إذا كنت لا تمانعين في طرح أسئلتي؛ لماذا كان كتاب (المُزهر متأخرًا) كتابك المفضل من تلك القائمة؟ فأنت شابة...".

"أنا لست صغيرة السن، أنا في الخامسة والثلاثين من عمري".

"هذا يعني أنكِ ما زلت صغيرة" قال: "ما قصدته، هو من المرجح أنك لم تمري بالكثير مما وصفه السيد فريدمان، فبعد قراءة الكتاب فكرت بك، وتساءلت ما الذي دفعك إلى قراءته".

"يا سيد فِكري، هذا سؤال شخصي بحت". ترتشف آخر ما تبقى من الكأس الثانية من الـ كويكويغ، "السبب الحقيقي الذي جعلني أحب الكتاب هو جودة الكتابة".

"بالتأكيد. لكن هذا لا يكفي".

"دعنا نقُل إن الأمر متعلق بكوني عانيت من كثرة اللقاءات السيئة في الوقت الذي صادفت فيه كتاب (المُزهر متأخرًا) على مكتبي. أنا رومانسية، لكن في بعض الأحيان لا تبدو هذه أوقات رومانسية بالنسبة لي. (المزهر متأخرًا) كتاب عن إمكانية العثور على حب كبير في أي عصر، وهكذا بدت اقتباساته كما أعرف".

هزَّ فكري رأسه.

سألت إميليا: "وأنت لماذا أعجبك؟".

"لجودة نثره، وأشياء أخرى".

"ظننتُ أنه لم يُسمح لنا بقول ذلك!" قالت إميليا.

"أنتِ لا تريدين سماع قصصي الحزينة، أليس كذلك؟".

"بلى، أحبُّ القصص الحزينة".

أعطاها نسخة من (دليل كليف نوتس) (35) الخاص بوفاة نيك، وقال: "يوضّح فريدمان عند نقاط معينة معنى أن تفقد شخصًا ما، وكيف أن الأمر لا يعني محض خسارة واحدة، كما يوضح عن كيف تخسر وتخسر".

"متى ماتت؟" سألت إميليا.

"منذ فترة. كنتُ أكبر سناً منك بقليل في ذلك الوقت".

"لا بد أن يكون ذلك منذ فترة طويلة" قالت.

يتجاهل تعليقها: "كان يمكن لكتاب (المُزهر متأخرًا) أن يكون مشهورا".

أعلم ذلك، وأفكر أن يقرأ شخص ما مقطعًا منه في حفل زفافي".

صمتَ فكري ثم قال: "هل ستتزوجين يا إميليا؟ تهانينا، من الفتى المحظوظ؟".

حرّكت الهاربون الموجود في عصير الطماطم في كأس ال كويكويغ، في محاولة لاستعادة الروبيان الذي ذاب.

أجابت: "جندي هارب اسمه «بريت بروير». كنت على وشك الاستسلام عندما قابلته عبر الإنترنت".

شرب الثمالة المُرَّة من كأسه الثاني من النبيذ: "أخبريني المزيد".

"إنه في الجيش، يخدم في الخارج، في أفغانستان".

"حسنًا فعلتِ، ستتزوجين من بطل أمريكي" قال فكري.

"أعتقد ذلك".

"أنا أكره هؤلاء الرجال"، قال: "لقد جعلوني أشعر بشعور غريب تمامًا. أخبريني شيئًا قذرًا عنه كي أشعر بتحسن".

- "حسنًا، لا يجلس في المنزل كثيرًا".

- "لا بد أنك افتقدتِه كثيرًا".

- "بالفعل، لذا حظيتُ بالكثير من القراءة".

- "هذا أمر جيد. هل يقرأ هو أيضًا؟".

- "في الواقع، لا، إنه لا يقرأ كثيرًا. لكن هذا مثير للاهتمام، أليس كذلك؟ أعني أنه من المثير للاهتمام أن أكون مع شخص تختلف اهتماماته عن اهتماماتي. لا أدري لماذا ما أزال أقول: (مثير للاهتمام). النقطة المهمة هي أنه رجل طيب".

- "هل هو مناسب لك؟".

هزّت رأسها.

"هذا ما يهم. على أية حال، لا يوجد أحد مثالي". قال فكري: "ربّما جعله شخص ما يقرأ موبي ديك في المدرسة الثانوية".

ضربت إميليا الروبيان قائلة: "وجدتها. زوجتك... هل كانت قارِئة؟".

"وكاتبة. أنا لا أقلق بشأن ذلك، فالقراءة على الرغم من ذلك مبالغ فيها. انظري إلى الأشياء الجيدة في التلفاز، أشياء مثل (ترو بلود) (36).

- "أنت تسخر مني الآن".

- "ياااه، الكتب مخصصة للمهووسين" قال فكري.

- "المهووسون مثلنا".

عندما أتى الحساب سدّده فكري، علمًا بأنّه من المعتاد أن يدفع مندوب المبيعات في مثل هذه الحالات.

"هل أنت متأكد؟" سألت إميليا.

أخبرها فكري أنه يمكنها أن تدفع في المرَّة القادمة.

خارج المطعم، تصافحت إميليا وفكري وتبادلا المُجاملات المهنيَّة التقليدية. التفتت لتعود مُجددًا إلى العبَّارة، وبعد لحظة التفت عائدًا إلى متجره.

"مهلًا فكري" نادته، هناك شيء بطولي في أن تكون بائعًا للكتب، وهناك أيضًا شيء بطولي في تبني طفل".

"سأفعل ما بوسعي" انحنى، وفي منتصف قيامه بالانحناء، أدرك أنه ليس من النوع الذي يستطيع أن يسحب الركوع فسوّى نفسه بسرعة، وقال: "شكرًا لك، إميليا".

"أصدقائي ينادونني (آمي)" قالت.

• • •

لم يسبق لـ مايا رؤية فكري مشغولًا جِدًّا أبدًا. تساءلت قائلة: "أبي، لماذا لديك كثير من الواجبات؟".

- "بعضها غير منهجي" أجابها.

- "ماذا تقصد بـ غير منهجي؟".

- "لو كنتُ مكانكِ لبحثتُ عنها".

إنَّ قراءة قوائم موسم كامل، بما فيها قائمة دار نشر متواضعة الحجم مثل نايتلي، هو التزام كبير بالوقت لشخص معه طفلة صغيرة وثرثارة، إضافة للأعمال البسيطة. بعد أن ينهي عناوين نايتلي كلها، سيرسل رسالة بالبريد الإلكتروني لـ إميليا لإخبارها بما يجول في خاطره. في رسائل البريد الإلكتروني الخاصة به، لا يتحمَّل إطلاق لقب (آمي) عليها، على الرغم من أنه سُمِحَ له بذلك. في بعض الأحيان، إذا لفت انتباهه حقًا شيء ما، فإنه يتصل بها، أما إذا كان يكره كتابًا ما، فإنه يرسل رسالة: {لا يروق لي}. من جانبها، لم تحظَ إميليا بهذا الاهتمام من أيّ زبون آخر.

أرسلت له إميليا: "أليس لديك أيّ ناشرين آخرين تقرأ لهم؟".

فكَّر فكري طويلًا في جوابه، فكانت أول مسوّدة له: {لا أحد من مندوبي المبيعات أعجبني مثلك}، لكنه عدَّ هذا وقاحة بالنسبة لفتاة لديها خطيب أمريكي بطل. فقام بإعادة صياغتها: "إنها قائمة مقنعة لـ نايتلي على ما أعتقد".

طلب فكري كثيرًا من عناوين نايتلي حتى إن رئيس إميليا لاحظ ذلك، فقال: "لم أرَ يومًا عميلًا بسيطًا مثل آيلاند يطلب الكثير من كتبنا، أهو مالك جديد؟".

"المالك نفسه"، أجابت إميليا: "لكنه اختلف بعد أن التقيت به أول مرة".

"حسنًا، لا بد أنك أثّرتِ فيه. هذا الرجل لا يأخذ ما لا يستطيع بيعه"، قال الرئيس: "لم يقترب هارفي أبدًا من هذه الأنواع من الطلبات مع آيلاند".

أخيرًا، وصل فكري إلى العنوان الأخير. إنها مذكرات ساحرة عن الأمومة وكتب العائلة، وكتب مذكرات كتبها شاعر كندي لطالما أحبه فكري على الدوام. الكتاب عبارة عن مئة وخمسين صفحة، لكنه استغرق أسبوعين حتى انتهى منه. لا يبدو أنه يقرأ فصلاً من دون أن يغفو أو يتشتت انتباهه بسبب مايا، وعندما أنهاه وجد نفسه غير قادر على صياغة الرد، كانت الكتابة أنيقة بما فيه الكفاية، واعتقد أن النساء اللواتي يترددن إلى متجره يمكن أن يثير اهتمامهن. المشكلة - بالطبع - بأمر الرد على إميليا، سينتهي من كتالوج نايتلي الشتوي، ولن يكون لديه أي سبب للاتصال بإميليا إلى أن تصل القائمة الصيفية. إنه يحبها، ويعتقد أنه من الممكن أن تعجبه على الرغم من ذلك الاجتماع الأول المروع. لكن... فكري ليس من النوع الذي يعتقد أنه من الجيد محاولة سرقة خطيبة رجل آخر، إنه لا يؤمن بـ (الشخص الواحد). هناك ملايين من الناس في العالم؛ لا أحد استثنائي. إلى جانب ذلك فهو بالكاد يعرف إميليا لومان. ماذا لو -على سبيل المثال - نجح في سرقتها ثم اتضح أنهما لا يتفقان في السرير؟

كتبت له إميليا: {ما الذي يحدث؟ ألم يعجبك؟}.

ردَّ فكري: {لسوء الحظ، لم يرق لي. أتطلع لرؤية ما هو مدرج في قائمة نايتلي الصيفية. المخلص لك فكري}.

كان رده صادمًا لإميليا لأنه رجل أعمال مفرط في الرفض. بدأت تفكر بالتقاط هاتفها لكنها لم تفعل، وعاودت مراسلته: {في فترة انتظارك، عليك بالتأكيد مشاهدة مسلسل «ترو بلد» فهو البرنامج التلفزيوني المفضل لإميليا}. دار نوع من المزاح بينهما. يفضل فكري مشاهدة مصاصي الدماء إن كان سيشاهد (ترو بلود) فقط، أمّا إميليا فتوهم نفسها بشخصية (سوكي ستاكهاوس) (37).

كتب فكري: {لا شيء سيحدث يا آمي. سأراكِ في مارس / آذار}.

بقي لشهر مارس / آذار أربعة شهور ونصف. بحلول ذلك الوقت، فكري يشعر بأنه متأكد من أن انكساره البسيط سيختفي أو على الأقل سيتلاشى إلى حالة سكون أكثر تحملاً.

بقي لشهر مارس / آذار أربعة أشهر ونصف.

سألته مايا عن خطبه، وأخبرها أنَّهُ حزين لأنه لن يرى صديقه لفترة من الوقت.

- سألته مايا: "أتقصد إميليا؟".

- "كيف عرفتِ بأمرها؟".

بدأت مايا بتحريك عينيها وتساءل فكري: متى وأين تعلمت هذه الإيماءة!

في تلك الليلة، استضاف لامبياز نادي قراءة خاصًا بالضبّاط في المتجر، وكان اختيارهم رواية لوس أنجلوس السريّة(38)، وبعد ذلك، كما هو الحال في تقاليدهم يشرب هو وفكري سوية.

- "أعتقد أنني قابلت شخصًا ما"، قالها فكري بعد كأس جعله لطيفًا.

- "أخبار سارة"، قال لامبياز.

- "المشكلة أنها مرتبطة بشخص آخر".

- "توقيت سيّئ"، صرَّحَ لامبياز: "لقد كنت ضابط شرطة منذ عشرين عامًا وسأخبرك بأن كل شيء سيئ في الحياة إلى حد كبير هو نتيجة لتوقيت سيئ، وكل شيء جيد هو نتيجة لتوقيت جيد".

- "يبدو هذا اختزالًا فظيعًا".

- "فكّر في الأمر. لو لم يُسرق كتاب «تيمورلنك»، لما تركت الباب مفتوحًا، ولما تركت ماريان والاس الطفلة في المتجر. التوقيت الجيد هو ما كان عليه الأمر".

- "صحيح، لكنني قابلت إميليا منذ أربع سنوات" قال فكري: "لم أكن منزعجًا لأنني لَحِظْتُها منذ شهرين فقط".

- "ما يزال التوقيت سيئًا، فقد ماتت زوجتك، ثم أصبح لديك مايا".

- "ليس في الأمر عزاء" قال فكري.

- "ولكن مهلًا، من الجيد أن تعرف أن قلبك ما يزال ينبض، أليس كذلك؟ هل تريد مني ربطك مع شخص ما؟".

هز فكري رأسه.

- "هيا"، أصرَّ لامبياز: "أعرف الجميع في المدينة".

- "لسوء الحظ، إنها مدينة صغيرة جدًا".

بدايةً وصل لامبياز فكري مع ابنة عمه ذات الشعر الأشقر ذي الجذور السوداء، والحواجب والجفون المنتفخة جدًا، والوجه الذي كان بشكلٍ قلب، والصوت العالي مثل مايكل جاكسون. كانت ترتدي قميصًا قصيرًا وحمَّالة صدر مشدودة، مما جعله رفًّا حزينًا صغيرًا تستند إليه قلادتها التي تحمل اسمها ماريا.

في منتصف أصابع جبنة الموزاريلا، انتهى الحديث.

- حاول فكري حثها على البوح قائلًا: "ما اسم كتابك المفضل؟".

- مضغت أصابع الموزاريلا، وأمسكت ماريا بقلادتها وكأنَّها مسبحة، وقالت: "هذا نوع من الاختبار، أليس كذلك؟".

- "لا، ما من إجابة خاطئة" قال فكري: "أنا فضولي".

تشرب خمرها.

- "أو يمكنك التصريح بأكثر كتاب أثر كثيرًا في حياتك. أحاول التعرف إليك قليلاً".

ارتشفت رشفة أخرى.

- "أو ماذا عن آخر ما قرأته؟".

- "آخر شيء قرأته... " قطّبت جبينها: "آخر ما قرأته هو هذه القائمة".

- "وآخر شيء قرأتهُ أنا كان قلادتك يا ماريا" قال.

أصبحت الوجبة وديَّة للغاية بعد ذلك. ولم يكتشف ما ستقرؤه ماريا.

بعد ذلك، عرَّفته مارغرين في المتجر على جارتها، وهي إطفائية نشيطة تُدعى (روزي). كان لـ روزي شعر أسود مع خصلة زرقاء، وعضلات ذراع مميزة، وضحكة كبيرة، وأظافر قصيرة تلونها باللون الأحمر مع لمعة برتقالية بسيطة. كانت (روزي) بطلة جري سابقة في الكليَّة، وهي تحب قراءة تاريخ الرياضة، لا سيّما مذكرات الرياضيين.

في موعدهم الثالث، كانت في منتصف وصفها لقسم درامي من

كتّاب «خوسيه كانسيكو جويسد»(39)، عندما قاطعها فكري قائلًا: "هل تعلمين أنه مُؤلّف من قبل كاتِب مجهول؟".

قالت روزي إنها تعرف ولا تهتم لذلك: "لقد كان هؤلاء الأفراد ذوو الأداء العالي منهمكين بالتدريب والممارسة، متى كان لديهم الوقت ليتعلموا كتابة الكتب؟".

قال: "لكن هذه الكتب... من وجهة نظري: أكاذيب بامتياز".

أمالت روزي رأسها نحو فكري ونقرت بأظافرها البرّاقة على الطاولة، وقالت: "أنت متعصب، وتعرف ذلك؟ وهذا يجعلك تفوّت الكثير".

ردّ: "قيل لي ذلك من قبل".

"حياتهم كلها في مذكرات رياضية"، قالت: "فأنت تدرّبت بجد ونجحت، لكن في النهاية سينهار جسدك وتنتهي الحكاية".

قال: "يبدو الكتاب وكأنه رواية لـ «فيليب روث»(40) في الفترة الأخيرة".

تكتّفت روزي قائلة: "هذه إحدى الأشياء التي تقولها كي تبدو ذكيًّا، أليس كذلك؟ لكنّك في الحقيقة تحاول أن تجعل شخصا آخر يشعر بالغباء".

في تلك الليلة في سريره، وبعد ممارسة الحب الذي كان أشبه بالمصارعة، بدأت روزي بالابتعاد عنه وقالت: "لستُ متأكدة من أنني أريد أن أراك مُجدّدًا".

"أنا آسف إن جرحت مشاعرك قبل نقاشنا بالمذكرات"، حدّثها وهو يرتدي بنطاله.

لوَّحت بيدها قائلة: "لا تقلق بشأن ذلك. لا يمكنك مساعدتي بالطريقة التي أنت عليها".

بدأ يشك في أنَّها على حق، وأنَّه مُتعصّب، وغير مناسب للعلاقات. سيقوم بتربية ابنته، ويدير متجره، ويقرأ كتبه، وهذا كافٍ حسبما رأى.

• • •

بعد إصرار إيسماي تحتَّم على مايا أنْ ترقص.

قالت إيسماي: "أنتَ لا تريد أن تحرمها من ذلك، أليس كذلك؟".

"بالطبع لا" قال فكري.

"حسنًا"، قالت إيسماي: "الرقص مهم، ليس جسديًا فحسب، بل اجتماعيًّا أيضًا، أنت لا تريد أن ينتهي بها الأمر إلى نقص في النمو".

"لا أعرف. أليسَت فِكرة تسجيل فتاة صغيرة في نادٍ للرقص نوعًا

من المفاهيم القديمة والتحيزيّة؟".

فكري غير متأكد إن كانت مايا ستكون مناسبة للرقص. حتى في السادسة من عمرها، فهي منطقية التفكير، دائمًا تجدها مع كتّاب ومحتوى في المنزل أو في المتجر. قال: "نموّها ليس ناقصًا، وهي الآن تقرأ فصولًا من الكتب".

" من الواضح أنه ليس منطقيًّا"، تُصرّ إيسماي: "لكن يبدو أنها تفضل مرافقتك إلى أي مكان، وتفضّل صحبتك على صحبة أقرانها أيضًا، وهذا - برأيي- غير مفيد".

"لماذا غير مفيد؟" في هذه اللحظة استشعر فكري ألمًا غير مريح.

"سوف ينتهي بها الأمر مثلك" قالت إيسماي.

"وما المشكلة في ذلك؟".

تعطيه إيسماي نظرة وكأنَّ الإجابة واضحة: "انظر يا فكري، أنتما في عالمكما الصغير، وأنت لا تواعد أبدًا...".

- "إنني أواعد".

- "أنت لا تسافر أبدًا...".

- يقاطعها فكري: "نحن لا نتحدث عني".

- "توقف عن جدالك المفرط، لقد طلبت مني أن أكون عرّابة، وأطلب منك تسجيل ابنتك في الرقص. سأدفع مقابل ذلك، لذا لا تجادلني بعد الآن".

يوجد استوديو للرقص في (أليس آيلاند)، وصفٌّ واحد للفتيات في سن الخامسة والسادسة. المالكة المعلمة أولينسكا، وهي في الستينات من عمرها، ومع أنها ليست بدينة، إلا أن بشرتها مترهلة، مما يشير إلى أن عظامها قد ضعفت على مر السنين، وتبدو أصابعها المرصعة بالجواهر على الدوام كما لو أن لها مفاصل أكثر من العادة. الأطفال مفتونون بها وخائفون منها. شعر فكري بالطريقة نفسها، ففي المرة الأولى التي أخذ فيها مايا، قالت السيدة أولينسكا: "يا سيد فكري، أنت أول رجل يضع قدمه في استوديو الرقص هذا منذ عشرين عامًا. يجب أن نستفيد منك".

في لهجتها الروسية، يبدو هذا وكأنه دعوة جنسية من نوع ما، ولكن ما تحتاجه فعلًا هو عامل بالأشغال اليدوية.

بالنسبة لحفلة العطلة الموسيقيَّة، رسم قفصًا خشبيًا كبيرًا يشبه مكعب نرد وصنعه، ومسدس صمغ ساخنًا، عليه أعين دوَّارة، وأجراسًا، وأزهارًا، وأزياء ماسورة تنظيف براقة بقرون استشعار وشوارب. (شكَّ في أنه لن يخرج البريق من تحت أظافره).

قضى معظم وقت فراغه هذا الشتاء مع السيدة أولينسكا، وعرف الكثير عنها. على سبيل المثال: تلميذة السيدة أولينسكا هي ابنتها التي ترقص في (عرض برودواي) (41)، لكنهما لم تتحدثا منذ عقد من

الزمن. لوّحت له بألّا يكون رجلًا مرنًا قائلة: "لا تدع هذا يحدث لك". نظرت خارج النافذة بشكل مثير، ثم التفتت ببطء إلى فكري وأردفت: "ستشتري إعلانًا في برنامج من أجل المتجر، نعم" هذا ليس سؤالًا. أصبحت آيلاند بوكس الراعي الوحيد لفرقة «نات راكر رودلف أند فريندس» (42) الراقصة، وتظهر قسيمة عطلة للمتجر على الصفحة الخلفية للبرنامج. يذهب فكري إلى أبعد من ذلك، حيث يوفر سلة هدايا من الكتب التي تتحدث عن الرقص ليتم سحبها بعائدات تذهب إلى (بوسطن باليه).

من طاولة القرعة، كان فكري يراقب العرض، وعليه ملامح من التعب والسّهاد. وبينما وُزّعت الأدوار وفقًا للمهارات، كانت مجموعة مايا في المقدمة. كانت شديدة الحماس، إنها فأرة رشيقة حقًّا. انطلقت بسرعة، مجعدة أنفها بطريقتها الخجولة والمعروفة. هزّت ذيلها الذي كان ملفوفًا عليها بعناية.

وهو يعرف أن مهارتها في الرقص لا تصبّ في مستقبلها.

سلمته إيسماي منديلًا.

"باردة".

- "بالتأكيد" قالت إيسماي.

في نهاية الليلة، قالت السيدة أولينسكا: "شكراً لك سيد فِكري. أنت رجل طيب".

"ربما لأن لدي طفلة طيبة". كان ما يزال بحاجة إلى إخراج فأرته من غرفة الملابس.

"نعم"، قالت: "لكن هذا لا يكفي، يجب أن تجد لنفسك امرأة طيبة".

"أنا مسرور بحياتي هكذا" قال فكري.

"أنت تعتقد أنّ طفلًا سيكون كافيًا، لكن الطفل سيكبر. وتعتقد أن العمل كاف، لكن العمل ليس جسدًا دافئًا". انتابه الشك في أن السيدة أولينسكا قد قاومت بالفعل بعض الـ (ستوليس) (43).

"أتمنى لكِ عطلة سعيدة سيدة أولينسكا".

بينما كانَ في طريقه نحو البيت مع مايا، فكَّرَ في كلمات المُعلمة. لقد كان وحيدًا منذ ما يقرب من ست سنوات. إن الحزن لا يُطاق، ولكن لم يكن يشكو من كونه وحيدًا مطلقًا. إلى جانب ذلك، لا يريد أي جسد حنون، بل يريد إميليا لومان ذات القلب الرؤوم، صاحبة الملابس الرثّة، فهو شخص يشبهها على الأقل.

بدأ الثلج بالهطول، وعلقت نُدَف الثلج تحت أنف مايا، أراد التقاط صورة، لكنه لا يريد فعل الشيء الذي نتوقف عنده لالتقاط صورة. قال لها: "الشوارب تناسبك".

الحديث عن شواربها أطلق دفقة من الملاحظات حول الحفل،

غير أنَّ فكري صرف انتباهها قائلًا: "مايا، هل تعرفين كم مضى من عمري؟".

- "نعم"، أجابته: "اثنان وعشرون".

- "أنا أكبر من ذلك بكثير".

- "تسعة وثمانون؟".

- رفع كفيه أربع مرات ثم رفع ثلاثة أصابع، وقال: "أنا كذلك...".

- "ثلاثة وأربعون؟".

- "أحسنتِ. أنا في الثالثة والأربعين من عمري، وفي هذه السنوات علمت أنه من الأفضل أن تكسب الحب وتخسره، و و و وأنه من الأفضل أن تكون بمفردك أكثر من أن تكون مع شخص لا تتفق معه. هل توافقيني الرأي؟".

هزَّت رأسها باعتزاز، وأوشكت أذناها اللتان تشبهان أُذني القطة أن تسقطا.

- "في بعض الأحيان. ورغم ذلك سئمت من تعلم الدروس". نظر إلى وجه ابنته المحير وسألها: "هل تبللت قدماكِ؟".

هزَّت رأسها موافقة، فجلس القرفصاء على الأرض حتى تتمكن من

الصعود على ظهره، وقال: "ضعي ذراعيك حول رقبتي". ما إن اعتلت رقبته حتى وقف وهو يئن قليلاً: "أنتِ أكبر مما اعتدت أن تكوني عليه".

- أمسكت شحمة أذنيه، وسألته: "ما هذا؟".

- قال: "اعتدت أن أضع حلَق".

- "لماذا؟" سألته: "هل كنت قرصانًا؟".

"كنت صغيرًا".

- "بعمري؟".

- "أكبر من ذلك. كان هناك فتاة".

"خادمة؟".

- "امرأة أحبّت فرقة (ذا كيور)، واعتقدت أنه سيكون من الرائع إذا خرمت أذنيّ".

- فكّرت مايا في هذا الأمر: "هل كان لديك ببغاء؟".

- "لا. كان لدي خليلة".

- "هل كان بمقدور الببغاء الكلام؟".

- "لا، لأنه لم يكن لدي ببغاء".

- حاولتْ خِداعه سائِلة: "ماذا كان اسم الببغاء؟".

- "لم يكن لدي ببغاء".

- "لكن لو كان لديك واحد، فماذا سيكون اسمه؟".

- "كيف عرفت أنه مذكر؟".

- "أوه!" وضعت يدها على فمها، وبدأت ترجع للخلف.

- "تمسكي برقبتي وإلّا فسوف تسقطي. رُبّما كان يُسمّى إيمي؟".

- "إيمي الببغاء. عرفتها. هل كان لديك سفينة؟" سألته مايا.

- "نعم فعلًا. وكان على متنها كتب، بل كانت حقًا أكثر من سفينة أبحاث. لقد درسنا الكثير".

- "أنت تُفسِد هذه القصة".

- "إنها حقيقة يا مايا. هناك قراصنة قَتَلة، وآخرون باحثون، وكان والدك آخرهم".

• • •

لا تُعد الجزيرة مقصداً شائعًا خلال الشتاء، لكن (أليس) في

ذلك العام كانت استثنائية بشكل عنيف، إذ كانت الطرقات عبارة عن حلبة للتزلج على الجليد، وألغيت خدمة العبّارات لعدة أيام دفعة واحدة. حتى دانيال باريش كان مُجبرًا على البقاء في منزله. كتب قليلًا، واجتنب زوجه، وقضى بقية وقته مع فكري ومايا.

كما تفعل معظم النساء، أحبّت مايا (دانيال). عندما يأتي إلى المتجر، لا يتحدث معها كما لو أنها ساذجة لأنّها طفلة. حتى في السادسة من عمرها بدت حسّاسة اتجاه الأشخاص المُتعالين. يسألها دانيال دائمًا عن ماذا تقرأ وبِمَ تفكر، وعلاوة على ذلك، لديه حواجب شقراء اللون وكثيفة، وصوت يجعلها تفكر في اللون الرمادي.

بعد ظهيرة أحد الأيام، بعد أسبوع من رأس السنة الجديدة أو نحو ذلك، كان دانيال ومايا يقرآن على أرضية المتجر فالتفتت إليه وقالت: "يا عم دانيال، لدي سؤال: ألم يسبق لك أن ذهبت إلى عمل؟".

"أنا أعمل الآن يا مايا" أجاب دانيال.

نزعت نظارته ومسحتها بقميصها، وقالت: "أنت لا تبدو وكأنك تعمل، يبدو أنك تقرأ. واستطردت قائلة: "أليس لديك مكان تذهب إليه حيث وظيفتك؟ لامبياز ضابط شرطة، وأبي بائع كتب، وأنت ما عملك؟".

يلتقط دانيال مايا ويحملها إلى قسم المؤلفين المحليين في متجر (بوكس آيلاند). كان فكري من باب المجاملة لشقيقه يخزن مجموعة أعمال دانيال بأكملها، على الرغم من أن الكتّاب الوحيد الذي يبيعه هو

كتابه الأول الأطفال في شجرة التفاح. يشير دانيال إلى اسمه على ظهر الكتاب قائلًا: "هذا اسمي، وهذا هو عملي".

تتسع عيون مايا قائلة بتوقير: "دانيال باريش... أنت تكتب الكتب. أنت... كاتب. حول ماذا يدور موضوع هذا الكتاب؟".

أجاب: "عن حماقات الرجل، إنها قصة حب ومأساة".

"هذه فكرة عامة جدًا" قالت مايا.

"إنه عن هذه الممرضة التي قضت حياتها برعاية أشخاص آخرين، تعرّضت لحادث سيارة، ووجب على الناس الاعتناء بها للمرة الأولى في حياتها".

قالت مايا: "هذا لا يبدو وكأنه شيء سأقرؤه".

"مبتذل نوعًا ما، أليس كذلك؟".

لم تكن تريد أن تجرح مشاعر دانيال فأجابت: "لاااا، لكنني أحب الكتب التي فيها المزيد من الإثارة".

"المزيد من الإثارة، هههه أنا كذلك. هذه أخبار سارّة يا آنسة فكري، فأنا أقضي طوال وقتي في القراءة، لأتعلم كيف أتقنها بشكل أفضل".

- فكرت مايا في هذا، وقالت: "أريد هذه الوظيفة".

- "الكثير من الناس يعملون بها يا فتاتي".

- "كيف يمكنني الحصول عليها؟" سألت مايا.

- " كما أسلفت، بالقراءة".

- هزّت مايا رأسها، وقالت: "سأفعل ذلك".

"منصب جيد".

- "سأحصل عليه".

"أنتِ قادرة على ذلك". قال لها دانيال قبل أن ينزلها على الأرض وأردفَ: "سأعلمك الباقي في وقت لاحق. أنت شريكة جيدة للغاية، هل تعرفين ذلك؟".

"هذا ما يقوله بابا".

قال: "إنه رجل ذكي، ومحظوظ، وطيب. ولديه طفلة ذكيّة أيضًا".

يدعو فكري مايا إلى الطابق العلوي لتناول العشاء. "هل تريد الانضمام إلينا؟" سأله فكري.

"الوقت مبكر نوعًا ما بالنسبة لي، بالإضافة إلى أنني حصلت على عمل أقوم به" غمز مايا.

• • •

وأخيرًا أتى شهر آذارٍ حيث ذاب الجليد في الطرقات، وتحول كل شيء إلى وحل، واستؤنفت خدمة العبّارات، وكذلك تجوال دانيال باريش. بدأ مندوبو المبيعات يتوافدون إلى المدينة بعروضهم الصيفية وفكري يخرج إليهم ليكون مضيافًا معهم، ويرتدي ربطة عنق ليُشيرَ لـ مايا بأنّه في العمل وليس في المنزل.

ولأن هذا الاجتماع ينتظره أكثر من غيره، أجَّل مُكالمة مبيعات إميليا إلى النهاية. قبل أسبوعين تقريبًا من موعدهم، أرسل لها رسالة: {أتفضلين أن أذهب معك إلى (بيكويد؟) أم تفضلين تجربة شيء جديد؟}.

{كوكتيل (كويكويغ) عليَّ هذه المرَّة} ردَّت، وأضافت: {هل شاهدت ترو بلود؟}.

كان التواصل الاجتماعي لا يحلو له في الشتاء، لذلك في الليل، بعد أن تذهب مايا للنوم، يمرّ فكري على أربعة فصول من ترو بلود. لم يستغرق المشروع وقتًا طويلاً لأنه أحب ذلك أكثر مما كان يتوقع؛ وهو تقاطع بين الأدب القوطي الجنوبي لـ (فانري أوكونور) ورواية سقوط منزل آشر أو كاليجولا. كان يخطط لإبهار إميليا بمعرفته بـ ترو بلود عندما تأتي إلى المدينة.

كتب: {عليكِ معرفة متى ستصلين إلى هنا}، لكنه لم يضغط على زر الإرسال لأنه قرر أن هذا النص يبدو استفزازيًا للغاية، إذ لم يكن

يعرف متى موعد حفل زفاف إميليا، لذلك ربما تكون بالفعل امرأة متزوجة الآن، فكتب: {أراكِ يوم الخميس المقبل}.

تلقى يوم الأربعاء مكالمة من رقم لا يعرفه، وتبين أن المتصل (برت بريور)، بطل أمريكي، بدا وكأنه (بيل) في فيلم ترو بلود، ظن فكري أن اللهجة مزيفة، لكن من الواضح أن البطل الأمريكي ليس مضطرا لتزوير لهجة جنوبية.

{يا سيد فكري، أنا برت بريور أتصل بالنيابة عن إميليا، لقد تعرضتْ لحادث، لذا طلبت مني إخبارك بضرورة تغيير وقت اجتماعكما}.

أرخى ربطة عنقه: {آمل ألا يكون هناك خطورة}.

{لطالما حاولت إقناعها بعدم لبس تلك الجراميق، لأنها مناسبة للمطر فقط، وخطيرة على الجليد، وقد انزلقت على الجليد هنا في (بروفيدنس)، وهذا ما توقعتُ حدوثه، فكُسِرَ كاحلها، وهي تُجرِي عملية جراحية الآن، ليس هذا بالأمر الخطير، لكنها ستستلقي لفترة}.

{أوصل لخطيبتك تحياتي، أليست كذلك؟} قال فكري.

أطبق الصمت، وتساءل فكري إن كان الاتصال قد انقطع.

{سأقوم بذلك}، قالها بريت بروير قبل إغلاق هاتفه.

شعر فكري بالارتياح لأن إميليا لم تتأذَّ كثيرًا، لكنَّه شعر بخيبة أمل كبيرة لأنها لن تأتي، إضافة إلى الأخبار التي تفيد بأن البطل

الأمريكي ما يزال حاضرًا في المشهد.

بدأ يفكر في إرسال زهور لـ إميليا أو كتاب، إلّا أنّهُ قرَّر في النهاية إرسال رسالة لها، حاول العثور على اقتباس من فيلم ترو بلود يجعلها تضحك، لكن عندما بحث عبر غوغل، بدت جميع الاقتباساتِ استفزازية للغاية، لذا كتب: {أنا آسف لأنك تشعرين بالألم. كنتُ أتطلع إلى الاستماع إلى قائمة نايتلي الصيفية، آمل أن نتمكن من إعادة ترتيب موعد قريب. ومن المؤلم أن أقول هذا: (إن إعطاء مصاص الدماء جاسون ستاكهاوس دماء كمن يعطي الحلوى لمرضى السكري) (44)}.

بعد ست ساعات ردَّت إميليا مرَّة أخرى: {لقد شاهدته!!!}.

فكري: {نعم شاهدته}.

إميليا: {هل يمكن أن نعمل بالقائمة عبر الهاتف أو السكايب؟}.

فكري: {ماذا تقصدين بـ سكايب؟}.

إميليا: {أمِن الواجب عليَّ تعليمك كل شيء؟!؟}.

بعد أن شرحت له إميليا عن السكايب، يقرران اللقاء عن طريقه.

كان فكري مسرورًا برؤيتها حتى ولو بصورة فيديو. بينما تقوم بمراجعة القائمة، يجد أنه بالكاد يستطيع الانتباه، كان مفتونًا بأشياء إميليا الموجودة خلفها؛ جرَّة زجاجية مليئة بزهور عبَّاد الشمس،

وشهادة دبلوم ظنها أنها توحي بأنها من كليّة (فاسار)، ودمية لشخصية (هيرميون غرانجر) (45) برأس هزّاز، وصورة مؤطرة لإميليا وهي شابَّة، وأناس يعتقَدُ أنَّهم والداها، ومصباح مغطّى بوشاح مزين بـ (بولكا دوتس) (46)، ودبّاسة أوراق تشبه هيئة (كيث هارينغ) (47)، ونسخ قديمة لبعض الكتب التي لم تتّضح لـ فكري عناوينها. وزجاجة من طلاء تلميع الأظافر، وسلطعون بحر، ومجموعة من أنياب مصاص دماء بلاستيكية، وزجاجة غير مفتوحة من الشمبانيا الجيدة، و...

{فكري} قاطعته إميليا: {هل تسمعني؟}.

{نعم أسمعك، إني... أحدق في أشيائك الخاصة}. أنا لست مستخدمًا في برنامج السكايب، هل يمكنني استخدامه فعلاً؟}.

{لا أعتقد أن أكسفورد قد بحث في الأمر، لكنني أعتقد أنه لا بأس في ذلك}، وقالت: {كما قلت، إن قائمة نايتلي لهذا الصيف لا تحوي مجموعة قصصية واحدة فقط، بل مجموعتين}.

تابع إميليا وصف المجموعتين، وعاد فكري إلى التجسس، وكتب: {ما ذاك الكتاب؟}. كان كتابًا أقل سماكة من قاموس أو من الكتاب المقدس. يميل لمحاولة رؤيته بشكل أفضل، لكن النص المكتوب على الأوراق المذهبة باهت للغاية بحيث لا يمكن فك تشفيره عبر مكالمة فيديو. كم مزعج أنه لا يمكن تكبير الصورة أو تغيير الزاوية. توقفت عن الكلام لأنها كانت تنتظر بعض الردود من فكري.

{نعم، أنا أتطلع إلى قراءتها كلها} كتب.

{رائع، سأقوم بإرسالها إلى بريدك اليوم أو غدًا. هذا كل شيء حتى قائمة الخريف}.

{آمل أن تتمكني من الحضور شخصياً}.

{سآتي. بالتأكيد سآتي}.

سألها فكري: {ما ذاك الكتاب؟}.

{أي كتاب؟}.

{الكتاب العتيق المسنود إلى المصباح، على الطاولة خلفك}.

{أتريد أن تعرف؟} كتبت: {إنّه كتابي المفضل، إنه هدية تخرجي في كليتي من والدي}.

{عن ماذا يتكلم إذن؟}.

قالت: {إنْ جئتَ إلى بروفيدنس، سأريك إيَّاه}.

ينظر فكري إليها بنظرة غزل على ما يبدو، إلا أنها لم ترفع نظرها عمّا كانت تكتبه عندما قالت ذلك. ولكن...

- {بدا لي بريت بروير رجل لطيف} قال فكري.

{ماذا؟}.

- {عندما اتصلَ بي ليخبرني أنّك أُصِبتِ وأنّه ليس بمقدورك المجيء} شرح فكري.

{صحيح}.

- {ظننتُ أنَّهُ أشبه بشخصيَّة بيل في فيلم ترو بلود}.

- ضحكت إميليا: {انظر إلى نفسك، إنك تطلق عبارات تلقائية عن ترو بلود. سيتعين عليّ إخبار بريت في المرَّة القادمة التي أراه فيها}.

- {بالمناسبة، متى موعد زفافكم؟ أم أنَّه حدث بالفعل؟}.

- تنظر إليه قائلة: {في الواقع، لقد ألغي}.

قال: {آسف}.

- {لقد حدث ذلك منذ فترة، خلال عيد الميلاد}.

- {فكرت بذلك لأنه هو من اتصل...}.

- {لقد انهار ما بيننا في منزلي عندما أخبرته أنني أريد الاستمرار بعلاقتي مع أصدقائي السابقين، وهو لا يريد ذلك!}.

- كان فكري يعلم أنَّهُ يتطفل، غير أنَّه لا يستطيع ردع نفسه فسألها: {ما الذي حدث؟}.

- {بريت رجل عظيم، ولكن الحقيقة المحزنة هي أنه لم يكن لدينا الكثير من القواسم المشتركة}.

- قال: {الأحاسيس المشتركة مهمة}.

رنَّ هاتف إميليا: {إنها أمي. يجب أن أرد عليها} تقول: {سأراك في غضون شهرين، جيد؟}.

هز فكري رأسه موافقًا. أغلق السكايب، وتغيرت حالة إميليا إلى {في الخارج}.

فتح مستعرضه وبحث عبر غوغل عن العبارة الآتية: //مناطق الجذب التعليمية للأسرة بالقرب من بروفيدنس، رود آيلاند//. لم يسفِر البحث عن نتائج مميزة؛ متحف للأطفال، ومتحف دمى، ومنارة، وأشياء أخرى يمكنه القيام بها بسهولة أكبر في بوسطن. يستقر على حديقة حيوانات خضراء فيها أشجار مزخرفة على هيئة حيوانات في بورتسموث. قرأ هو ومايا كتابًا مصورًا يحتوي على حيوانات في حديقة ممتلئة بأشكال زخرفية منذ فترة، ويبدو أنها كانت مهتمة بالموضوع، بالإضافة إلى أنه من الجيد بالنسبة لهم الخروج من الجزيرة، أليس كذلك؟ سيأخذ مايا لرؤية الحيوانات، ثم يقوم بجولة في بروفيدنس لزيارة صديق مريض.

قال في تلك الليلة في أثناء وجبة العشاء: "يا مايا، هل تودين رؤية شجرة مزخرفة على شكل فيل عملاق؟".

رمقته بنظرة: "صوتك مضحك".

"إنه رائع يا مايا. هل تتذكرين ذلك الكتاب الذي قرأناه وكان يحتوي على أشجار زخرفية؟".

"تقصد عندما كنت صغيرة".

"صحيح، لقد وجدت المكان الذي يحوي حديقة أشجار مزخرفة على هيئة حيوانات. يجب أن أذهب إلى بروفيدنس على أي حال لرؤية صديق مريض، لذلك أظن أنه سيكون من الرائع بالنسبة لنا رؤية حديقة الحيوانات في أثناء وجودنا هناك". يخرج جهاز الحاسوب الخاص به ويريها موقع الويب الذي يحوي أشجارا مزخرفة على شكل حيوانات أليفة.

"حسنًا"، قالت بجدية: "أود أن أرى ذلك". وأشارت إلى أن الموقع يبين أن حديقة الأشجار الزخرفية في بورتسموث ليس بروفيدنس".

"بورتسموث وبروفيدنس قريبتان من بعضهما" قال فكري، وأضاف: "رود آيلاند هي أصغر ولاية في البلاد".

لكن تبين أن بورتسموث وبروفيدنس ليستا قريبتين تمامًا، وعلى الرغم من وجود حافلة، فإن أسهل طريقة للوصول إلى هناك هي الذهاب بالسيارة، لكن فكري ليس لديه رخصة للقيادة، لذا اتصل بـ لامبياز وطلب منه المجيء معهم.

سأله لامبياز: "طفل رائع في حديقة أشجار زخرفية؟".

"إنها مولعة بذلك" قال.

"يبدو شيئًا غريبًا أن يكون هناك طفل مهتم بهذا، هذا كل ما أعنيه".

"إنها طفلة غريبة".

قال لامبياز: "لكن هل يعد فصل الشتاء أفضل وقت للقيام بجولة في حديقة؟" .

"تقريبًا وقت الربيع، علاوة على ذلك، فإن مايا مهتمة بهذه الحديقة الآن. من يدري ما إذا كانت ستبقى مهتمة حتى الصيف؟".

"يتغير الأطفال بسرعة. هذا صحيح" يقول لامبياز.

"انظر، لست مضطرًا لمرافقتنا".

"أوه، سآتي. من الذي لا يريد رؤية فيل أخضر عملاق؟ لكن الأمر هو أنَّ بعض الناس أحيانًا يخبرونك أنّك في رحلة من نوع ما، لكن يتبين أنَّها رحلة من نوع آخر، هل تعرف ماذا أقصد؟ أريد معرفة نوع الرحلة التي سأقوم بها فحسب. هل سنرى حديقة الأشجار الزخرفية، أم سنرى شيئًا آخر؟ ربما تلك السيدة، صديقتك، قل؟".

تنهَّد وقال: "لقد خطر في ذهني أنني قد أتوقف لرؤية إميليا، نعم".

يرسل فكري رسالة لـ إميليا في اليوم التالي، مفادها: {نسيت أن أذكر أنني ومايا سنكون في رود آيلاند في نهاية الأسبوع القادم، لذا بدلًا من إرسال الكتب عبر البريد، يمكنني أخذها منك}.

إميليا: {لن تأخذها من هنا، فقد أُرسِلت من مدينة نيويورك}.

فشلت الخطة غير المدروسة... هذا ما جال في مخيلة فكري.

بعد دقيقتين، تُرسل إميليا رسالة أخرى: {على أية حال، ماذا تفعل في رود آيلاند؟}.

فكري: {ذاهب إلى حديقة الأشجار الزخرفية في بورتسموث، مايا تحبها! (شعر على نحو بسيط بالذل من سؤالها)}.

إميليا: {ألم تكن تعرف أنه ثمة حديقة هنا؟ أتمنى أن آتي معكم، لكنني ما زلت بالكاد أمشي}.

ينتظر بضع دقائق قبل أن يرسل: {هل تستقبلينا بوصفنا زائرين؟ ربما بمقدورنا أن نأتي لزيارتك}.

لا ترد على الفور. يفهم فكري من صمتها أنّها استقبلت من تحتاجهم.

في اليوم التالي، تعود إميليا وتكتب له: {بالتأكيد أرغب بذلك، ولا تأكلا حين تأتيان، سأقدم لكما شيئًا ستحبانه}.

• • •

قال فكري: "هناك، على بعد مسافة من هنا، يمكنك أن تراهم جيدًا إذا وقفت على أطراف أصابع قدميك ونظرت من فوق السياج!".

غادروا (أليس) في السابعة من صباح ذلك اليوم، ونقلتهم العبّارة إلى هيانيس، ثم سافروا لمدة ساعتين إلى بورتسموث ليكتشفوا أنّ حديقة الأشجار الزخرفية على هيئة حيوانات مغلقة من نوفمبر إلى مايو.

وجد فكري أنّه لا يستطيع أن يرفع بصره ويضع عينه في عين ابنته أو لامبياز. درجة الحرارة تسع وعشرون، إلّا أنّ الخجل يبقيه غاضباً.

تقف مايا على أصابع قدميها وعندما لا يجدي ذلك نفعًا، تحاول القفز، وتقول: "لا أستطيع رؤية أي شيء".

يقول لامبياز رافعًا مايا على كتفيه: "سأرفعك".

"ربما أستطيع أن أرى بعض الأشياء" قالت مايا بريبة، وأردفت: "لا، بالتأكيد لا يمكنني رؤية أي شيء. جميعها مغطاة". تبدأ شفتها السفلية بالارتعاش. تنظر إلى فكري بعيون يعتليها الأرق. لا يعتقد أنه يمكن أن يتحمل أكثر من ذلك.

فجأة، ابتسمت بذكاء لـ فكري، وقالت: "لكن أتعرف ماذا يا أبي؟ أستطيع أن أتخيل كيف يبدو الفيل تحت الدثار، والنمر، ووحيد القرن!". تهزّ رأسها لوالدها وكأنها تقول: {من الواضح أن هذا التمرين الخيالي يجب أن يكون هدفك في اصطحابي إلى هنا في منتصف فصل

الشتاء}.

"هذا جيد جدًا يا مايا". يشعر بأنه الأب الأسوأ في العالم، ولكن يبدو أن ثقة مايا به قد عادت.

"انظر يا لامبياز! وحيد القرن يرتجف، لكنه سعيد لارتدائه الدثار. هل تستطيع رؤيته يا لامبياز؟".

يمشي فكري نحو محرس الأمن، حيث أخبرته الحارسة بتعبير متعاطف: "هذا يحدث دائمًا".

"إذن هل تعتقدين أنَّني جرحت مشاعر ابنتي جرحًا سيبقى أثره عالقًا في ذاكرتها طوال حياتها؟" سألها فكري.

أجابت الحارسة: "من المحتمل أن تكون قد فعلتَ ذلك، لكن لدي شكوك حول ما حدث اليوم، علاوة على أنه لم يُصب أي طفل بسوء من عدم رؤية حيوانات الحديقة".

"حتى لو كان هدف والدها الحقيقي فتاة مثيرة في بروفيدنس؟".

يبدو أن الحارسة لم تسمع هذا الجزء، فقالت: "أقترح أن تقوم بجولة في مركز الإقامة الفيكتورية بدلاً من ذلك. الأطفال يحبون ذلك".

- "هل يحب الأطفال ذلك؟".

- "بعضهم يحب ذلك بالتأكيد. لم لا؟ ربما لديك طفلة تحب ذلك".

• • •

في القصر، ذكّروا مايا بكتّاب الملفات المختلطة(48) للسيدة باسل إي فرانكويلر، وهو كتّاب لم يقرأه لامبياز.

تقول مايا: "أوه، عليك أن تقرأه يا لامبياز، ستُحبه، فيه تلك الفتاة وشقيقها وهم يفرون...".

"الهروب لا يثير الضحك". يعبس لامبياز: "يمكنني أن أخبرك بصفتي ضابط شرطة أن الأطفال لا يتصرفون تصرفات حسنة في الشوارع".

تتابع مايا: "يذهبان إلى هذا المتحف الكبير في مدينة نيويورك، ويختبِئان هناك".

يقول لامبياز: "إنها جريمة مهما تكن، وهي انتهاك لا شكَّ في ذلك، ومن المحتمل أنهما حطما شيئًا ودخلا".

تقول مايا: "يا لامبياز ربما يفوتك المغزى".

بعد غداء باهظ الثمن في مطعم فخم كان يبدو كالقصر، سافروا إلى بروفيدنس ليحجزوا في الفندق.

"اذهب أنت لزيارة إميليا"، يقول لامبياز لـ فكري

ويردف: "أفكر بالذهاب مع مايا إلى متحف الأطفال في المدينة،

أود أن أوضح لها العديد من الأسباب التي تجعل فكرة الاختباء في المتحف أمرًا سيئًا، لا سيّما في مرحلة ما بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر)".

"ليس عليك القيام بذلك". كان فكري يُخطّط لاصطحاب مايا معه حتى تبدو زيارة إميليا غير رسمية. (نعم، لَم يكن ماكرًا باتخاذ ابنته الحبيبة كذريعة).

"توقف عن الشعور بالذنب" يقول لامبياز "هذا ما يعنيه العرّابون، إنّه الدعم".

وصل فكري إلى منزل إميليا قبل الخامسة بقليل، حيث أحضر لها حقيبة آيلاند بوكس المليئة بروايات «شارلين هاريس»(49)، وزجاجة جيدة من شراب المالبيك، وباقة من عباد الشمس. بعد أن قرع جرس الباب قرّر أن تكون الأزهار واضحة جدًا، فرتبها تحت وسائد أرجوحة الشرفة.

عندما فتحت الباب كانت ركبتاها مسنودتين إلى عربة ذات عجلات، وجبيرتها باللون الزهري، وعليها شارات بقدر الشارات التي يحصل عليها الطفل الأكثر شعبيّة في مسابقة كتّاب المدرسة السنوي، وترتدي فستانا أزرق داكنًا مع وشاح أحمر منقوش مربوط حول رقبتها. كانت تبدو وكأنّها مضيفة طيران.

- "أين مايا؟" سألته إميليا.

- "أخذها صديقي لامبياز إلى متحف بروفيدينس للأطفال".

- هزّت رأسها تبخترًا: "هذا ليس موعدًا غراميًّا، أليس كذلك؟".

يحاول فكري أن يشرح لها عن حديقة الأشجار التي أُغلقت. بدت القصة غير مقنعة بشكل لا يصدق، ففي منتصف سرده للقصة قرر تقريبًا أن يضع حقيبة الكتب والأمتعة.

"أنا أمازحكَ فقط... تفضل".

بدا منزل إميليا فوضويًا لكنَّه نظيف. لديها أريكة مخملية أرجوانية، وبيانو كبير متواضع، وطاولة طعام تتسع لاثني عشر شخصًا، وثمّة العديد من الصور المؤطرة لأصدقائها وعائلتها، وعدة نباتات منزلية في مختلف الحالات الصحيّة، وقط مرقط له عين واحدة اسمه (بدلغلوم) (50)، وكتب في كل مكان طبعًا. رائحة منزلها شبيهة برائحة طهي الـ (لازانيا) وخبز بالثوم. يخلع حذاءه حتى لا يتسخ منزلها بالطين. يقول: "مكانك مثلك تمامًا".

"فوضوي وغير منتظم" تقول.

"انتقائي ساحر". يتنحنح ويحاول ألا يشعر بالحنق الذي لا يطاق.

وفي أثناء تناول وجبة العشاء واحتساء قنينة النبيذ الثانية الخاصّة بهما، تجرّأ فكري أخيرًا ليسألها عمَّا حدث مع بريت بروير.

تبتسم إميليا ابتسامة بسيطة: " لا أريدك أن تسيء فهمي إذا أخبرتك

الحقيقة".

"لن أسيء فهمك، أعدك".

تنهي ثمالة نبيذها، وتقول: "في الخريف الماضي عندما كُنَّا نتحدث طوال الوقت... اسمع، لا أريدك أن تظن أنني انفصلت عنه بسببك لأنني لم أفعل ذلك. لقد انفصلت عنه لأن التحدث إليك جعلني أتذكر مدى أهمية مشاركة الاهتمامات والإحساس والعواطف مع شخص واحد. ربما أكون سخيفة".

"لا" قال فكري.

تضيَّقت عيناها البنيَّتان الجميلتان: "لقد كنت لئيمًا للغاية معي في المرة الأولى التي التقينا فيها، ولم أغفر لك بعد، وأنت تعلم ذلك".

- "كنت آمل أن تكوني قد نسيت ذلك".

- "لم أنسَ، فذاكرتي قويَّة جدًا".

أجابها فكري: "لقد كنت فظيعًا دفاعًا عن نفسي، كنت أمر بأوقات عصيبة". انحنى عبر الطاولة وأزاح ضفيرة شقراء عن وجهها. "في المرة الأولى التي رأيتك فيها خِلت أنكِ تُشبهين الهندباء".

- ربتت شعرها بوعي قائلة: "شعري كهذا الألم".

"إنه زهرتي المفضلة".

- "ظننتُ أنَّهُ في الواقع عبارة عن عشب".

- "أنتِ مذهلة إلى حد ما، وأنتِ تعرفين ذلك".

- "اعتادوا أن ينادوني بيغ بيرد (51) في المدرسة".

"أنا آسف".

- "هناك أسماء أسوأ" قالت: "لقد أخبرتُ أمي عنكَ، لكنها قالت إنك لا تبدو خليلًا رائعًا، يا فكري".

- "أعرف. أنا آسف على ذلك، لكن ربما لأنني أشبهك إلى حد كبير".

تتنهد إميليا وتتحرك لمسح الطاولة.

ينهض فكري قائلًا: "لا، أرجوكِ. دعيني أنا أقوم بذلك، عليكِ أن تجلسي". يقوم بتكديس الأطباق وينقلها إلى غسَّالة الصحون.

قالت: "هل تريد أن ترى ما هو ذاك الكتاب؟".

"أيّ كتاب؟" يسألها فكري وهو يقوم بملء طبق اللازانيا بالماء.

"الكتاب الذي سألت عنه في مكتبي. أليس هذا ما أتيت لرؤيته؟": تقف على قدميها مستبدلة كرسيها المتحرك بالعكازات، وأضافت: "بالمناسبة، الوصول لمكتبتي من خلال غرفة نومي".

هز فكري رأسه موافقًا. يمشي بخفة في غرفة النوم حتى لا يبدو وقحًا. كان على باب المكتبة تقريبًا عندما جلست إميليا على سريرها وقالت: "انتظر. سأريك الكتاب غدًا". ربتت على المكان المجاور لها على السرير، وأردفت: "كاحلي يؤلمني، لذا أعتذر إذا كان الإغواء الخاص بي يفتقر إلى بعض الجاذبية التي قد تكون موجودة في العادة".

يحاول أن يكون هادئًا بينما يسير عبر الغرفة إلى سرير إميليا، لكن فكري لم يكن أبدًا باردًا.

• • •

بعد أن غرقت إميليا بالنوم، خطا فكري على أطراف أصابعه نحو المكتب.

كان الكتاب مسنودًا إلى المصباح، وعلى حاله لم يتحرك منذ مكالمتهما عبر الحاسوب. حتى في الواقع، كان الغلاف باهت اللون للغاية بحيث لا يمكن فهمه. نظر إلى صفحة العنوان: {من الصعب إيجاد الرجل الطيب وقصص أخرى بقلم فانري أوكونور}.

منقوش على الكتاب: {عزيزتي إيمي، تقول أمك إن هذا كاتبك المفضل. أتمنى ألا يكون لديك مانع من اطلاعي على عنوان القصة. لقد وجدت أنه سوداوي بعض الشيء، لكنني استمتعت به. أتمنى لكِ يوم تخرج سعيد! أنا فخور بك جدًا. مع حبي الدائم، والدك}.

يغلق الكتاب ويعيد إسناده إلى المصباح.

كتب ملاحظة: {عزيزتي إميليا، لا أعتقد - بكل صراحة - أنني أستطيع الانتظار حتى تصدر قائمة نايتلي في الخريف لكي تأتي إلى جزيرة أليس... فكري}.

---

(30) بنت امرأة الرجل من غيره. (المترجم)

(31) اسم مركب صيد الحيتان في رواية موبي ديك.

(32) رواية للكاتب هيرمان ميلفل، تروي قصة إسماعيل البحار المتجول الذي يخرج في رحلة على متن مركب صيد الحيتان «بيكود» الذي يمتلكه القبطان أهاب، وسرعان ما يكتشف إسماعيل أن (أهاب) يريد صيد حوت بعينه يدعى «موبي ديك»، وهو حوت أبيض شرس، وذلك لأن الحوت كان في السابق قد دمر مركب أهاب وقضم ساقه، وهكذا يسعى أهاب للانتقام. كما أن هناك سلسلة مطاعم تحمل اسم موبي ديك وتقدم مأكولات ومشروبات على اسماء شخصيات رواية هيرمان ميلفل. (المترجم)

(33) من روائع الروائي الروسي (ألكسندر سولجنيتسين)، كُتبَت الرواية بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٧، وهي عبارة عن ثلاثة مجلدات تصور واقع الحال في سجون الاعتقال القسري في الاتحاد السوفييتي ومعسكراته. (المترجم)

(34) سلسلة مؤلفة من سبع روايات من تأليف سي إس لويس، نُشرت في لندن بين عامي ١٩٥٠ و١٩٥٦. (المترجم)

(35) دليل مكمِّل مثالي لقوائم القراءة، ويحوي أكثر من ٣٠٠ دليل يوفر السياق الذي تحتاجه لفهم ما تقوم بقراءته. (المترجم)

(36) مسلسل رعب تلفزيوني يعتمد على رواية (أسرار مصاصي الدماء الجنوبية)، وهي سلسة من روايات (شارين هاريس). (المترجم)

(37) بطلة رواية (ترو بلود). (المترجم).

(38) رواية جريمة للروائي (جيمس إلروي). تُعدّ لوس أنجلوس في الخمسينات من القرن الماضي الخلفية المذهلة لهذه الرواية المعقدة الخاصة بفساد الشرطة والفساد في هوليود. (المترجم)

(39) كتاب سيرة ذاتية بقلم خوسيه كانسيكو. يركز الكتاب على أيام كانسيكو كلاعب بيسبول محترف، وعلى زواجه، وابنته، وحوادث خارج الملعب. (المترجم)

(40) روائي أمريكي وكاتب قصة قصيرة. يُعرف نثره بطابع السيرة الذاتية المكثفة، والفلسفية الضبابية، وحِسّها، وعبقريتها. (المترجم)

(41) تُعد عروض برودواي واحدة من أشهر المناطق جذبًا للسياح في نيويورك. (المترجم)

(42) The Nutcracker Rudolph and Friends and

(43) بيرة بالزنجبيل خالية من الكحول. (المترجم)

(44) اقتباس من فيلم ترو بلود. (المترجم)

(45) شخصية خيالية من سلسلة روايات هاري بوتر. (المترجم)

(46) عبارة عن نقوش مؤلفة من مجموعة دوائر بالحجم نفسه وبلون متباين كنقط بيضاء على خلفية سوداء أو العكس. (المترجم)

(47) رسّام أمريكي ١٩٥٨. صاحب متجر Pop Shop الشهير. (المترجم)

(48) رواية خيالية عن هروب أخ وأخت يعيشان في متحف المتروبوليتان للفنون، وفي نهاية المطاف يعملان على حل لغز نحت الفنان مايكل أنجلو. (المترجم)

(49) مؤلفة أمريكية مشهورة بكتب الألغاز والغموض بشخصية مصاص دماء، وملهمة سلسلة (ترو بلود). (المترجم)

(50) شخصية خيالية في مسلسلات الأطفال الخيالية، كانت شخصية طويلة القامة، متغطرسة، لها خدان غارقان، وفم مغلق بإحكام، وأنف حاد، وأذنان كبيرتان. (المترجم)

(51) شخصية في برنامج الأطفال التلفزيوني (شارع السمسم) وهي عبارة عن كناري بشري أصفر اللون وطويل القامة. (المترجم)

ضفدع مقاطعة كالافيراس النطاط الشهير
مارك توين / 1865

قصة ما بعد الحداثة لمقامر معتاد وضفدعه الماهر. الحبكة ليست معقدة، لكنها تستحق القراءة بسبب القدرة التي يتمتع بها توين بالإدارة السرديَّة. (في قراءتي لـ توين، كثيرًا ما أظن أنه يستمتع أكثر مني).

يُذكرني (الضفدع النطاط) دائمًا بالوقت الذي جاء فيه ليون فريدمان إلى المدينة. هلٍ تتذكرين يا مايا؟ إذا لم تتذكري، اطلبي من إيمي أن تُخبركِ بذلك يومًا ما.

من خلال المدخل أستطيع أن أراكما تجلسان على أريكة إيمي العتيقة الأرجوانيَّة. أنتِ تقرئين أنشودة سليمان التي كتبتها توني موريسون، وهي تقرأ أوليف كيتريدج التي كتبتها إليزابيث ستروت. والقطة (بدلغلوم) المخطَّطة بينكما، وأنا تغمرني سعادة غير مسبوقة حسبما أتذكر.

فكري.

في ذلك الربيع، بدأت إميليا بارتداء حذائها المسطَّح ووجدت نفسها تُجري مكالمات مبيعات مع آيلاند بوكس أكثر مما يتطلّبه الحساب بالمعنى الدقيق للكلمة. إن لاحظ مديرها، فلن يمانع، إذ لا يزال النشر

عملاً مُهذبًا، وإلى جانب ذلك، يحمل فكري عددًا غير عادي من عناوين نايتلي، أكثر من أي مكتبة أخرى تقريبًا في الممر الشمالي الشرقي. لا يهم المدير ما إذا كانت الأرقام مدفوعة بالحب أو التجارة أو كليهما. قال المدير لإميليا "ربما تقترحين على السيد فِكري تسليط الضوء على لائحة نايتلي في الجزء الأمامي من المتجر؟".

في ذلك الربيع، قبَّل فكري إميليا قبل أن تدخل العبّارة عائدة إلى هيانيس، وقال: "لا يمكنك أن تبَقي في الجزيرة دائمًا، بل عليك أن تسافري أكثر من أجل عملك".

أبقته على مبعدة منها وضحكت بوجهه قائلة: "أنا موافقة، ولكن هل هذه هي أفضل طرقك لتطلب مني الانتقال إلى أليس؟".

"لا، أنا... حسنًا، أنا أفكر فيكِ". قال: "لن يكون من المجدي بالنسبة لكِ الانتقال إلى أليس، هذه وجهة نظري".

"لا، لن يكون الأمر كذلك"، تقول. رسمتْ قلبًا على صدره بظفرها الوردي اللامع.

"ما هذا اللون؟" سألها.

"وردي". ينبعث صوت المزمار، فتصعد إميليا على متن القارب.

في ذلك الربيع، وفي أثناء انتظار حافلة (غري هوند) قال فكري لإميليا: "لا يمكنك المجيء إلى أليس ثلاثة أشهر في العام".

"لقد كان من الأسهل لي الذهاب إلى أفغانستان يوميًّا"، قالت: "بالمناسبة، أحب الطريقة التي تثير بها هذا الموضوع في محطة الحافلات".

- "أحاول ألّا أفكر فيها حتى اللحظة الأخيرة".

- "هذه إحدى الاستراتيجيَّات".

- "أنا أظن أنك تعنين أنَّها ليست جيدة". يُمسك يدها. يداها كبيرتان ولكن رشيقة، كأيدي عازف بيانو، أو نحّات. "لديك يَدَا فنان".

- تقلِّب إميليا بعينيها: "وعقل مندوب مبيعات كتب".

- كانت قد نقشت أظافرها بظل غامق من اللون الأرجواني. "وما هذا اللون هذه المرَّة؟".

- "بلوز ترافيلر. بما أنني أفكر في الأمر، هل تمانع في طلاء أظافر مايا في المرة القادمة التي أكون فيها في أليس؟".

في ذلك الربيع، أخذت إميليا مايا إلى متجر تجميل وأتاحت لها فرصة اختيار لون تحبه لتلوين أظافرها. "كيف تختارين؟" تقول مايا.

أجابت إميليا: "في بعض الأحيان أسأل نفسي كيف أشعر. وأحيانًا أخرى أسأل نفسي كيف أريد أن أشعر".

تتفحص مايا العلب الزجاجية. تختار لونًا أحمر ثم تعيده، ثم تأخذ لونًا فضيًّا من الرف المُقابل.

"أوه، جميل. انظري هنا أفضل قسم، حيث يوجد تحت كل لون اسمه". تخبرها إميليا: "اقلبي الزجاجة".

تقلبها مايا وتقول: "إنها تشبه عنوان كتاب! بيرلي رايزر، ما اسم زجاجتك؟".

اختارت إيمي الأزرق الفاتح.

"حافظ على الأشياء الخفيفة".

في نهاية هذا الأسبوع ذهبت مايا مع فكري إلى مرسى السفن، عانقت إميليا وطلبت منها ألّا تذهب. "لا أريد ذلك" قالت إميليا.

- "إذن لماذا أنت مضطرة للذهاب؟" سألتها مايا.

- "لأنني لا أعيش هنا".

- "لماذا لا تعيشين هنا؟".

- "لأن وظيفتي في مكان آخر".

- "يمكنك أن تأتي للعمل في المتجر".

- "لا أستطيع، ربما يقتلني والدك. بالإضافة إلى أنني أحبُّ عملي".

تنظر إلى فكري الذي يقدم عرضًا رائعًا في تفحص هاتفه. ينبعث صوت المزمار.

- "ودّعي إيمي" يقول فكري.

- تنادي إميليا فكري من العبَّارة: "لا أستطيع الانتقال من بروفيدنس، ولا يمكنك الانتقال من أليس، المسألة معقدة إلى حدٍ كبير".

- "نعم إنها كذلك". وافقها الرأي، وسأل: "ما اللون الذي كنت ترتدينه اليوم؟".

- "دع الأمور هادئة".

- "هل لهذا مغزى؟".

- "لا".

في ذلك الربيع، قالت والدة إميليا: "هذا ليس عدلاً بالنسبة لك. عمرك ستة وثلاثون عامًا، ولم يتقدم لك أي شاب مناسب. إذا كنتِ تريدين حقًا إنجاب طفل، فلن يتسنى لكِ إضاعة المزيد من الوقت في علاقات مستحيلة يا إيمي".

وقالت إيسماي لـ فكري: "ليس من العدلِ بالنسبة لـ مايا أن تأخذ إميليا جزءًا كبيرًا من حياتك إن لم تكن جديًا حيالها".

وقال دانيال لـ فكري: "يجب ألّا تغير حياتك من أجل أي امرأة".

في يونيو / حزيران، كان الطقس مناسباً لجعل فكري واميليا ينسيان هذه الاعتراضات وغيرها. عندما أتت إميليا لتضع قائمة الخريف، مكثت لمدة أسبوعين. كانت ترتدي شورتاً ذا نسيج قطني وصندلاً مزيناً بأزهار البابونج. قالت: "ربما لن أراك كثيرا هذا الصيف. سأسافر من أجل العمل، ومن ثم ستأتي والدتي إلى بروفيدنس في شهر آب".

- قال فكري مقترحًا: "ربما آتي لرؤيتك".

- قالت إميليا: "لن أكون موجودة، باستثناء شهر آب. سأزور أمي صاحبة الذوق الرفيع".

الْتفّ فكري وأَحْدَثَ ظِلًا على ظهرها القوي الناعم، وصرح ببساطة بأنه لا يمكنه أن يبقى بدونها، واقترح أن تتدبر حيلة كي تأتي إلى أليس.

في اللحظة التي عادت فيها إلى بروفيدنس، اتصل فكري بها عبر السكايب. وقال: "كنت أفكر أنه علينا أن ندعو ليون فريدمان ليوقع في المتجر في شهر آب حينما يكون المصطافون في المدينة".

قالت إميليا: "أنت تكره المُصطافين". وكانت قد سمعتْ أنَّ فكري تذمّر في أكثر من مناسبة في جزيرة أليس من المُصطافين، والعائلات التي تأتي إلى متجره مباشرة بعد شراء الآيس كريم من الكابتن بومر،

إذ كانوا يسمحون لصغارهم بالعبث ولمس كل شيء، كما يكره روّاد المهرجان المسرحي الذين يضحكون فيه بصوت عالٍ جدًا، وسيّاح المناخ الدافئ الذين يعتقدون أنّ الذهاب إلى الشاطئ مرة واحدة في الأسبوع تكفي للصحة الشخصيّة.

"هذا غير صحيح"، قال فكري. "أود أن أشتكي، لكنني أبيعهم عددًا لا بأس به من الكتب أيضًا". اعتادت نيك أن تقول إنه على عكس الاعتقاد الشائع، فإن أفضل وقت لإقامة لقاء مع مؤلف هو في شهر آب، فالناس يشعرون بالملل في ذلك الوقت، ولديهم قابلية لفعل أي شيء يمتعهم، حتى محض الذهاب إلى قراءة مؤلّف".

- "قراءة مؤلف"، تقول إميليا: "بالنسبة لي، هذا ترفيه دون المستوى المطلوب".

- "بالمقارنة مع ترو بلود حسبما أعتقد".

تجاهلته وقالت: "في الواقع، أنا أحب قراءات الكتّاب". عندما بدأت عملها في النشر اصطحبها خليلها إلى حدث أليس ماكديرموت(52) في شارع 92 واي. ظنت إميليا أنها لم تحب الساحر بيلي(53)، لكنها أدركت عندما سمعت ماكديرموت وهي تقرأ منها أنها لم تفهم الرواية على الإطلاق، وذلك بسبب الطريقة التي تحركت بها ذراعاها، والتركيز الذي وضعته على كلمات معينة. وعندما غادروا حفل القراءة، اعتذر لها صديقها في مترو الأنفاق قائلًا: "آسف إذا كان ذلك نوعًا من الهباء". وبعد أسبوع أنهت

العلاقة. لا يسعها إلّا التفكير بمدى صغر سنها، ومدى رُقي مستوى ذائقتها.

- "حسناً"، قالت إميليا لـ فكري: "سأرتب لك لقاء مع وكيل الدعاية".

- "ستأتين أيضًا، أليس كذلك؟".

- "سأحاول. والدتي ستزورني في آب، لذا...".

- "أحضريها معك!" قال فكري: "أرغب بمقابلتها".

- "أنت تقول ذلك لأنك لم تقابلها من قبل!".

- "حبيبتي إميليا، عليكِ الحضور. سأدعو ليون فريدمان لأجلك".

- قالت إميليا: "لا أتذكر أنني قلت أريد مقابلة ليون فريدمان". ولكن هذا هو جمال الاتصال المرئي، فقد فكر فكري أنه يمكنه أن يجعلها تبتسم".

أول شيء قام به فكري صباح الاثنين هو الاتصال بمسؤولة الدعاية الخاصّة بـ ليون فريدمان في نايتلي، كانت في السادسة والعشرين من عمرها، وتهتم بالموضة الجديدة دائمًا. كان عليها أن تبحث عبر غوغل عن ليون فريدمان لمعرفة ماهية كتابه. "أوه، واو، أنت صاحب أول طلب ظهور تلقيته بخصوص المُزهر متأخرًا".

"في الحقيقة، إنه الكتّاب المفضل في المتجر. لقد بعنا نسخًا كثيرة منه" قال فكري.

"قد تكون أول شخص يستضيف حدثًا مع ليون فريدمان بهذه الجديّة من أي وقت مضى. لست متأكدة". تصمت مسؤولة الدعاية لبرهة، ثم تقول: "اسمح لي أن أتحدث مع رئيس التحرير لمعرفة إن كان على وشك القيام بالفعاليات. لم أقابله أبدًا، لكنني أنظر إلى صورته في هذه اللحظة، إنه... على قدر كاف من الصحة. هل بإمكاني الاتصال بك مرة أخرى؟".

"على افتراض أن صحته لا تسمح له بالسفر، أنا بحاجة لترتيب موعد حتى نهاية أغسطس قبل مغادرة المصطافين. سوف يبيع المزيد من الكتب بهذه الطريقة".

بعد أسبوع، أعلنت المسؤولة أن ليون فريدمان لم يمت بعد، وهو متفرغ في آب للحضور إلى آيلاند بوكس.

لم يستضف فكري مؤلفًا منذ سنوات، والسبب هو عدم امتلاكه موهبة لمثل هذه الترتيبات. المرة الأخيرة التي استضاف فيها آيلاند بوكس مؤلفًا هي عندما كانت نيك ما تزال على قيد الحياة، إذ كانت دائمًا تنظّم كل شيء. حاول أن يتذكر ما كانت تفعله.

طلب الكتب، وعلّق الملصقات التي تحمل وجه ليون فريدمان العجوز في المتجر، وأرسل رسائل التواصل الاجتماعي ذات الصلة، وطلب من أصدقائه وموظفيه أن يفعلوا الشيء ذاته، لكنه ما يزال

يشعر أنَّ جهوده غير مكتملة. كانت حفلات كتّاب نيك دائمًا فيها اقتراحات ذكيّة، لذلك كان فكري يحاول اكتشاف اقتراح منها. ليون فريدمان طاعن في السن، والكتّاب متخبط. لا يبدو في الحقيقة أنه مهم جدًا لعقد حفلة. الكتّاب رومانسي لكنه محبط بشكل لا يصدق. قرر فكري الاتصال بـ لامبياز الذي اقترح عليه مشروب الروبيان المجمد من كوستكو، وقد اقتنع الآن باقتراحه للحفلة.

قال لامبياز: "مهلًا، إذا كنت تقيم مناسبات الآن، فأنا حقًا أحب مقابلة جيفري ديفر، فجميعنا كنّا من أشد المُعجبين به في حفل أليس".

ثم اتَّصل فكري بـ دانيال الذي قام بإبلاغه: "الشيء الوحيد الذي يحتاجه حفل كتّاب جيد هو الكثير من الخمور".

"دعني أكلم إيسماي على الهاتف" قال فكري.

قالت إيسماي: "هذا ليس عملًا أدبيًّا رائعًا بشكل كبير، ما رأيك بحفلة في الحديقة؟ عن (المُزهر متأخرًا)، هل فهمت؟".

"نعم فهمت" أجاب.

"الجميع يرتدي القبّعات المُزهَّرَة، والكاتب يقرر مسابقة القبّعات أو شيئًا من هذا القَبيل. سيؤدي ذلك إلى تخفيف الحالة المزاجية، ومن المحتمل أن تظهر جميع الأمهات اللاتي لهن صداقة معك، وسيرتدين قبعات مضحكة، ولو من أجل فرصة التقاط صور لبعضهن فقط".

- يأخذ فكري هذا بعين الاعتبار ويقول: "هذا يبدو رهيباً".

- "إنه مجرد اقتراح".

- "لكنني عندما أفكر في الأمر، ربما كان هذا هو النوع الصحيح من الفظائع".

- "شكرًا لإطرائك. هل إميليا قادمة؟".

- "بالتأكيد آمل ذلك" قال فكري: "أنا أقوم بهذا الحفل الملعون من أجلها".

في تموز، ذهب فكري مع مايا إلى متجر المجوهرات الراقية الوحيد في جزيرة أليس، أشار فكري إلى خاتم كلاسيكي بصياغة بسيطة وحجر مربع الشكل.

قالت مايا: "إنَّهُ بسيط للغاية". اختارت ألماسة صفراء كبيرة الحجم مثل فندق ريتز، ثم تبيَّن أنَّها تُكلِّف تقريبًا تكلفة كتاب تيمورلنك في طبعته الأولى.

اعتمدوا على خاتم من حقبة الستينات؛ في وسطه ألماسات، وصياغته مصنوعة من بتلات الميناء. "يبدو كأقحوانة" قالت مايا: "إيمي تحب الزهور والأشياء المُبهِجة".

يعرف أن الخاتم مبهرج بعض الشيء، لكنه يعرف أنَّ مايا على حق، هذا ما ستختاره إميليا، الخاتم الذي سيسعدها، على الأقل

سوف يتطابق الخاتم مع صندلها.

قال فكري في طريق العودة إلى المكتبة محذرًا مايا بأن إميليا يمكن أن ترفض: "ستظل صديقتنا حتى لو رفضت".

- هزّت مايا رأسها موافقة، ثم هزّته مرّة أخرى وسألت: "لماذا ترفض؟".

- "حسنًا... لأسباب كثيرة، في الواقع والدك ليس آسِرًا جدًا".

- ضحكت مايا: "أنت بسيط".

- "والمكان الذي نعيش فيه الوصول إليه صعب، ويتعين على إيمي أن تسافر من أجل عملها".

- "هل ستطلب يدها في حفلة الكتّاب؟" سألته مايا.

- هزّ فكري رأسه: "لا، لا أريد أن أحرجها".

- "لماذا ستحرجها؟".

- "حسنًا، لا أريدها أن تشعر بأنها مجبرة على القبول لأن هناك حشدًا كما تعرفين؟".

عندما كان في التاسعة من عمره، كان والده قد اصطحبه إلى (لعبة الأبطال)، وانتهى بهم الأمر بالجلوس إلى جانب امرأة قريبة من

شاشة العرض العملاقة تلك، صرخت تلك المرأة بصوت عالٍ "نعم... نعم" عندما كانت الكاميرا عليها، فقدت المرأة أعصابها وبدأت بالصراخ عند بداية الربع الثالث من المباراة. كَرِهَ فكري كرة القدم بعد ذلك، وقال: "وربما لا أريد أن أحرج نفسي بمثل هذه الأشياء أيضًا".

- "بعد الحفلة؟" قالت مايا.

- "نعم، ربما إذا تحليتُ بالشجاعة". ينظر إلى مايا: "بالمناسبة، هل هذا مناسب لك؟".

- هزّت رأسها ثم مسحت نظارتها بقميصها: "يا أبتي، لقد أخبرتها عن حديقة الأشجار الزخرفيّة".

- "ماذا أخبرتِها بالضبط؟".

- "أخبرتها أنني لا أحبها، وأنني متأكدة تمامًا من أننا ذهبنا إلى رود آيلاند لرؤيتها في ذلك الوقت".

- "لماذا أخبرتها بذلك؟".

- "لقد قالت قبل شهرين بأنَّك كنتَ شخصًا صعب القراءة في بعض الأحيان".

- "أخشى أن يكون هذا صحيحًا".

• • •

المؤلفون لا يبدون أبدًا كما في صورهم، لكن أول ما يتوقعه فكري عندما يقابل ليون فريدمان أنه سيكون في الحقيقة لا يشبه صورته. صورة ليون فريدمان أبهى، وحليق الرأس، ويبدو أنفه أطول. يبدو ليون فريدمان في مكان ما بين إرنست همنغواي العجوز ومتجر سانتا كلوز؛ أنفه أحمر كبير، وكذلك بطنه، ولحيته بيضاء كثيفة، وعيناه لامعتان، ويبدو أصغر بعشر سنوات من صورته. ربما قرَّر فكري أن الاختلاف بالوزن الزائد واللحية. قدَّم فريدمان نفسه: "أنا ليون فريدمان، الروائي الذي يفوق الوصف". أخذه فكري في عناق كبير.

قال: "ممتن لمقابلتك. لابد أنك فكري. قالت لي فتاة نايتلي إنك قد أُعجبتَ بكتابي، فقلت في نفسي إنك تتمتع بذائقة رفيعة".

"من اللّافت للنظر أن تسمي كتابك رواية"، قال فكري: "هل كنت ستسميه رواية أم مذكّرات؟".

"حسنًا، سنناقش ذلك في وقت لاحق، أليس كذلك؟ لم يصادف أن احتسيتِ مشروبًا معي، فالقليل من النبيذ المعتّق يجعل هذه الأنواع من الأحداث تسير بشكل أفضل بالنسبة لي".

قدَّمت إيسماي السندويشات والشاي وليس الكحول. كان من المقرر انعقاد الحدث في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الأحد، وكانت إيسماي تعتقد أن المشروبات الكحولية لن تكون ضرورية ولن تتناسب مع مزاج الحفلة.

صعد فكري إلى الطابق العلوي لإحضار زجاجة نبيذ، وعندما نزل إلى الطابق السفلي كانت مايا تجلس على ركبة ليون فريدمان.

"أنا أحب المُزهر متأخرًا"، تقول مايا: "لكنني لست متأكدًا من أنني الجمهور المستهدف".

أجابها ليون فريدمان: "ها، ها، ها، ملاحظة مُثيرة للاهتمام يا فتاتي الصغيرة".

"أحتفظ بالكثير منها. الكاتب الوحيد الآخر الذي أعرفه هو دانيال باريش. هل تعرفه؟".

"لست متأكدًا من أنَّني أعرفه".

تنهدت مايا قائلة: "الحديث معك أصعب من دانيال باريش. ما هو كتابك المفضل؟".

"لا أعرف إن كان لديّ كتاب ما. لماذا لا تخبرينني ما الذي تفضلينه في عيد الميلاد بدلاً من ذلك؟".

"عيد الميلاد؟" تقول مايا: "عيد الميلاد بعد أربعة أشهر".

يدعو فكري ابنته من حضن فريدمان، ويعطيه كأساً من النبيذ في المقابل: "شكرًا للطفك". قال فريدمان.

"هل تمانع أن نوقّع بعض الأوراق الماليَّة للمتجر قبل القراءة؟"

يصطحب فريدمان إلى الخلف حيث وضع له صندوقًا من الكتب ذات الأغلفة الورقية وقلمًا. كان فريدمان على وشك توقيع اسمه على غلاف الكتاب عندما أوقفه فكري قائلًا: "عادة ما يكون لدينا مؤلفون يوقعون على صفحة العنوان إذا كان هذا مناسبًا بالنسبة لك".

"عذرًا"، أجاب فريدمان: "أنا جديد على هذا".

"العفو" قال فكري.

"هل تمانع أن تخبرني ما نوع العرض الذي تريد مني أن أعرضه هناك؟".

قال فكري: "حسنًا، سأقول بضع كلمات عنك، ثم أعتقد أنه بإمكانك تقديم الكتاب، وقل ما الذي أوحى لك بالكتابة، وهكذا...، ويمكنك حينئذ قراءة بضع صفحات، ثم نتلقّى بعض الأسئلة وتجيب الجمهور عنها إنْ سنح الوقت بذلك. ولدينا مسابقة للقبعة على شرف الكتاب أيضًا، وسيشرفنا أن تختار الفائز".

"يبدو هذا رائعًا" قال فريدمان: "فريدمان ف. ر. د. م. ا. ن". من السهل أن ننسى حرف الـ "ي").

- "صحيح؟" سأل.

- "يجب أن تكون هناك (ي) ثانية، أليس كذلك؟".

- المؤلفون غريبو الأطوار لذا قرر فكري السماح لهذا بالمرور. "يبدو

أنك تشعر بالارتياح بوجود الأطفال" قال فكري.

- "نعم... غالبًا ما ألعب دور سانتا كلوز في نادي ميسي المحلي في عيد الميلاد".

- "حقًا؟ هذا أمر غير مألوف".

- "أعتقد أن لدي موهبة في ذلك".

- "أعني..." يصمت فكري لتنظيم أفكاره خشية الإساءة لـ فريدمان. "أعني لأنك يهودي".

- "صحيح".

- "لقد أوضحت نقطة مهمة في كتابك؛ يهودي مرتد، هل هذه هي الطريقة الصحيحة للتعبير عن ذلك".

- "يمكنك التعبير عن ذلك كما يحلو لك" قال فريدمان: "أخبرني، هل لديك شراب أقوى من النبيذ؟".

تناول فريدمان بعض المشروبات حين بدأ القراءة، وافترض فكري أن هذا يجب أن يكون هو السبب الذي يجعل الكاتب يجهل العديد من الأسماء الصحيحة والعبارات الأجنبية مثل: تشاباكو(54)، وآبري سموي ديلوغ(55)، وهداسا(56)، ولشايم(57)؛ وتشالاه(58)، وما إلى ذلك. بعض الكتّاب غير مرتاحين للقراءة

بصوت عالٍ. خلال فترة الأسئلة والأجوبة أبقى فريدمان إجاباته مختصرة.

- س: كيف كان حالك عند وفاة زوجتك؟
- ج: كنت حزينًا وبائسًا.
- س: ما كتابك المفضل؟
- ج: الكتاب المقدس، أو ثلاثاء مع موري. ربما الكتاب المقدس.
- س: أنت تبدو أصغر من صورتك.
- ج: لماذا؟ شكرًا لك!
- س: كيف كان عملك في إحدى الصحف؟
- ج: كانت يداي دائمًا متسخة.

كان مرتاحًا أكثر في المنزل عند اختيار أفضل قبعة وفي أثناء التوقيع. وتمكن فكري من الحصول على نسبة حضور محترمة، وامتد الصف خارج الباب. قال فريدمان: "يجب أن تكون قد أنشأت سياجًا مثلما فعلنا في ميسي".

قال فكري: "نادراً ما يكون السياج ضروريًا في صف العمل".

كانت إميليا ووالدتها آخر اثنتين وقّعتا كتابيهما.

قالت إميليا: "إنه لأمر رائع حقًا أن ألتقي بكم، فأنا وصديقي ربما ما كان لنا أن نلتقي لولا كتابك".

تحسَّس فكري خاتم الخطوبة في جيبه. هل هذه هي اللحظة المناسبة؟ لا، أيضًا...

"عانقيني" قال فريدمان لإميليا. تميل فوق الطاولة، وخمّن فكري أن الرجل العجوز ينظر إلى ما في داخل بلوزة إميليا.

"هذه هي قوة الخيال بالنسبة لكِ" قال فريدمان.

أمعنت إميليا النظر إليه "ربما"، صمتت ثم أردفت: "لكن هذا ليس خيالًا، أليس كذلك؟ لقد حدث ذلك بالفعل".

"نعم عزيزتي، بالطبع" قال فريدمان.

قاطعه فكري قائلًا: "ربما، كان السيد فريدمان يقصد أن يقول إن هذه هي قوة السرد".

والدة إميليا التي بدت بحجم الجرادة وبشخصية السرعوف قالت: "ربما السيد فريدمان يعني أنه من غير المرجح أن تكون العلاقة القائمة على حب كتاب ما علاقة كبيرة". ثم تمد يدها للسيد فريدمان قائلةً: "أنا مارغريت لومان، توفي زوجي منذ عامين أيضًا، وهذه ابنتي إميليا التي جعلتني أقرأ كتابك في نادي أرامل شارلستون للكتّاب، وقد قال الجميع إنه كتاب رائع".

"أوه، كم هذا لطيف". ابتسم فريدمان ببراعة للسيدة لومان "كم...".

"نعم؟" كررت السيدة لومان.

تنحنح فريدمان، مسح العرق عن جبينه وأنفه، احمر خجلًا، وبدا أكثر ما يشبه سانتا كلوز. فتح فمه كما لو أنه يتكلم، ثم تقيّأ على رزم الكتب عدا الرزمة الموقّعة للتو، وعلى حذاء والدة إميليا. قال فريدمان وهو يتجشأ: "يبدو أنني شربت كثيرًا".

"هذا واضح" قالت السيدة لومان.

تشير إميليا إلى والدتها في اتجاه الدرج قائلة: "أمي، شقة فكري هنا".

"هل يعيش فوق المتجر؟" سألتها السيدة لومان: "أنتِ لم تذكري تلك المعلومة الرائعة من..." في تلك اللحظة، انزلقت السيدة لومان في بركة القيء المتوسعة. سوت نفسها، لكن قبعتها، التي حصلت عليها بجدارة في حالة ميؤوس منها.

التفت فريدمان إلى فكري: "أعتذر يا سيدي، يبدو أنني قد شربت كثيرًا. إن سيجارة وبعض الهواء النقي أحيانًا يهدّئان معدتي. لو أنّ شخصًا ما يمكن أن يرشدني للخارج...". يقتاد فكري فريدمان إلى الخارج.

"ماذا حدث؟" تسأل مايا. ما إن تحول حديث فريدمان عن اهتماماتها حتى حولت انتباهها إلى كتّاب السارق البرق(59).

ومشت إلى طاولة التوقيع، وعندما رأت نفسها وسط القيء تقيأت هي الأخرى. اندفعت إميليا إلى جانب مايا سائلةً: "هل أنت بخير؟".

لم أتوقع أن أرى ذلك هناك" قالت مايا.

في هذه الأثناء، في زقاق جانب المتجر، تقيّأ ليون فريدمان مرّة أخرى.

"هل تعتقد أنك تعاني من تسمم غذائي؟" سأل فكري فريدمان، لكن لم يجبه.

"ربما كانت رحلة العبّارة هي التي فعلت ذلك؟ أو ربما تلك الإثارة؟ أو الحرارة؟" لم يعرف فكري لماذا يشعر بالحاجة للحديث كثيرًا. أضاف: "سيد فريدمان، ربما يمكنني أن أحضر لك شيئًا تتناوله؟".

"هل لديك قدّاحة؟" قال فريدمان بصوتٍ أجش: "لقد تركت قداحتي داخل حقيبتي".

يعود فكري إلى المتجرِ راكضًا. ولم يستطع العثور على حقيبة فريدمان. يصرخ وهو نادرًا ما يرفع صوته: "أريد قدّاحة! أنا جاد، هل من أحد يعمل هنا يمكنه أن يعطيني قدّاحة؟"

لكن الجميع كانوا قد رحلوا، باستثناء المحاسب، واثنين من المتوانين عن توقيع فريدمان. ثمة امرأة ترتدي ملابس أنيقة في سن إميليا، تفتح حقيبة يدها الجلدية الفسيحة قائلة: "قد يكون لدي واحدة".

وقف فكري هناك مهتاجًا والمرأة تبحث في محفظتها التي تشبه حقيبة أمتعة، وحدّث نفسه قائلًا: "ربما هذا هو السبب وراء عدم السماح للمؤلفين بدخول المتاجر". أتت المرأة خالية الوفاض قائلة: "آسفة، لقد تركتُ التدخين بعد أن توفي أبي بسبب انتفاخ في الرئة، لكنني ظننتُ أنني ربما مازلت أحتفظ بقدّاحة في حقيبتي".

"لا بأس، لديّ واحدة في الطابق العلوي".

"هل من خطب ما حدث للكاتب؟" سألته المرأة.

"كالمعتاد" أجابها فكري وهو يصعد الدرج.

في شقته، يجد مايا بمفردها. تبدو عيناها مُبلّلة: "لقد تقيَّأتُ يا أبي".

"أنا آسف". وجد فكري القدَّاحة في الدُّرج. يصفق الدُّرج مغلقًا إيَّاه. ويسأل: "أين إميليا؟".

"هل ستطلب يدها للزواج؟" سألته مايا.

"لا يا عزيزتي. ليس في هذه اللحظة بالذات. يجب أن أعطي القدَّاحة لمدمن الكحول".

أخذت هذه المعلومات بعين الاعتبار، وسألته: "هل يمكنني أن آتي معك؟".

يضع فكري القدّاحة في جيبه، ولداعي السرعة يحمل مايا التي صارت كبيرة جدًا ولم يعد حملها ممكنًا.

ينزل الدرج عبر المكتبة ويخرج إلى حيث ترك فريدمان. كان رأس فريدمان محاطًا بالدخان بفعل الغليون الذي تراخى على نحو حالم من أصابعه مصدرًا صوت بقبقة.

"لم أتمكن من العثور على حقيبتك" قال فكري.

يجيب فريدمان: "كانت معي طوال الوقت".

تسأله مايا: "أي نوع من الغليونات هذا؟ لم أر قط غليونًا مثل هذا من قبل".

الدافع الأول لـ فكري هو تغطية عيون مايا، لكنه ضحك بعد ذلك. هل سافر فريدمان بالفعل على متن الطائرة مصطحبًا معه بعض المخدرات؟ التفت إلى ابنته قائلًا: "مايا، هل تتذكرين عندما قرأنا مغامرات أليس في بلاد العجائب (60) العام الماضي؟".

- "أين فريدمان؟" تسأل إميليا.

- "يجلس مغشيًّا عليه في المقعد الخلفي لسيارة إيسماي ذات الدفع الرباعي" أجاب فكري.

- "مسكينة إيسماي".

لقد اعتادت على ذلك، فقد كانت مرافقة دانيال باريش الإعلامية لسنوات عدّة. يرسم فكري تعبيرًا على وجهه قائلًا: "أعتقد أنه من اللائق بالنسبة لي أن أذهب معهم". كانت الخطة تتمثل في اصطحاب إيسماي لفريدمان إلى العبّارة ثم إلى المطار، لكن (فكري) - ذوقًا - لا يمكنه ترك تلك المهمة لأخت زوجته.

قبّلته إميليا، وقالت: "رجل طيب، سأعتني بـ مايا وأرتب المكان".

قال فكري: "شكرًا لك. وبالرغم من ذلك يبدو هذا أمرًا سيئًا، فالليلة ليلتك الأخيرة في البلدة".

"حسنًا، كان الأمر لا يُنسى على الأقل. شكرًا لدعوتك ليون فريدمان حتى لو كان مختلفًا بعض الشيء عما كنت أتخيله".

"بعض الشيء فقط". يُقبّل إميليا ثم يقطّب جبينه قائلًا: "ظننتُ أنّ الأمر سيكون أكثر رومانسية مما كان عليه".

- "لقد كان رومانسيًّا للغاية. هل من رومانسية أكثر من مخمور عجوز فاسق ينظر إلى ما في داخل قميصي؟".

- "بل هو أكثر من مخمور..." يقلد الإيماءة العالميَّة للمخمورين.

- "ربما يعاني من سرطان أو من شيء ما؟".

- "ربما...".

- تقول: "على الأقل انتظرَ حتى انتهى الحدَث".

- "وأنا من ناحيتي أعتقد أن الحدَث كان الأسوأ بالنسبة له" قال فكري.

تضغط إيسماي على زمور السيارة.

"ها أنا آتٍ"، قال فكري: "هل عليكِ حقًّا قضاء الليلة في الفندق مع والدتك؟".

ردّت إميليا: "لا، ليس عليّ فعل ذلك. أنا امرأة ناضجة يا فكري، إلّا أنَّ الأمر متعلق بموضوع مغادرتنا إلى بروفيدينس في الغد الباكر".

قال فكري: "لا أعتقد أنني تركت انطباعًا جيدًا جدًا".

تقول: "لم يفعل أحد ذلك، ولا أريد أن أقلق بشأن هذا الأمر".

"حسنًا، انتظريني إن استطعتِ". تضغط إيسماي على الزمور مرّة أخرى، وينطلق فكري نحو السيّارة.

تبدأ إميليا بتنظيف المكتبة، وتبدأ بالقيء أولًا، ومايا تجمع البقايا الأقل إثارة، مثل بتلات الزهور والأكواب البلاستيكية. في الصف الخلفي تجلس المرأة التي لم يكن لديها قدّاحة والتي ترتدي قبّعة فيدورا رمادية عريضة، وفستانًا حريريًا طويلًا. تبدو ملابسها وكأنها يمكن أن تكون من متجر لبيع الملابس المستعملة، إلّا أنَّ إميليا، التي تتسوق من مثل هذه المتاجر عرفت أنّها باهظة الثمن.

تسألها إميليا: "هل كنت هنا للقراءة؟".

"نعم" أجابت المرأة.

"ما رأيك؟" سألتها إميليا.

"لقد كان متحمسًا جدًا" ردّت المرأة.

تعصر إميليا الإسفنجة في الدلو قائلةً: "نعم، هذا صحيح، لا أستطيع القول إنه كان كما كنت أتوقعه تمامًا".

تسألها المرأة: "ما الذي كنتِ تتوقعينه؟".

"كنت أتوقع أنّهُ شخص أكثر ذكاءً. يبدو مُتكبرًا. ربما ليست هذه هي الكلمة الصحيحة. شخص أكثر حكمة ربما".

تهز المرأة رأسها معربة عن عدم موافقتها: "أستطيع أن أراه شخصًا مُفعمًا بالحيويّة".

ربما كانت توقعاتي عالية جدًا. أنا أعمل مع دار للنشر. في الواقع كان هذا الشيء المفضل الذي قمت ببيعه على الإطلاق".

"لماذا كان المفضل لديك؟" تسألها المرأة.

"أنا..." تنظر إميليا إلى المرأة التي كانت تتحلّى بعيون عطوفة. غالبًا ما كانت إميليا تنخدع بالعيون العطوفة. "لقد فقدت والدي منذ فترة

ليست طويلة، وأعتقد أن شيئًا ما في صوته ذكرني به. وكان فيه كثير من الأشياء الحقيقية أيضًا". تنتقل إميليا إلى مسح الأرض.

"هل أعترض طريقك؟" سألتها المرأة.

"لا، أنتِ بمكانك أينما كنتِ".

"أشعر بالضيق وأنا أشاهدك تقومين بذلك" قالت المرأة.

"أحب تنظيف الأرض، وأنت ترتدين ملابس أنيقة للغاية تمنعك من مساعدتي" تمسح إميليا الغرفة بضربات طويلة وإيقاعية.

"هل يجعلون الناشر ينظف بعد القراءات؟" تسألها المرأة.

ضحكت إميليا وقالت: "لا، أنا أيضًا صديقة مالك المكتبة. أنا أساعده بقية اليوم.

تهز المرأة رأسها موافقة: "لا بد أن يكون معجبًا كبيرًا بالكتّاب حتى يجلب ليون فريدمان إلى هنا بعد كل هذه السنوات".

تخفض إميليا صوتها هامسة: "نعم، الحقيقة أنه فعل ذلك من أجلي. لقد كان أول كتّاب أحببناه سويًّا".

"هذا لطيف. الأمر يشبه إلى حد ما المطعم الأول الذي تذهبين إليه أو الأغنية الأولى التي رقصتِ على أنغامها، أو أي شيء من هذا القبيل".

"بالضبط".

"ربما كان ينوي التقدّم لك؟" قالت المرأة.

"لقد جال هذا الخاطر في ذهني".

تُفرغ إميليا سلة المهملات في سلّة القمامة الكبيرة.

تسألها المرأة بعد قليل: "لماذا لا تظنين أن الكتاب يُباع؟".

"المُزهر متأخرًا؟ حسنًا،... لأنه ثمة تنافس هناك. وحتى عندما يكون الكتاب جيدًا، فإنه في بعض الأحيان يبقى غير ناجح".

"لا بد أن يكون هذا صعبًا" تقول المرأة.

"هل قمتِ بكتابة كتاب أو شيء ما؟".

"نعم، لقد حاولت".

تصمت إميليا للنظر إلى المرأة. كان لديها شعر بني طويل ومقصوص بشكل جيد وأملس. محفظتها ربما بتكلفة سيّارة إميليا. تمد إميليا يدها للمرأة لتعرِّف عن نفسها. "أنا أدعى إميليا لومان".

"ليونورا فيريس".

"ليونورا مثل ليون" فغرت مايا فاها، فقد أصابتها الإثارة وتعافت

الآن، قائلة: "أنا مايا فكري".

"هل أنت من أليس؟" إميليا تسأل ليونورا.

"لا، جئت هذا اليوم للقراءة فحسب".

تقف ليونورا، وتطوي إميليا كرسيها وتضعه بجانب الحائط.

قالت إميليا: "لا بد أن تكوني مولعة بالكتاب كما قلتِ من قبل، صديقي يعيش هنا، وأعرف من تجربتي أن (أليس) ليس مكانًا يسهل الوصول إليه".

"إنها ليست كذلك" قالت ليونورا وهي تلتقط حقيبة يدها.

اندهشت إميليا من الفكرة، فالتفتت ونادت: "ما من أحد يسافر من دون هدف، حتى أولئك الذين ضاعوا كانوا يرغبون في الضياع".

"أنت تقتبسين من المُزهر متأخرًا"، قالت ليونورا بعد صمت طويل: "لقد كان حقًا كتابك المفضل".

"نعم، إنّه كذلك". قالت إميليا: "عندما كنتُ صغيرة، لم أشعر أبدًا أنني صغيرة، ولم أشعر بأي شيء من هذا القبيل. هل تتذكرين بقية الاقتباس؟".

"لا" أجابت ليونورا.

تقول إميليا: "لا يتذكر الكُتَّاب كلَّ ما يكتبونه. كيف يمكنهم ذلك؟".

"سررت بالحديث معك". اتجهت ليونورا نحو الباب.

تضع إميليا يدها على كتف ليونورا، وتقول: "أنت صديقته، أليس كذلك؟ أنتِ صديقة ليون فريدمان".

ليونورا تهز رأسها: "في الحقيقة، لا".

"ماذا يعني ذلك؟".

"منذ فترة طويلة، كتبتْ فتاة رواية، وحاولت بيعها، لكن ما من أحد اشتراها. كانت حول رجل عجوز فقد زوجته، ولم يكنِ فيها كائنات خارقة للطبيعة، أو مفهوم عال للحديث عنه، ولذا اعتقدْت أنَّهُ سيكون من الأفضل أن تعيد تسميةً الكتاب وتصفه بأنه مذكرات".

إميليا تلعثمت: "هذا... هذا... خطأ".

"لا، ليس خطأ. كل الأشياء فيها ما زالت صحيحة عاطفيًّا حتى لو لم تكن كذلك حرفيًّا".

"إذن، من كان هذا الرجل؟".

"اتصلت بمكتب اختيار الممثلين. عادة ما يلعب دور سانتا".

إميليا تهز رأسها. "أنا لا أفهم. لماذا القراءة؟ لماذا تتكلف النفقة والعناء؟ لماذا المخاطرة؟".

"أحيانًا تريد أن تعرف... لترى بنفسك أن عملك يعني شيئًا ما لشخص ما".

تنظر إميليا إلى ليونورا: "أشعر بالخداع قليلاً". تقول ليونورا: "أنت كاتبة جيدة، هل تعرفين ذلك؟".

"بالتأكيد أعرف ذلك" تقول ليونورا.

تختفي ليونورا فيريس في الشارع وتعود إميليا إلى المتجر.

تقول لها مايا: "لقد كان يومًا غريبًا للغاية".

"أتفق معك".

"من كانت تلك المرأة؟" تسأل مايا.

تجيبها إميليا: "قصة طويلة".

تُحدِثُ مايا تعبيرًا على وجهها.

تقول إميليا: "لقد كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسيد فريدمان".

تضع إميليا مايا على السرير، ثم تصب لنفسها شرابًا وتفكر، إذا أخبرت فكري عن ليونورا فيريس، فستفسد عليه فكرة أحداث

المؤلف، وهي لا تريد ذلك، كما أنها لا تريد أن تبدو حمقاء في عينيه، أو تذل نفسها مهنيًا، فقد باعته كتابًا تبيّن الآن أنّه مزيف، وربما كانت ليونورا فيريس على حق، ربما لا يهم إذا كان الكتاب حقيقيًا. عاودت التفكير في حلقة البحث حول النظرية الأدبية التي كانت قد درستها في السنة الثانية. ما الحقيقي؟ سألهم زميلهم في الدراسة: أليست سوى كتابة مذكرات على أية حال؟ كانت دائمًا تغفو في أثناء هذه الحصة، وكانت تشعر بالحرج لأنَّ تسعة أشخاص فقط كانوا يحضرونها. بعد كل هذه السنوات، وجدت إميليا أنها لا تزال قادرة على الانجراف في الذاكرة.

يصل فكري مرة أخرى إلى الشقَّة بعد العاشرة بقليل.

تسأله إميليا: "كيف كان المشوار؟".

يجيب فكري: "أفضل ما يمكنني قوله هو أن فريدمان كان فاقدًا وعيه معظم الوقت. لقد أمضيت آخر عشرين دقيقة بتنظيف مقعد سيّارة إيسماي الخلفي".

"حسنًا، أنا بالتأكيد أتطلع إلى حدث مؤلفك القادم يا سيد فكري" قالت إميليا.

"هل كان كارثة كُبرى؟".

"لا، في الواقع، أعتقد أن الجميع قضوا وقتًا ماتعًا. وحظي المتجر ببيع الكثير من الكتب". تستعد إميليا لتغادر. إنَ لم تغادر الآن، فلن

تكون قادرة على مقاومة إخبار فكري عن ليونورا فيريس. "عليَّ أن أعود إلى الفندق لأننا سنغادر باكرًا غدًا".

"لا انتظري. ابقي قليلاً". يتحسس فكري علبة المجوهرات في جيبه، إذ لا يريد أن ينتهي الصيف من دون أن يطلب يدها مهما يكن الثمن. كان على وشك أن يفوت فرصته. أخرج العلبة من جيبه ورماها باتجاهها. وقال لها: "فكّري بسرعة".

قالت وهي تلتفت إليه: "ماذا؟" صفعتها علبة المجوهرات في منتصف جبينها. "آه، ما هذا بحق الجحيم يا فكري؟".

"كنت أحاول ثنْيك عن المغادرة. آسف، ظننتُ أنَّكِ ستلتقطينها". يذهب إليها ويقبل رأسها.

قالت: "لقد رميتها بشكل مرتفع قليلاً".

"أنتِ أطول مني. لذا، أفرط أحيانًا في التقدير".

تلتقط الصندوق من الأرضية وتفتحه.

"إنها لكِ" يقول فكري: "إنّها..." يثني ركبة واحدة، ويشبك يدها بيديه، ومثل ممثل في مسرحية يحاول ألا يشعرها بأنه مخادع. يقول بتعبير شبه مؤلم: "فلنتزوج. أعلم أنني عالق في هذه الجزيرة، وأنني فقير وأب أعزب، وفي عمل تجاري بعائدات متراجعة إلى حد ما. أعلم أن والدتك تكرهني، ومن الواضح أنني سخيف للغاية عندما يتعلق الأمر باستضافة أحداث المؤلفين".

تقول: "هذا اقتراح غريب. بادر بأشيائك القوية يا فكري".

"كل ما يمكنني قوله هو... كل ما يمكنني قوله: أنني أُقسِم أننا سنجد حلًّا لذلك. عندما أقرأ كتابًا، أريدك أن تقرئيه في الوقت نفسه. أريد أن أعرف ما الذي ستفكرِ به إميليا. أريد منك أن تكوني مُلكي. أستطيع أن أعدكِ بكتبي ومُحادثاتي وكل قلبي يا إيمي".

كانت تعرف أن ما يقوله صحيح. لقد بدا، وللأسباب التي قالها، أشبه بمباراة فظيعة بالنسبة لها أو لأي شخص آخر في هذا الشأن. السفر سيكون انتحارًا. هذا الرجل، فكري، حسّاس ومثير للجدل. إنه يعتقد أنه ليس مخطئًا أبدًا، وربما كان على صواب.

لكنه كان مُخطئًا. فكري الناجح لم يستشف أن ليون فريدمان محتال. إنها غير متأكدة من أهمية هذا الأمر في هذه اللحظة، لكنه حصل. ربما هو دليل على وجود جزء صبياني وهمي منه. تبخترت بحركة برأسها قائلةً: {سأكتم هذا السر لأنني أحبك}. كما كتب ليون فريدمان لـ (ليونورا فيريس؟) ذات مرة، "الزواج الجيد هو - على الأقل - مؤامرة من جانب واحد".

قطّبت حاجبيها وظنّ فكري أنّها سترفض. وقالت أخيراً: " من الصعب إيجاد الرجل الطيب".

"هل تقصدين قصة أوكونور؟ القصة التي على مكتبكِ. إنه لأمر سيئ جدًا أن تستحضريها في مثل هذا الوقت".

"لا، أنا أقصدكَ أنتَ. لقد بحثت عنها طويلًا. كان هناك قطاران وقارب واحد بعيد فقط".

"يمكنك تخطي بعض القطارات إذا كنت تقودين سيارتك" أخبرها فكري.

تسأله إميليا: "وماذا تعرف عن القيادة؟".

• • •

في الخريف التالي، وبعد أن اصفرَّت الأوراق، تزوّج فكري وإميليا.

قالت والدة لامبياز التي جاءت على موعدها لابنها: "أنا أحب حفلات الزفاف كلها، لكن أليس جميلًا جدًا عندما يقرر اثنان من كبار السن الزواج؟" تود والدة لامبياز أن ترى ابنها يتزوج مرة أخرى في يوم ما.

"أنا أعرف ماذا تقصدين يا أمي". يقول لامبياز: "لا يبدو أنَّهم يسيرون بعيون مغمضة. فهو يعرف أنها ليست مثالية. كما تعرف هي أنّه بالتأكيد ليس مثاليًا. إنهما يعلمان أنه لا يوجد شيء مثالي.

لقد اختارت مايا أن تكون حاملاً للخاتم لأن هذه الوظيفة ذات أهمية أكبر من حاملة الزهور. "إذا فقدت زهرة، فستحصل على زهرة أخرى" تقول مايا: "إذا فقدت الخاتم، فسيحزن الجميع إلى الأبد. حامل الخاتم يتمتع بقوة أكثر من ذلك بكثير".

"إنك تبدين مثل غولوم" قال فكري.

"من هو غولوم؟" تريد أن تعرف مايا.

أجابت إميليا: "شخص ما في غاية السعادة يحبه والدك".

قبل أن تبدأ مراسم القدّاس، قدّمت إميليا هدية إلى مايا، صندوقًا صغيرًا، كان قد كُتِب عليه من ملصقات الكتب: {هذا الكتاب خاص بـ مايا تيمورلنك فِكري}. في هذه المرحلة من حياتها كانت مايا مغرمة بالأشياء التي تحمل اسمها.

"أنا سعيدة لأننا سنكون على صلة ببعض" قالت إميليا: "أنا معجبة بك حقًا يا مايا".

مايا مشغولة بلصق أول لصاقة لها على الكتاب الذي تقرؤه حاليًا، الحياة المذهلة لأوكتافيان لا شيء(61). "نعم" تقول: "أوه، انتظري". تُخرِج زجاجة من طلاء الأظافر البرتقالي من جيبها: "هذه لكِ".

تقول إميليا: "شكرًا لكِ، ليس لدي لون برتقالي".

"أعلم ذلك، لهذا السبب اخترته".

تقلب إيمي الزجاجة وتقرأ ما كتب على قاعها: {من الصعب إيجاد الرجل الطيب}.

اقترح فكري دعوة ليون فريدمان لحضور حفل الزفاف، وهي فكرة ترفضها إميليا، إذ كانوا متفقين على مقطع من المزهر متأخرا ليقرأ في أثناء مراسم القدّاس من قبل أحد زميلات إميليا في الكليَّة.

{هذا الخوف السري من أنّنا غير محبوبين يعزلنا}، يستمر المقطع {لكن لأننا معزولون فقط نعتقد أننا غير محبوبين. يوما ما، ولا تعرف متى، سوف تقود سيارتك على الطريق. ويوما ما، ولا تعرف متى سيكون (هو أو هي) بالفعل هناك. ستكون محبوبًا لأنه لأول مرة في حياتك لن تكون وحدك حقًا. وستختار ألا تكون وحيدًا}.

لا أحد من زملاء إميليا الآخرين في الكلية عرف المرأة التي تقرأ المقطع، لكن بالمقابل لا يجدون هذا غريبًا أيضًا. إن (فازار) كلية صغيرة، ومع ذلك ليست بالتأكيد المكان الذي يمكن للجميع أن يعرفوا فيه بعضهم، وكانت إميليا دائمًا تمتلك موهبة لتكوين صداقات مع أشخاص من مختلف الطبقات الاجتماعية.

---

(52) كاتبة وروائية أمريكية. كتبت عددًا من الكتب الأكثر مبيعًا في مسيرتها المهنية، وحصلت على جائزة الكتّاب الوطني وجائزة الكتّاب الأمريكية عن روايتها الساحر بيلي. (المترجم).

(53) رواية لـ أليس ماكديرموت تتحدث عن دراسة الأكاذيب التي تربط الحب العائلي، والطريقة التي يمكن أن تكون بها النوايا الحسنة مدمرة مثل الحقيقة التي كان من المفترض إخفاؤها. (المترجم).

(54) قرية صغيرة في بلدة نيو كاسل في مقاطعة ويستشستر في نيويورك. (المترجم)

(55) اعتمدت هذه العبارة كشعار لسرب القوات الجوية الملكية ٦١٧ الذي نفّذ غارات على السدود الألمانية في منطقة روهر، كما استُخدم هذا التعبير لوصف القاتل صاحب السمعة السيئة أندرو كونان في الكتاب المدرسي السنوي. (المترجم)

(56) اسم المنظمة النسائية الصهيونية الأمريكية. (المترجم)

(57) كلمة تستخدم في الشرب لنخب شخص ما. (المترجم)

(58) خبز خاص بالمطبخ اليهودي، عادة ما يُؤكل في مناسبات احتفالية مثل عطلة يوم السبت، والعطلات اليهودية الكبرى باستثناء عيد الفصح. (المترجم)

(59) رواية مغامرات خيالية أمريكية مبنية على أساطير يونانية، وتعد أول رواية شبابية كتبها (ريك يوردان) في سلسلة بيرسي جاكسون وأولمبيانس.

(60) رواية نشرت في عام ١٨٦٥ للروائي الإنكليزي تشارلز لوتويدج دودجسون. تتحدث عن فتاة صغيرة اسمها (أليس)، وقعت في حفرة أرنب ووصلت إلى عالم خيالي مأهول بمخلوقات بشرية غريبة. (المترجم)

(61) للكاتب ماثيو توبين أندرسون. تدور أحداث الرواية في وقت كان فيه الوطنيون يناضلون من أجل الحرية في حين كان العبيد الأفارقة يُجبرون على المجازفة بحياتهم من أجل حرية لم يطالبوا بها أبداً. (المترجم)

الفتيات في فساتينهنَّ الصيفيّة
أروين شو / 1939

رجل يختلس النظر إلى النساء بصحبة زوجته، ولا يروق ذلك للزوجة. منعطف جميل، أقرب إلى منعطف النهاية، أنت قارئ جيد، وربما تلاحظ أن هذا الانعطاف آت. (هل الانعطاف أقل إقناعاً إذا كنت تعرف أنه آت؟ هل الانعطافُ الذي لا يمكنك توقعه يعد من أعراض البناء السيئ؟ هذه أشياء يجب مراعاتها عند الكتّابة).

ما من مناسبة معينة للكتابة ولكن... يومًا ما، قد تفكر في الزواج. اختر الشخص الذي يؤمن بأنَّك الشخص الوحيد في الغرفة.

فكري.

جلست إيسماي في بهو منزلها مقاطعة ساقيها بحيث لفّت ساقًا على ساق، كانت قد رأت ذات مرة مذيعة تجلس بهذه الطريقة فأثار إعجابها ذلك. تحتاج المرأة إلى أرجل رشيقة وركبتين مرنتين لفعل ذلك. تتساءل إن كان الفستان الذي اختارته لهذا اليوم رقيقًا جداً، إذ كان مصنوعاً من الحرير، والصيف قد انقضى.

نظرت إلى هاتفها، الساعة الحادية عشرة صباحًا، مما يعني أن الحفل سيبدأ بالفعل. ربما عليها المغادرة من دونه؟

وبما أنها تأخرت بالفعل، تقرر أنه لا جدوى من الذهاب بمفردها، وأنها إذا انتظرت، يمكنها الصراخ عليه عندما يصل. كانت تجد السرور حيثما تكون.

يدخل دانيال من الباب الساعة 11:26. يقول: "آسف، ثلّة من الغلمان من صفي أرادوا الذهاب لاحتساء المشروب. شيء ما أدى إلى شيء آخر، أنتِ تعرفين كيف يكون الأمر".

"نعم" تقول. لم تعد تشعر بالرغبة في الصراخ بعد الآن، فالسكوت سيكون أفضل.

وقعتُ في مكتبي، ظهري يؤلمني. قبّلها على خدها، وقال: "تبدين رائعة" يُصفّر، ويكمل: "ما تزالين تحظين بأرجل رائعة يا إيزي".

قالت: "غيّر ملابسك، تبدو رائحتك أشبه بمتجر الخمور. هل قُدتَ سيارتك بنفسك إلى هنا؟".

"أنا لست سكرانًا، بل أعاني من آثار الثمالة. كوني أكثر دِقّة يا إيسماي".

"إنه لأمر مدهش أنك ما تزال على قيد الحياة" قالت.

"ربما كان الأمر كذلك" ردَّ وهو يصعد الدرج.

"هل لك أن تحضر لي شالي عندما تنزل؟" قالتها لكنها غير متأكدة إذا ما كان قد سمعها.

• • •

ظنّت إيسماي أنَّ العرس سيكون مثل حفلات الزفاف المعتادة، بدا فكري مُختل الهندام في بدلته القطنيّة الزرقاء المُجعّدة. هل من الممكن أن يكون قد استأجر بدلته؟ إنها جزيرة أليس، وليس شاطئ جيرسي. ومن أين حصلت إميليا على هذا الفستان المريع الذي ينتمي لعصر النهضة؟ إنه مائل للون الأصفر أكثر من الأبيض، وتبدو فيه كالمتشردات. كانت ترتدي دائمًا ملابس عتيقة ومن النوع الذي لا يناسب جسمها تمامًا، وكانت تضع زهور الجربر الكبيرة في شعرها، لكنها ليست في العشرين من عمرها بحق الله! عندما تبتسم تبدو كأنّها كلها لثة.

{متى أصبحتُ سلبية للغاية؟} تتعجَّب إيسماي. فسعادتهم لا تعني تعاستها، ولن تكون كذلك. ماذا لو كان هناك نسبة متساوية من السعادة والتعاسة في هذا العالم وفي كل وقت؟ سيكون أجمل. إنها حقيقة معروفة، إن الكراهية تظهر على وجهك عند بلوغك الأربعين. علاوة على ذلك، فإنَّ إميليا جذابة حتى لو لم تكن جميلة مثل نيك. انظروا كم تبتسم مايا. فقدت سنًا آخر وفكري سعيد جدًا. راقب هذا اللقيط المحظوظ يحاول ألّا يبكي.

إيسماي سعيدة لـ فكري، مهما كان يعني ذلك، لكن الزفاف نفسه هو محاكمة. هذا الحدث يجعل شقيقتها الصغرى تبدو أكثر بؤسًا، ويؤدي إلى التفكير السلبي في خيبات أملها الكثيرة أيضًا. هي في الرابعة والأربعين من العمر، وهي متزوجة من رجل وسيم جدًا،

لكنها لم تعد تحبه. عانت من سبع حالات إجهاض في السنوات العشر الأخيرة. إنها، وفقًا لأخصائي أمراض النساء، في فترة مقاربة لسن اليأس؛ والحمل مطلب كبير.

تنظر عبر المكان إلى مايا، يا لها من فتاة جميلة وذكية أيضًا. تلوح إيسماي لها، لكن مايا منكبّة على كتاب، ولا يبدو أنها لاحظت ذلك. لم يسبق للفتاة الصغيرة أن ارتاحت بشكل خاص لإيسماي التي يعتقد الجميع أنها غريبة. بشكل عام، تفضل مايا مصاحبة الكبار، وإيسماي التي تدرّس منذ عشرين عامًا، لطيفة مع الأطفال. عشرون عامًا. من دون أن تلاحظ ذلك، فقد تحولت من المعلمة الجديدة المشرقة التي حدق بساقيها الفتية جميعهم إلى السيدة بيريش العجوز التي تنجز مسرحيّات المدرسة. إنهم يعتقدون أنه من السخف مدى اهتمامها بهذه المنتجات. بالطبع، إنهم يبالغون في تقدير استثماراتها. كم سنة من المتوقع أن تستمر، إنتاج واحد دون الوسط يمتزج مع السنة التالية؟ وجوه مختلفة، ولكن لم يتضح أن أيًا من هؤلاء الأطفال أصبح كـ ميريل ستريب(62).

تحكم إيسماي ربط وشاحها حول كتفيها وتقرر المغادرة. تتجه نحو آخر الرصيف ثم تنزع حذاءها وتمشي عبر الشاطئ الخالي. في أواخر سبتمبر، في هواء خريف، تحاول أن تتذكر اسم الكتاب الذي فيه امرأة تسبح في البحر وتقتل نفسها في النهاية.

قالت إيسماي محدّثة نفسها: {سيكون الأمر سهلًا للغاية)؛ أن تخرج وتسبح لمدة من الوقت، ثم تبتعد محاولًا ألَا تعود في السباحة، فتمتلأ

رئتاك، هذا مؤلم قليلاً، لكنه سيزول. لا شيء سيُعاود إيلامك مجددًا، وضميرك مرتاح. لا تترك فوضى، ربما سيتطهر جسمك يومًا ما، وربما لا. ودانيال لن يبحث عنها، ربما سيبحث، فهو ليس بالغ القسوة.

تذكرت! اسم الكتاب: يقظة امرأة (63) لـ كيت شوبان (64). كم كانت تحب تلك الرواية (الخاطرة؟) عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها.

كانت والدة مايا قد أنهت حياتها بالطريقة نفسها، وتتساءل إيسماي - وليس لأول مرة - إذا كانت ماريان والاس قد قرأت يقظة امرأة. لقد فكّرت كثيرًا بشأن ماريان والاس على مر السنين.

مشت إيسماي داخل الماء الذي كان أكثر برودة مما ظنّت. حدّثت إيسماي نفسها: {نعم بإمكاني فعلها)، بمجرد الاستمرار بالمشي.

{ربما أستمر بالمشي فحسب}.

- "إيسماي!".

تلتفت إيسماي رغمًا عنها. إنه لامبياز، صديق فكري المُزعج. يحمل حذائها.

- "هل الطقس بارد للسباحة؟".

- قالت: "نوعًا ما، لكنني جئت إلى هنا كي أصفّي ذهني".

يمشي لامبياز نحوها قائلًا: "بالتأكيد".

تصطك أسنان إيسماي، يخلع لامبياز معطفه ويضعه فوق كتفيها قائلًا: "لا بد أنه من الصعب رؤية فكري يتزوّج من شخص آخر غير أختك".

"نعم. مع أنَّ إميليا تبدو جميلة". تبدأ إيسماي بالبكاء، ولم تكن متأكدة إذا ما استطاع لامبياز رؤيتها، فالشمس آلت نحو الغروب.

- يقول: "الأمر في حفلات الزفاف هو أنه يمكنهم جعل الشخص يشعر بالوحدة كالجحيم".

- "نعم".

- "أتمنى ألا أتجاوز حدودي فيما سأقوله، وأعلم أننا لا نعرف بعضنا جيدًا. لكن، حسنًا، زوجك أحمق، فلو كان لدي امرأة محترفة لطيفة المظهر مثلك...".

- "إنّك تتجاوز حدودك".

- "أنا آسف لأني لم أكن مُهذَّبًا" قال لامبياز.

- تهز إيسماي رأسها قائلةً: "لم أقل أنّك لست مُهذَّبًا، فقد أعرْتني معطفك. شكرًا لك على ذلك".

- "الغرق يأتي بغتة في أليس، علينا أن نعود" قال لامبياز.

يبدأ دانيال الحديث مع إشبينة إميليا قرب الحانة تحت حوت يكويد، الذي غُمِر بأضواء الكريسماس لهذه المناسبة. جانين امرأة شقراء مشهورة، ترتدي نظارات، ظهرت في صفوف النشر مع إميليا. لم يعرف دانيال أن جانين كلفت بمهمة التأكد من عدم خروج الكاتب الكبير عن حدوده.

في حفل الزفاف كانت جانين ترتدي فستانًا قطنيًّا أصفر، وكانت قد اختارته لها إميليا ودفعت ثمنه. قالت إميليا: "أعلم أنك لن ترتدي هذا مرة أخرى".

يقول دانيال: "من الصعب التخلص من الألوان، لكنك تبدين رائعة فيه يا جانين، أليس كذلك؟".

هزّت رأسها موافقة.

- "جانين إشبينة العروس. هل لي أن أسألك ما مهنتك؟ أم أن ذلك حديث حفلة ممل؟" سأل دانيال.

- "مُحرِّرَة" أجابت.

- "مثيرة وأنيقة. ما هي كتبك المضلة؟".

- "كتاب صور قمت بتحريره عن (هارييت توبمان) (65)، وهو

كتاب كُرِّم بميدالية كالديكوت (66) قبل سنتين".

"هذا مثير للإعجاب" يقول دانيال ذلك على الرغم من أنه في الواقع يشعر بخيبة أمل. إنه يبحث عن دار نشر جديدة، فمبيعاته ليست كما كانت عليه من قبل، ويعتقد أن الأشخاص في دار نشره القديمة لا يقومون بواجبهم على أكمل وجه، ويريد أن يتركهم قبل أن يتركوه. أردف: "هذه هي الجائزة الأولى، أليس كذلك؟".

- "لم يفز بها، لكنه حصل على مرتبة شرف".

- "أراهن أنّك محررة جيدة" قال.

- " إلى ماذا استندت؟".

- "حسنًا، لن تدفعيني للاعتقاد بأن كتابك قد فاز عندما كان في المركز الثاني!".

تنظر جانين إلى ساعتها.

قال دانيال: " جانين تنظر إلى ساعتها، وتشعر بالملل مع الكاتب القديم".

ابتسمت جانين. "اكتشاف الجملة الثانية مفاجِئ، وسوف يعرف القارئ تقنية ((أرني ولا تُخبِرني)) (67)".

"إنْ كنتِ ستقولين أشياء من هذا القبيل، فأنا بحاجة لمشروب"

يشير دانيال إلى النادل. "فودكا، غراي غوس، إن كان متوفراً، والقليل من المياه الغازيّة". يلتفت إلى جانين قائلاً: "هذه لكِ؟".

"نبيذ الورد".

"أرني، ولا تخبرني" هي قطعة كاملة من القرف يا جانين يا إشبينة العروسة". دانيال يحاضر بها قائلاً: "إنها مأخوذة من كتب السيناريو لسيد فيلد، لكن ليس لها علاقة بكتابة الرواية، الروايات كلها سرد بما فيها أفضلها، ولم يقصد من الروايات أن تكون شاشات سينمائية تقليدية".

- "لقد قرأت كتابك عندما كنت في المرحلة الثانوية" تقول جانين.

- "أوه، لا تخبريني بذلك، فهذا يُشعرني بأنني هَرِم".

- "لقد كان كتاب أمي المفضل".

تمثيل دانيال وإيماءاته يوقعان في الغرام. ربتت إيسماي على كتفه هامسة في أذنه: "أنا ذاهبة إلى المنزل".

يتبعها دانيال إلى السيارة قائلاً: "إيسماي، تمهلي".

تتولى إيسماي قيادة السيارة لأن دانيال ثمل ولا يستطيع القيادة. كانوا يعيشون في أحد الجروف، في أعلى جزء من جزيرة أليس، حيث تتمتع جميع المنازل هناك بإطلالات جميلة، والطريق الذي يؤدي إليه شاق، ومليء بالعديد من المناطق غير الواضحة للرؤية،

والإضاءة سيئة، وتصطف عليه علامات صفراء تثير الحذر.

يقول دانيال: "لقد انعطفتِ بسرعة يا حبيبتي".

تخيل أنها تقود بعيدًا عن الطريق وفي المحيط، والفكرة تجعلها سعيدة وسعيدة أكثر مما لو كانت ستقتل نفسها فقط، وتدرك في تلك اللحظة أنها لا تريد أن تموت، إنها تريد أن يكون دانيال ميتاً، أو على الأقل أن يذهب، نعم يرحل، قررت أن يرحل.

"لم أعد أحبك".

"تبدين سخيفة يا إيسماي، دائمًا ما تصابي بهذه الحالة في حفلات الزفاف".

تقول إيسماي: "أنت رجل غير صالح".

"أنا معقد، وربما لست صالحاً، لكنني بالتأكيد لست الأسوأ" يقول دانيال: "ليس هناك سبب لإنهاء زواج متوسط تمامًا".

"أنت الجندب، وأنا النملة. لقد سئمت من أن أكون النملة".

"هذا مرجع للأحداث إلى حد ما. أنا متأكد من أنك تستطيعين أن تفعلي ما هو أفضل".

تقوم إيسماي بإيقاف السيارة إلى جانب الطريق ويداها مرتعشتان.

"أنتَ سيئ، والأسوأ من ذلك أنّك جعلتني سيئة" قالت.

"لا أعرف عمّ تتكلمين". مرّت بهم سيّارة قريبة مصدرة هسيسًا بدرجة تكفي لهز جوانب سيارات الدفع الرباعي. "إيسماي، هذا مكان مجنون لركن السيارة، إذا كنت تريدن أن نتجادل، دعينا نذهب إلى المنزل ونفعل ذلك بشكل صحيح".

"في كل مرة أراها مع فكري وإميليا أمرض. يجب أن تكون ملكنا".

"من؟".

"مايا" تقول إيسماي: "لو أنك فعلت الشيء الصحيح، لكانت لنا. لكنك لا يمكنك أن تفعل أي شيء بجد. لقد سمحت لك أن تكون بهذه الطريقة". تنظر بثبات إلى دانيال، وتقول: "أعرف أن ماريان والاس كانت صديقتك".

"هذا ليس صحيحًا".

"لا تكذب! أعلم أنها جاءت إلى هنا لقتل نفسها في فناء دارك الأمامي. أعرف أنها تركت مايا من أجلك، لكنك إما كسول جدًا أو جبان جدًا لتطالب بها".

"إن كنتِ تعتقدين أن هذا صحيح، فلماذا لم تفعلي شيئًا حيال ذلك؟" سألَها دانيال.

"لأنها ليست وظيفتي! كنت حاملاً ولم تكن مسؤوليتي تسوية علاقاتك الغرامية".

سيارة أخرى تسير بسرعة وكادت أن تضربهم من الجانب.

"لكن لو كنت شجاعاً وجئت بها إليّ، لكنت تبنّيتُها يا دانيال، لكنتُ غفرت لك وأخذتها. انتظرتُ منك أن تقول شيئًا، لكنك لم تفعل ذلك أبدًا. انتظرتُ لعدة أيام، ثم لأسابيع، ثم لسنوات".

"إيسماي، يمكنك أن تصدقي ما تريدين، لكن ماريان والاس لم تكن صديقتي. كانت من المعجبين الذين جاؤوا إليّ من أجل القراءة فحسب".

"كم أنا غبيّة برأيك؟".

يهز دانيال رأسه: "كانت فتاة تجيء إلى جلسة القراءة، ونمت معها مرة واحدة. كيف يمكنني أن أكون متأكداً من أن الطفل لي؟" يحاول أن يأخذ يد إيسماي لكنها تسحبها.

"إنه أمر مضحك" تقول إيسماي: "لقد ولّى آخر ما تبقى من الحب الذي أملكه لك".

"ما زلتُ أحبك". في تلك اللحظة تُظهِر مرآة الرؤية الخلفية مصابيح أمامية.

أتت ضربة من الخلف، فدفعت السيارة إلى منتصف الطريق بحيث

عبرت المسارات المرورية.

يقول دانيال: "أعتقد أنني بخير. هل أنتِ بخير؟".

"ساقي... ربّما كُسِرَت".

مزيد من المصابيح الأمامية، هذه المرة من الجانب المُقابل من الطريق. "إيسماي، عليكِ أن تقودي سيارتك". يلتفت في الوقت المناسب لرؤية الشاحنة. يظنها تنعطف.

في الفصل الأول من رواية دانيال الأولى الشهيرة، الشخصية الرئيسة تتعرض لحادث سيارة كارثي، وقد جهد دانيال في هذا القسم، لأنه خطر له أن كل ما يعرفه عن حوادث السيارات الرهيبة جاء من الكتب التي قرأها والأفلام التي شاهدها. الوصف الذي استقر عليه أخيرًا بعد ما يقرب من خمسين محاولة، لم يقنعه أبدًا. سلسلة من الثغرات في أسلوب الشعراء الحديثين؛ أبولينير(68) أو بريتون ربما، أو... ولكنهم ليسوا بالجودة نفسها.

الأضواء ساطعة بما يكفي لتتسع عيناها.

المزامير، تأتي خفيضة بعد فوات الأوان.

المعدن يتفتّت كما الأنسجة.

ولم يكن ذاك الجسد يتألّم؛ لأنه قد ولّى إلى مكان آخر.

نعم، فكر دانيال بتلك الطريقة فقط بعد الصدمة وليس قبل الموت. لم يكن ذلك النص الأكثر سوءًا كما كان يعتقد.

---

(62) ممثلة أميركية، توصف دائمًا أنها أفضل ممثلة في جيلها. (المترجم)

(63) تتكلم على بطلة تفكر في العيش بشكل مستقل، فتتمرد على الأعراف الاجتماعية السائدة بترك زوجها وإقامة علاقة غرامية أخرى. تدور أحداث القصة في تسعينات القرن التاسع عشر داخل مجتمع الطبقات العليا. (المترجم)

(64) مؤلفة قصص قصيرة وروايات، أميركية الأصل، من أعمالها (قصة ساعة من الزمن). تركز معظم أعمالها على حياة النساء. المترجم)

(65) ناشطة في مجال محاربة العبودية ومدافعة عن حقوق الإنسان، انضمت إلى شبكة من الناشطين من أجل محاربة الرق. (المترجم)

(66) ميدالية كالديكوت تُمنح عادة بوصفها جائزة لأفضل كتاب صور مرئي للأطفال. (المترجم)

(67) تقنية تستخدم في الكتابة للسماح للقارئ بفهم القصة من خلال الكلمات، والأفكار، والحواس، والمشاعر، بدلًا من عرض المؤلف وتلخيصه. (المترجم)

(68) غوليوم أبولينير: شاعر، وكاتب مسرحية، ومؤلف قصص قصيرة، وروائي. يعد من أبرز الأدباء في القرن العشرين. (المترجم)

الجزء الثاني

محادثة مع والدي
1972 / غريس بالي

يتجادل الأب الذي يصارع الموت مع ابنته حول "أفضل" طريقة لكتابة قصة، ستعجبين بهذا يا مايا، أنا متأكد، وربما سأنزل إلى الطابق السفلي وأدسّه بين يديك الآن.

فكري.

تمثل وظيفة مايا في وصف الكتابة الإبداعية عن طريق سرد قصة عن شخص تتمنى أن تعرفه معرفة أفضل. تكتب: {والدي الحقيقي شبح بالنسبة لي}. تعتقد أن الجملة الأولى جيدة، لكن كيف ستكملها؟ كيف ستكتب مئتين وخمسين كلمة في صباح كامل من الضياع. اعترفت بالهزيمة. لم تستطع كتابة القصة لأنها لا تعرف شيئًا عن الرجل؛ إنه حقًا شبح بالنسبة لها. كان الفشل في إدراك البداية.

يُحضِر لها شطيرة جبن مشوية قائلًا: "كيف تسير الأمور يا هيمنغواي؟".

"أنت لا تقرع الباب أبدًا؟" تأخذ الشطيرة وتغلق الباب. كانت تحب العيش فوق المتجر، لكنها الآن في الرابعة عشرة من عمرها وما زالت إميليا تعيش هناك أيضًا. تبدو الشقة صغيرة، وصاخبة. يمكنها سماع الزبائن في الطابق السفلي طوال اليوم. كيف يمكن للشخص أن يكتب في ظل هذه الظروف؟

كتبت مايا عن قطة إميليا بدافع اليأس:

{لم تتخيل بادلغلوم أبدًا أنها ستنتقل من جزيرة بروفيدنس إلى جزيرة أليس}.

تقوم بمراجعتها: {لم تتخيّل بادلغلوم أنّها ستعيش في محل لبيع الكتب}.

توقعت أن ما سيقوله السيد بالبوني مدرس الكتابة الإبداعية: هذه وسيلة للتحايل. لقد كتبْتِ بالفعلٍ قصة من وجهة نظر المطر، ومن وجهة نظر كتاب مكتبة قديم جداً، كان قد كتب عليه السيد بالبوني {مفاهيم ماتعة}، لكنك قد ترغبين في تجربة الكتابة عن شخصية إنسانية في المرة القادمة. هل تريدين حقًا أن تصبح قصص التجسيد البشري شيئًا خاصًا بكِ؟".

كان عليها أن تبحث عن (التجسيد البشري) قبل أن تقرر أنها لا تريده أن يكون شيئًا خاصًا بها. لا تريد أن تملك شيئًا. ومع ذلك، هل يمكن إلقاء اللوم عليها إذا كان هذا الشيء لها؟ لقد أمضت طفولتها في قراءة الكتب وتخيل حياة الزبائن، وأحيانًا الأشياء غير الحيّة مثل إبريق الشاي أو علامة الكاروسيل. لم تكن طفولة معزولة، على الرغم من أن العديد من عشاقها كانوا إلى حد ما أقل واقعيّة.

بعد ذلك بقليلٍ، تقرع إميليا الباب سائلةً: "هل لديكِ عمل؟ هل لكِ أن تأخذي قسطًا من الراحة؟".

"تفضلي" تقول مايا.

تقفز إميليا على السرير: "ماذا تكتبين؟".

"المشكلة أنني لا أعرف. اعتقدت أن لدي فكرة، لكنها لم تنجح".

قالت إميليا: "أوه، هذه مشكلة".

شرحت مايا الوظيفة: "من المفترض أن تكون حول شخص مهم

بالنسبة لك، شخص ما قد مات، أو عن شخص تتوقين لمعرفته بشكل أفضل. وربما يمكنك أن تكتبي عن والدتك".

تهز مايا رأسها. لا تريد إيذاء مشاعر إميليا، لكن هذا يبدو واضحًا، وتقول: "لا أعرف عنها إلا القليل كما والدي الحقيقي".

"لقد عشتِ معها عامين، أنتِ تعرفين اسمها وبعض الحقائق عنها، قد يكون هذا نقطة انطلاق".

قالت مايا: "أعرف بقدر ما أريد معرفته عنها، كانت لديها فرص، لكنها أفسدت كل شيء".

قالت إميليا: "هذا غير صحيح".

"لقد استسلمتْ، أليس كذلك؟".

"ربما كان لديها أسبابها. أنا متأكدة أنها فعلت أفضل ما بوسعها".

كانت قد توفيت والدة إميليا قبل عامين، وعلى الرغم من أن علاقتهما كانت شائكة في بعض الأحيان، إلا أنها تشتاق لها بضراوة غير متوقعة. على سبيل المثال: كانت والدتها حتى وفاتها ترسل ملابسها الداخلية الجديدة عن طريق الشحن كل شهر. لم يكن على إميليا ولو لمرة واحدة شراء ملابسها الداخلية طوال حياتها. في الآونة الأخيرة، وجدت نفسها واقفة في قسم الملابس الداخلية في (تي جي ماكس)، وبينما كانت تمر عبر صندوق الملابس الداخلية، أجهشت بالبكاء قائلة: {لن يحبني أحد أبدًا ذلك الحب مرة أخرى}.

"هل من شخص مات؟" يقول فكري على العشاء. "ماذا عن دانيال باريش؟ لقد كنتما صديقَين حميمَين".

قالت مايا: "عندما كنت طفلة".

"أليس هو السبب في أنك قررت أن تصبحي كاتبة؟" قال فكري.

تقلب مايا بعينيها: "لا".

"كانت معجبة به في صِغَرها" يقول فكري لإميليا.

"أبي، هذا غير صحيح".

تقول إميليا: "إن إعجابك الأدبي الأول أمر مهم، كان جون ايرفينج إعجابي الأول".

قال فكري: "أنت تكذبين، لقد كانت آن إم مارتين".

ضحكت إميليا، وصبّت كأسًا من النبيذ لنفسها قائلة "نعم، ربما أنت على حق".

"أنا مسرورة لأنكما تعتقدان أن هذا أمر مُضحك للغاية" قالت مايا: "ربما سأفشل، ثم سينتهي بي المطاف على الأرجح مثل والدتي". وقفتِ وابتعدت عنِ الطاولة، ثم اتجهت نحو غرفتها وصفقت الباب. لم تبنِ شقتهم من أجل الخروج الدرامي، لذا ارتطمت ركبتها برف

الكتب، فقالت بتأفف: "هذا المكان صغير جدًا".

قال فكري همسًا: "هل عليَّ أن أتبعها؟".

"لا، إنَّها تحتاج لبعض الوقت منفردة، إنَّها فتاة مراهقة، لذا دعها على هواها لبعض الوقت".

يقول فكري: "ربما كانت مُحِقّة، هذا المكان صغير جدًا".

منذ أن تزوجا وهما يبحثان عن منزل عبر الإنترنت. الآن، وبعد أن أصبحت مايا مراهقة، تقلصت الشقة العلوية بحمامها الوحيد جدًا، وصار فكري يستخدم حمام المتجر العام معظم الوقت لتفادي التزامن في الاستعمال مع مايا وإميليا، فالزبائن أقل استخدامًا للحمام منهما. إلى جانب ذلك، كان العمل جيدًا أو على الأقل كان مستقرًا، وإذا انتقلوا، سيستفيد من الشقة وسيجعلها قسمًا موسعًا للأطفال وللقصص المعاصرة، أو ربما للهدايا وبطاقات المعايدة.

في نطاق الأسعار الممكنة في جزيرة أليس، تبدو المنازل جميعها بدائية، وفكري يشعر أنه تجاوز مرحلة التأسيس في حياته. مطابخ غريبة، والغرف صغيرة جدًا، وهذه إشارات مشؤومة في قضية التأسيس. لكن ذلك عاد على فكري بفائدة جيدة؛ وهي أنهم منذ بدؤوا بالبحث عن سكن صار يعتمد على يد واحدة في عدّ المرّات التي فكر فيها بكتّاب تيمورلنك.

في وقت لاحق من تلك الليلة وجدت مايا قصاصة ورقية أسفل

بابها:

مايا... إذا كنت عالقة، فالقراءة ستساعدك:

"الحسناوان" لأنتون تشيخوف (69)، "بيت الدُمَى" (70) لكاثرين مانسفيلد، "اليوم المرتجى لسمك الموز" (71) لـ جَيه دي سالينجر، "كعكة الشوكولا" أو "احتساء القهوة في مكان آخر" وكلاهما لـ زد باكر، "في المقبرة حيث دفن آل جولسون" لـ إيمي هيمبل، "الدسم" لـ ريموند كارفر، و "المخيم الهندي" لـ إرنست همنغواي.

علينا أن نحضرها جميعها إلى الطابق السفلي، وإذا كنت لا تستطيعين العثور على أي منها فاطلبيها فحسب، على الرغم من أنك تعرفين مكان كل شيء أفضل مني.

والدك المحب.

ليلًا حين يُغلق المتجر، تُحدّد قائمة العناوين ثم تدسّها في جيبها، وتنزل إلى الطابق السفلي. تلفّ علامة لتستعملها في الإشارة إلى الصفحة التي وصلت إليها في الكتاب الذي تقرأ منه، وتقول مخاطبة اللفافة: "أهلًا بك". ثم تلتفت نحو اليمين اتجاه قسم قصص اليافعين.

• • •

بدت مايا متوترة ومتحمسة بعض الشيء عندما سلّمت القصة للسيد بالبوني.

يقرأ العنوان: "رحلة إلى الشاطئ".

تقول مايا: "إنها من وجهة نظر الرمال، إنه شتاء أليس، والرمال تشتاق للسيّاح".

يتحرك السيد بالبوني، وبنطاله الجلدي الأسود يصدر صريرًا. يشجعهم على التأكيد على الإيجابية في أثناء القراءة بعين ناقدة ومطّلعة بشكل مثالي. قال: "حسنًا، يبدو هذا وكأنه يحتوي على وصف مثير للذكاء بالفعل".

- "أنا أمزح سيد بالبوني، أحاول الابتعاد عن التجسيد البشري".

- "أتطلع لقراءته" يقول السيد بالبوني.

في الأسبوع التالي، أذاع السيد بالبوني أنه سيقرأ قصة بصوت عال، والجميع يجلسون أكثر استقامة. من المثير أن تُختَار، حتى لو كان ذلك يعني انتقادك، إنه أمر مثير أن تكون في موضع المُنتقَد.

"ما رأيكم؟" سأل الصف عندما انتهى.

"حسنًا" قالت سارة ييب: "لا أقصد الإهانة، لكن الحوار سيئ نوعًا ما. مثلًا: أنا فهمت ما قصده الشخص، لكن لماذا لا تستخدم الكاتبة الاختصارات أكثر من ذلك؟". تُراجع سارة ييب الكتب في مدونتها، {مراجعة كتاب بيزلي يونيكورن} إنها تتفاخر دائمًا بالكتب المجانية التي تحصل عليها من الناشرين.

"لماذا استخدمت ضمير الشخص الثالث؟ ولماذا ركّزت على استخدام الزمن المضارع؟ جعلت الكتابة تبدو طفولية بالنسبة لي".

قالت بيلي ليبرمان التي تكتب عن فتيان شجعان مظلومين يتغلبون على عقبات أبوية وأخرى خارقة للطبيعة: "لم أفهم ما يفترض أن يكون قد حدث في النهاية؟ كانت مُربِكة".

قال بالبوني: "أعتقد أنه من النوع الغامض. أتذكرون الأسبوع الماضي عندما تحدثنا عن الغموض؟".

أمّا ماجي ماركاكيس التي تعمل في هذه الانتخابات الاختيارية فحسب، بسبب تعارض يتعلق بالرياضيات والمناظرة في الجدولة، فقد قالت إنها أحبّت ذلك، على الرغم من أنها لاحظت وجود تباينات في العناصر المالية للقصص.

اعترض أبنر شوكيت على نواحٍ عدّة، واستهلّها بأنه لا يُحب القصص التي تحتوي على شخصيات تكذب، إذ قال: "لقد سئمتُ من الروايات غير الموثوق بها". قُدّمت الفكرة إليهم منذ أسبوعين، والأسوأ من ذلك أنه يعتقد أنه ما من تقدم أحرِز. لم يخدش هذا مشاعرِ مايا لأن قصص أبنر كلها تنتهي بالحيلة نفسها؛ (كل شيء كان حلماً).

يسأل السيد بالبوني: "هل من أمرٍ أُعجبنا بها؟".

"الجانب القواعدي" أجابت سارة ييب.

يقول جون فرنيس: "لقد أحببت مدى حزنها". كان جون يحظى برموش بنية طويلة وتسريحة البوب المحبوبة. كان قد كتبَ قصّة تحرك الأشجان عن يدَي جدته، حتى سارة ييب ذات القلب القاسي تحركت عاطفتها وذرفت الدموع.

يقول السيد بالبوني: "بوصفي قارئًا، أحببت كثيرًا من الأشياء التي اعترض عليها الجميع، أحببت الأسلوب الرسمي إلى حد ما، وكذلك الغموض، ولا أتفق مع نقطة النقد التي قالت (إن الرواة غير موثوقين)، قد نضطر إلى تجاوز هذا المفهوم مرة أخرى. ولا أعتقد أن العناصر المالية قد تم التعامل معها بشكل سيئ أيضا. وأرى أن هذه القصة بالرغم من كل الأشياء التي أُخذت في عين الاعتبار، إلى جانب قصة جون "أيادي جدتي"، هما أفضل قصتين في الصف لهذا الفصل الدراسي، وستكون هناك مشارِكتان من مدرسة (أليتكاون) الثانوية في مسابقة قصة المقاطعة.

يتأوه أبنر: "لم تُخبرنا من كتب القصة الأخرى".

"صحيح، بالطبع. إنها مايا. فلنصفق لجون ومايا". تحاول مايا ألا تبدو راضية عن نفسها.

قال جون بعد الحصّة: "من المذهل أن يختارنا السيد بالبوني، أليس كذلك؟". يتبعها إلى خزانة ملابسها، لكنها لا تستطيع أن تقول شيئًا.

قالت مايا: "لقد أحببتُ قصّتك". كانت قد أحبّت قصته، لكنها تريد الفوز حقًا. الجائزة الأولى بقيمة مئة وخمسين دولارًا، وكأس،

وشهادة من شركة أمازون.

- "ماذا ستشترين بها إن فزتِ؟" سألها جون.

- "لن أشتري كتبًا، فأنا أحصل على كتبي من والدي".

- قال جون: "أنتِ محظوظة، أتمنى أن أعيش في محل لبيع الكتب".

- "أنا أعيش فوقه وليس فيه، وذلك ليس بالأمر العظيم".

- "أراهنك على أنه أمر عظيم".

يُبعِد شعره البني عن عينيه قائلًا: "تريد أمي معرفة إنْ كُنتِ ترغبين في الذهاب معنا بسيارتنا إلى الحفل".

- "لكننا علمنا بالأمر اليوم".

- "أنا أعرف أمي، هي دائمًا تحب الذهاب الجماعي بالسيارة. اسألي والدكِ".

- "والدي يريد الذهاب، وهو لا يجيد القيادة، لذلك ربما، سيطلب أبي من والدتي أو عرّابي أن يأخذنا. ووالدتكَ تريد الذهاب كذلك، لذا لست متأكدة أن الذهاب الجماعي بالسيارة سيكون أمرًا منطقيًا". شعرت كما لو أنها تتحدث منذ نصف ساعة تقريبًا.

ابتسم لها، مما جعل تسريحة شعره تهتز قليلاً: "لا ضير في ذلك. ربما

يمكننا أن نُقلّك إلى مكان آخر في وقت ما".

• • •

يُقام حفل توزيع الجوائز في مدرسة هيانيس الثانوية على الرغم من أنها محض صالة للألعاب الرياضية (ما تزال رائحة الكُرات من كلا النوعين واضحة) ولم يبدأ الحفل بعد، إلّا أن الجميع يتكلمون بأصوات خافتة وكأنّهم في كنيسة. شيء ما مهم وأدبي على وشك أن يحدث هنا.

من بين أربعين مشاركة من المدارس الثانوية العشرين، ستُقرأ القصص الثلاث الأولى فقط على الملأ. كانت قد تدرّبت مايا على قراءة قصتها لمنافسها جون فيرنس، وأدلى لها بالنصح بأن تأخذ نفسًا أكثر وأن تجعل قراءتها أكثر بطئًا. بقيت تتدرّب على التنفس والقراءة كثيرًا، وهذا ليس سهلًا كما يظنه المرء. وكانت قد استمعت له وهو يقرأ أيضًا. كانت نصيحتها له أن يستخدم صوته الطبيعي، فقد كان يلفظ حرف الـ (ي) بصوت مزيف كما يلفظه مُقدِّم نشرة الأخبار. قال: "أنتِ تعرفين أنكِ ستحبينه". والآن يتحدث إليها بصوت مُقلّد طوال الوقت، وهذا مزعج جدًا.

وقعت عيون مايا على السيد بالبوني وهو يتحدث إلى شخص لا يمكن أن تكون إلّا مُعلّمة من مدرسة أخرى، حيث كانت ترتدي ملابس المدرسين؛ فستان زهري وسترة صوفية بيجيّة اللون، ومطرّز عليها رقاقات مثل ندفات ثلجيّة، وتومئ برأسها لكل ما يقوله السيد بالبوني. أما السيد بالبوني فقد كان يرتدي بنطاله الجلدي، ولأنه في الخارج

يرتدي سترة جلدية، بالأحرى بدلة جلديّة. أرادت مايا اصطحابه لمقابلة والدها، لأنها تريد من والدها أن يسمع السيد بالبوني وهو يمدحها. بالتوازي مع ذلك فهي لا تريد أن يكون والدها محرجا. كانت قد قدمته إلى مدرسة اللغة الإنجليزيّة، السيدة سميث، في المتجر الشهر الماضي، ودسّ فكري كتابًا في يد المدرِّسة قائلًا: "ستحبين هذه الرواية، إنّها مثيرة على نحو رائع". حينها أرادت مايا أن تنشق الأرض وتبلعها.

يرتدي فكري ربطة عنق، وتلبس مايا بنطالًا من الجينز. كانت ترتدي ثوبًا اختارته إميليا لها لكنها رأت أن الفستان جعلها تبدو أنها مهتّمة اهتمامًا كبيرًا. إميليا، الموجودة في بروفيدنس هذا الأسبوع، ستلتقي بهم هناك، لكن من المحتمل أن تتأخر. ومايا تعرف أنها ستحزن بشأن الفستان.

قرع أحدهم عصًا على المنصة. رحّبت المعلمة ذات السترة المزينة المطرزة بندفات الثلج بهم في مسابقة القصة القصيرة لمقاطعة آيلاند كاونتي، كما أشادت بالمشاركات لأنها مجموعة متنوعة ومثيرة للمشاعر بشكل خاص. قالت إنها تحب وظيفتها وتتمنى الفوز للجميع، ثم أعلنت عن النهائي الأول.

بالطبع، سيكون جون فيرنيس في النهائي. مايا تجلس على كرسيها وتستمع. القصة أفضل مما تتذكر. أحبت وصف يدي الجدة بأنها كالمناديل الورقية. تنظر إلى فكري لترى كيف يتفاعل معه. لديه نظرة ثاقبة في العيون، ومايا تعرف أنها تشي بالملل.

امّا القصة الثانية لفيرجينا كيم من بلاك هارت هاي، بعنوان «الرحلة»، وتدور حول طفل تم تبنيه من الصين. يهز فكري رأسه مرات عدة، مما حملها على أن تقول إنه أحب القصة أكثر من قصة «يدا جدتي». بدأت مايا تشعر بالقلق من عدم اختيارها على الإطلاق. إنها سعيدة لأنها ارتدت الجينز. تستدير للبحث عن أسرع مخرج. تقف إميليا بجانب باب القاعة وتعطي إشارة لمايا بإبهامها، فحواها: "الفستان... ماذا حدث للفستان؟" تقلب إميليا شفتيها معبرة عن عدم رضاها.

تتجاهلها مايا، وتعود للاستماع إلى قصة الرحلة. ترتدي فرجينيا كيم فستانًا مخمليًا أسود بـ ياقة بيضاء، تقرأ بصوت خفيض للغاية، بالكاد يكون همسًا في بعض الأحيان. يبدو الأمر وكأنها تريد أن يضطر الجميع إلى الانحناء ليستمع.

لسوء الحظ، فإن قصة «الرحلة» تبدو وكأنها لا تنتهي، فهي أطول بخمس مرّات من قصة «يدا جدتي». وبعد هنيهة تتوقف مايا عن الاستماع، وتخمن أن السفر إلى الصين - ربما- يستغرق وقتًا أقل.

إذا لم تكن قصة «رحلة إلى الشاطئ» في المراكز الثلاثة الأولى، فستكون هناك قمصان وحلوى في مكتب الاستقبال. ولكن من يريد البقاء في مكتب الاستقبال إن لم يكن فائزًا على الأقل.

لو فازت، فلن تغضب لأنها لم تفز.

وإذا فاز جون فرنيس، فستحاول ألا تكرهه.

وربما إن فازت ستتبرع بقسيمة الشراء للجمعيات الخيرية، مثل جمعية الأطفال المحرومين أو دور الأيتام.

وإنْ خسرت فسيكون الأمر على ما يرام، فلم تكتب القصة لتفوز بجائزة أو لتكمل واجباً عليها، ولو أنها كانت ترغب في إكمال الواجب، لكانت كتبت عن القطة (بدلغلوم). كانت استمارة الكتابة الإبداعية مدونة بـ ناجح / راسب.

يُعلَن عن القصة الثالثة، وتمسك مايا يد فكري.

---

(69) كاتب روسي، صُنف بوصفه سيد القصة القصيرة وأحد أهم الكتّاب المسرحيين في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

(70) قصة قصيرة تدرس الخيال الإجرامي. تتحدث عن عائلة من الدمى تجمع المحبة بين أفرادها أكثر مما تجمع بينهم الطاعة العمياء وصلة الدم. (المترجم)

(71) كانت هذه القصة سبباً في شهرة كاتبها (سالينجر)، تتمحور القصة حول معاناة سيمور غلاس، الذي عاد مؤخرًا من الحرب، من مرض عقلي في أثناء قضاء عطلته مع زوجته. تستكشف القصة مواضيع الذكاء، والشباب، والروحانية. (المترجم)

اليوم المرتجى لسمك الموز
جيه دي سالينجر / 1948

إذا كان ثمة شيء ما جيد ومُعترَف به عالميًّا، فلن يكون هذا سببًا كافيًا لكراهيته. (ملاحظة جانبية: ظلت عِبارة "معترف بها عالميًا" تدور في عقلي، وقد استغرقت مني كتابة هذه الجملة طوال فترة ما بعد ظهر اليوم).

إنّ قصتك «رحلة إلى الشاطئ» في مسابقة القصة القصيرة للمقاطعة، تذكّرني إلى حد ما بقصة سالينجر. أذكر هذا لأنني أعتقد أنه كان يجب أن تفوزي بالمركز الأول. أعتقد أنّ المشاركة التي حظيت بالمركز الأول، والتي كانت تحمل عنوان «يدا جدتي»، أبسط من قصتك بكثير من الناحية الرسمية والسردية، والعاطفية أيضًا. استجمعي قواكِ يا مايا. بوصفي بائعًا للكتب، أؤكد لك أن منح الجوائز قد يكونَ مهمًا إلى حد ما في رفع نسبة المبيعات، ولكنه نادرا ما يكون معيارًا للجودة.

فكري.

ملاحظة: الشيء الواعد أكثر في قصتك القصيرة هو أنها تظهر التعاطف. لماذا يفعل الناس ما يفعلونه؟ هذه هي السمة المميزة للكتابة العظيمة.

ملاحظة ثانية: إن كان لدي انتقادات، فربما يكون أنكِ قد قدّمتِ عنصر السباحة في وقت مبكر.

ملاحظة ثالثة: سيعرف القراء ماهية بطاقة الصراف الآلي أيضًا.

رحلة إلى الشاطئ

بقلم: مايا تيمورلنك فِكري

المعلم: إدوارد بالبوني، مدرسة أليكّاون الثانوية، الصف التاسع

تعمل ماري لوقت متأخر، لديها غرفة خاصة، غير أنها تتشارك الحمام مع ستة أشخاص آخرين، ويبدو الأمر وكأن شخصًا ما يستخدمه دائمًا. عندما تعود من الحمام تجلس مربية الأطفال على سريرها، وتقول: "انتظرتك خمس دقائق يا ماري".

"أنا آسفة" تقول ماري: "أردت الاستحمام، لكنْ لم يتسنَّ لي الدخول".

تقول مربية الأطفال: "الساعة الآن الحادية عشرة، لقد دفعتِ لي لكي أكون هنا حتى الظهر فقط، ولدي مكان عليّ أن أصل إليه في الساعة 12:15 مساءً، لذا من الأفضل ألّا تتأخري في العودة.

تشكر ماري مربية الأطفال. تقبّل الطفلة على رأسها، وتقول: "مع السلامة".

تركض ماري عبر السكن الجامعي اتجاه قسم اللغة الإنجليزية، تصعد الدرج. كان معلمها على وشك المغادرة حين وصولها إلى هناك. "كنتُ على وشك الذهاب يا ماري. لم أكن أعتقد أنك ستأتين، تفضلي بالدخول".

تدخل ماري إلى مكتبه. يُخرج المعلم واجبها المنزلي ويضعه على المنضدة. "ماري" يقول المعلم: "لقد اعتدت على نيل الدرجة الأولى، والآن ترسبين في موادك الدراسية جميعها".

"آسفة، سأحاول العمل بجد".

"هل من خطب في حياتك؟" يسأل المعلم: "لقد اعتدتِ أن تكوني أحد أفضل طلابنا".

تعض ماري شفتها وترد: "لا".

"أنت هنا بمنحة دراسية خاصة بكليّتنا، لكنك الآن حقًّا في ورطة؛ لأن درجاتك كانت سيئة في الآونة الأخيرة، وإن أُخبرت الكلية، فمن المحتمل أن ينهوا منحتك الدراسية، أو على الأقل يوقفوا عنك أجور البعثة لبعض الوقت".

تتوسل إليه ماري قائلة: "من فضلكَ لا تفعل ذلك! ما من مكان يمكنني الذهاب إليه، ومصدري المالي الوحيد هو منحتي الدراسية".

"إن هذا لمصلحتك الشخصية يا ماري، عليكِ العودة إلى المنزل وإعادة ترتيب أمورك. عيد الميلاد بعد أسبوعين تقريبًا، وسيتفهم

والداك ذلك".

تأخرت ماري خمسَ عشرة دقيقة عن العودة إلى السكن. وعبست مربية الأطفال عندما وصلت ماري، وقالت: "يا ماري، لقد تأخرت مرّة أخرى! عندما تتأخرين تجعلينني أتأخر عن أعمالي الأخرى. أنا آسفة، أنا حقاً أحب طفلتك، لكنني لا أعتقد أنني أستطيع حضانتها بعد الآن".

تأخذ ماري الطفلة من مربية الأطفال قائلةً: "حسناً".

أردفت المربية: "أنتِ مدينة لي بأجور المرّات الثلاث الأخيرة لرعاية طفلتك؛ عشرة دولارات في الساعة بحيث يصبح المجموع ثلاثين دولاراً".

سألتها ماري: "هل يمكنني أن أدفع لك في المرة القادمة؟ نويتُ الذهاب إلى آلة الصراف الآلي في طريق عودتي، لكن لم يسعفني الوقت".

أبدت المربية امتعاضها قائلة: "ضعيها في ظرف مدون عليه اسمي واتركيه عند مسكني، أحتاج المال قبل عيد الميلاد، إذ عليَّ أن أشتري بعض الهدايا".

توافق ماري.

"إلى اللقاء حبيبتي الصغيرة" قالت المربية: "أتمنى لكِ عيد ميلاد رائع".

ناغت الطفلة.

"هل لديكم أي خطة خاصة لقضاء العطلة؟" تسأل مربية الأطفال.

"أمي تعيش في غرينتش، كونيتيكت، ربما آخذها لرؤية أمي، فهي دائمًا يكون لديها شجرة عيد ميلاد كبيرة، وتقدم عشاءً لذيذا، وسيكون هناك كثير من الهدايا لي ولميرا".

"يبدو ذلك رائعًا حقًّا" قالت مربية الأطفال.

تضع ماري الرضيعة في حمّالة الطفل، وتتجه نحو البنك. تحققت من رصيد بطاقة الصراف الآلي الخاصة بها؛ لديها خمسة وسبعون دولارا وسبعة عشر سنتًا في حسابها. تسحب أربعين دولارًا ثم تذهب إلى الداخل لتصريفها.

تضع ثلاثين دولارًا في ظرف يحمل اسم مربيّة الأطفال. تشتري تذكرة لصعود المترو، وتركب إلى المحطة الأخيرة في القطار. لم يكن الحي لطيفًا مثل الحي الذي توجد فيه كلية ماري.

تسير ماري في الشارع، وتصل إلى منزل خرِب وأمامه سياج. هناك كلب مربوط على عمود في الساحة، نبح على الطفلة فبدأت بالبكاء.

"لا تقلقي يا حبيبتي" تقول ماري: "لا يستطيع الكلب الوصول إليكِ".

تدخلان المنزل، كان قذرًا للغاية، وثمّة أطفال متسخون في كل مكان أيضًا. كانوا صاخبين وبأعمار مُختلِفة، وبعضهم معاقون، وبعضهم على كَراسٍ متحركة.

- "مرحبا يا ماري" تقول فتاة معاقة: "ماذا تفعلين هنا؟".

- "جئت لرؤية أمي" تقول ماري.

- "إنها في الطابق العلوي، وهي ليست على ما يرام".

- "شكرًا لك".

- "ماري، هل هذه طفلتكِ؟" تسأل الفتاة المعاقة.

- "لا" تعض ماري شفتها وتقول: "أنا أرعاها لصديق فحسب".

- "كيف هارفارد؟" تسأل الفتاة المعاقة.

- "رائعة" تقول ماري.

- "أراهن أنك حصلت على تقدير ممتاز".

تتجاهل ذلك ماري.

- "أنتِ متواضعة جدًا يا ماري. هل ما زلت تسبحين في فريق السباحة؟".

تتجاهلها ماري مرّة أخرى. تصعد الدرج لرؤية والدتها.

كانت الأم بيضاء البشرة، تعاني من السمنة المفرطة، وماري فتاة سوداء ونحيفة، وكان يبدو أنه لا يُمكن للأم أن تكون أمها الحقيقية.

"مرحباً يا أُمّي" تقول ماري: "عيد ميلاد سعيد". تُقبّل ماري خدود أمها السمينة.

"أهلًا بماري، أميرة الجامعات. لم نتوقع رؤيتك مرّة أخرى هنا في منزل التّبني، هل هذه طفلتك؟".

تتنهد ماري: "نعم".

"يا له من عار"، تقول الأم: "فتاة ذكية مثلك تعبث بحياتها! ألم أخبرك ألّا تمارسي الجنس مطلقًا؟ ألم أخبرك أن تستخدمي دائمًا وسائل الوقاية؟".

"نعم يا ماما". عضّت ماري شفتها: "ماما، هل سيكون من الجيد إن مكثنا أنا وطفلتي هنا لبعض الوقت؟ لقد قررت أخذ إجازة من المدرسة لأنظم حياتي. سيكون ذلك نافعًا جدًا".

"أوه يا ماري، أتمنى لو بإمكاني مساعدتك، لكن المنزل ممتلئ. ليس لدي غرفة لك. وأنت كبيرة جدًا بالنسبة لي كي أحصل من أجلك على شيك من ولاية ماساتشوستس".

"ماما، ليس لدي أي مكان آخر أذهب إليه".

"ماري، أعتقد أنه يجب عليك أن تتصلي بوالد الطفلة".

ماري تهز رأسها: "لا أعرفه، بمعنى أنني لا أعرف حقيقته جيدًا".

"إذن، أعتقد أنه يجب عليك إعطاء الرضيعة للتبني".

تهز ماري رأسها مجددًا: "ولا أستطيع أن أفعل ذلك أيضًا".

تعود ماري إلى غرفة السكن، تحزم حقيبة للطفلة، وتدسُّ لعبة (إلمو) في حقيبتها.

تدخل فتاة من القاعة في الأسفل إلى غرفة ماري.

"يا ماري، إلى أين ذاهبة؟".

تبتسم ماري ابتسامة مشرقة، وتقول: "فكّرت بالقيام برحلة إلى الشاطئ".

تسألها الفتاة: "ألن يكون الشاطئ باردًا على الطفلة قليلًا".

"في الحقيقة، لا". تقول ماري: "سأرتدي أنا والطفلة ملابسنا الأكثر دفئًا، بالإضافة إلى أنَّ الشاطئ لطيف فعلًا في فصل الشتاء".

استهجنت الفتاة ذلك قائلة: "لا أعتقد ذلك".

"عندما كنت طفلة صغيرة اعتاد والدي اصطحابي إلى الشاطئ في

كل وقت وطوال العام".

تضع ماري الظرف عند غرفة سكن المُربيّة.

في محطة القطار، تستخدم بطاقتها الائتمانية لشراء تذاكر القطار والقارب الذي يذهب إلى جزيرة أليس.

قال متلقي التذاكر لماري: "لستِ بحاجة إلى تذكرة للطفلة".

"هذا جيد" تقول ماري.

عندما تصل ماري إلى جزيرة أليس، فإن أول مكان تراه هو محل لبيعٍ الكتب. تدخل إليه حتى تتمكن من تدفئة نفسها وطفلتها. رأت رجلاً عند الطاولة، بدا الرجل بمزاج عصبي، وكان يرتدي حذاءً رياضيًا.

موسيقا عيد الميلاد تعزف في المتجر أغنية: "متّع نفسك بعيد ميلاد سعيد".

قال أحد الزبائن: "هذه الأغنية تجعلني حزينًا للغاية عندما أسمعها، فهذه أشد حزنًا من غيرها. لماذا كتب بعض الأشخاص أغاني حزينة لعيد الميلاد؟".

تقول ماري: "أبحث عن شيء أقرؤه".

يهدأ روع الرجل قليلًا: "ما نوع الكتب التي تحبينها؟".

"أوه، أحب أنواعها كلها، لكن النوع المفضل من الكتب لدي هو النوع الذي تعاني فيه الشخصية من صعوبات، لكنها تتغلب عليها في النهاية. أعرف أن الحياة ليست كذلك، ربما هذا هو السبب في كونها مفضلة لدي".

يقول بائع الكتب إن لديه الكتاب الأفضل من هذا النوع لها، ولكنه حين عاد لم يجدها! فنادى: "يا سيدة؟".

ترك الكتاب على الطاولة في حال قررت العودة.

ذهبت ماري إلى الشاطئ، لكن الطفلة ليست معها.

اعتادت السباحة مع فريق السباحة، وكانت جيدة بما يكفي للفوز ببطولة الولاية في المدرسة الثانوية. في ذلك اليوم، كانت الأمواج متقلبة والماء بارد، وماري بعيدة عن الساحة.

سبحت مبتعدة عن المنارة ولم تعد أدراجها.

النهاية

"مُبارك" قالت مايا لـ جون فرنيس في حفل الاستقبال. مسكت قميصها المنكفئ في يدها. كان لدى إميليا شهادة مايا للمركز الثالث.

استهجن جون الذي اهتزَّ شعره جيئة وذهابًا قائلًا: "ظننتُ أنه كان عليكِ أن تفوزي، لكن من الرائع جدًا أن يختاروا قصتين من

(أليكاون) في النهائيّات".

- "ربما كان السيد بالبوني مدرسًّا جيدًا".

- "يمكننا تقاسم قسيمة الشراء إذا كنت ترغبين بذلك".

هزّت مايا رأسها. إنها لا تريد ذلك بهذه الطريقة.

- "ماذا كنت ستشترين؟".

- "كنت سأقدمها للجمعيات الخيرية، للأطفال المحرومين".

- يردّ بنبرة صوت المذيع: "حقًّا؟".

- "والدي لا يحب أن نتسوق عبر الإنترنت".

- "أنت لست غاضبة مني، أليس كذلك؟".

- "لا، أنا سعيدة لأجلك. عليَّ الذهاب!" تربت على كتفه وتدفعه.

- "أوووو".

- "أراكَ لاحِقًا، علينا أن نلحق بعبّارة السيّارات لنعود إلى أليس".

- "ونحن كذلك" قال جون: "هناك متسع من الوقت كي نتسكع".

- "لدى والدي أشياء في المتجر علينا القيام بها".

- يقول جون بنبرة المذيع: "أراك في المدرسة".

في السيارة، في طريقهم إلى المنزل، تهنئ إميليا مايا على تخيل قصة مدهشة وكتابتها، لكن فكري لم يقل شيئًا.

تخمن مايا أنه لا بد أن فكري خاب أمله فيها، لكن قبل خروجها من السيارة يقول: "هذه الأشياء ليست عادلة. يحب الناس ما يحلو لهم، وهذا هو الأمر الجلل والرهيب. إن الأمر منوط بالذائقة الشخصية ومجموعة محددة من الأشخاص في يوم محدد. على سبيل المثال: كان هناك امرأتان في النهائي من أصل المرشحين الثلاثة، وهو ما كان من الممكن أن يرجح الموازين نحو الذكور، أو ربما توفيت إحدى جدات القضاة الأسبوع الماضي، مما جعل تلك القصة فعالة بشكل خاص، لا أحد يعرف أبدًا، ولكن هذا ما أعرفه؛ «رحلة إلى الشاطئ» من تأليف مايا تيمورلنك فكري، كُتبت من قبل كاتبة واعدة. تعتقد أنه على وشك أن يعانقها، لكنه بدلاً من ذلك يصافحها بالطريقة التي كان يستقبل بها زميلًا، أو ربما مؤلفًا يزور المتجر.

خطر في بالها جملة: {في اليوم الذي صافحني فيه والدي كنت أعرف أنني كاتبة}.

قبل انتهاء العام الدراسي مباشرة، عُرِض على فكري وإميليا منزل يبعد نحو عشر دقائق عن المتجر ومركز الجزيرة. على الرغم من أنه يحتوي أربع غرف نوم وحمامين، وفيه الهدوء الذي يظن الكاتب الشاب أنه بحاجته من أجل العمل، إلا أن المنزل ليس مشابهًا لفكرة

أحد منهم عن بيت أحلامه. آخر مالكة للمنزل توفيت هناك، لم تكن ترغب في المغادرة، لكنها لم تقم بالكثير لصيانة المنزل في السنوات الخمسين الماضية أو نحو ذلك؛ فالأسقف منخفضة، وهناك العديد من ورق الجدران الذي يعود إلى عصور مختلفة، وعليهم إزالتها، فالأساس هش. وصفه فكري بأنه (منزل لعشر سنوات)، وهذا يعني أنه "لعشر سنوات فقط قد يكون صالحاً للعيش". أما إميليا فتطلق عليه اسم (مشروع) وتخطط للعمل عليه على الفور. أمّا مايا بعد أن شقّت طريقها مؤخرا عبر ثلاثية (سيد الخواتم)، أطلقت عليه اسم (باج إند) (72)، لأنه يبدو كما لو أن الأقزام كانوا يعيشون فيه".

قبّل فكري ابنته على جبينها. إنه مسرور من إنتاجها، وكونها تبدو ذلك الطالب الرائع النهم.

---

(72) إشارة منها إلى منزل (بيلبو باغينز) في رواية سيد الخواتم. (المترجم)

القلب الواشي
إدغار آلان بو / 1843

صحيح!

يا مايا، ربما لا تعرفين أنَّ لدي زوجة قبل إميليا ومهنة قبل أن أصبح بائعًا للكتب. كنت متزوجًا ذات مرة من امرأة أحبها كثيرًا تدعى نيكول إيفانز، توفيت في حادث سيارة، وتوفي جزء كبير مني لفترة طويلة بعد ذلك، ربما إلى حين أن عثرت عليكِ.

التقينا أنا ونيكول في الكلية، وتزوّجنا في الصيف قبل أن نبدأ بمرحلة الدراسات العليا. لقد أرادت أن تكون شاعرة، لكن في الوقت نفسه كانت تعمل بلوعة على درجة الدكتوراه في موضوع الشعراء الإناث في القرن العشرين (أدريان ريتش، ماريان مور، إليزابيث بيشوب، وكم كرهتْ سيلفيا بلاث). كنت في طريقي إلى درجة الدكتوراه في الأدب الأمريكي، وكانت رسالتي تتعلق بتصوير العيوب في أعمال (إدغار آلان بو) وهو موضوع لم أحبه أبدًا، وكنت أمقته حقًا. اقترحت نيك أنه يمكن أن يكون هنالك طرق أفضل وأكثر سعادة لحياة أدبيّة. قلت: "نعم، مثل ماذا؟".

فقالت: "أصحاب المكتبات".

قلت: "أخبريني أكثر".

"هل تعلم أنّه ما من مكتبة في المدينة التي ولدتُ فيها؟".

"حقًا؟ تبدو أليس وكأنها المكان الذي يجب أن يكون فيه مكتبة".

قالت: "أعلم، لا يُعدُّ المكان مكانًا إن لم يحتوِ على مكتبة".

ولذا فقد تركنا الدراسات العُليا، وأخذنا أموالها من الصندوق الاستئماني، وانتقلنا إلى أليس، وفتحنا المتجر الذي سمّيناه (آيلاند بوكس).

هل من نافلة القول إننا لم نكن نعرف ماذا كنا نواجه؟

في السنوات التي تلت حادثة نيكول، في أغلب الأحيان كنتُ أتخيّل كيف كانت ستبدو حياتي لو أنني أنهيت درجة الدكتوراه.

لكن هذا ليس موضوعنا.

يمكن القول إن هذه هي أشهر قصص إدغار آلان بو. في صندوقٍ مكتوب عليه أشياء مثيرة للاهتمام، ستجدين ملاحظاتي وخمسا وعشرين صفحة من رسالتي (معظمها يتعلق بـ القلب الواشي)، إن كنتِ مهتمّة بقراءة المزيد عن الأشياء التي فعلها والدك في حياة أخرى.

فكري.

يقول الوكيل دوغ ليبمان وهو ينتقي أربع فطائر صغيرة من

المُقبِّلات التي قدمها لامبياز: "إن ما يزعجني في القصة أكثر من أي شيء آخر هو النهاية الفضفاضة". بعد سنوات عديدة من استضافة نادي تشيفز لاختيار الكتب، يُدرك لامبياز أن أهم شيء - حتى أكثر من العنوان الحالي -هو الطعام والشراب.

قال لامبياز: "أيها الوكيل، الحد الأقصى ثلاث فطائر، أو لن يكون هناك ما يكفي للجميع!".

يُعيد الوكيل فطيرة إلى الصينية: "حسنًا، ماذا حدث للكمان؟ هل فاتني شيء؟". ستراديفاريوس (73) لا يُقدَّر بثمن، فهو لا يتلاشى في الهواء.

قال لامبياز: "وجهة نظر صائبة، أي واحد؟".

"أنت تعرف ما أمقته". تقول كاثي من هومسايد: "أنا أمقت عمل الشرطة الرديء، مثلًا: عندما لا يرتدي أحد القفازات فأنا أصرخ: انتبه، فأنت تلوث مسرح الجريمة".

"لا يمكنك أن ترى هذا الأمر في ديفر" يقول سيلفيو من ديسباتش.

"لا يمكنهم جميعًا أن يكونوا في ديفر" يقول لامبياز.

"لكن ما أكرهه أكثر من عمل الشرطة السيئ هو أن يُحَلّ كل شيء بسرعة كبيرة"، تتابع كاثي: "حتى في ديفر يفعلون ذلك. يجب أن تستغرق مثل هذه الأمور وقتًا طويلًا للتحري، وأحيانًا سنوات. يجب

عليك أن تعيش مع القضية لفترة طويلة".

- "وجهة نظر صائبة يا كاثي".

- "بالمناسبة، هذه الفطائر الصغيرة لذيذة".

- "من كوستكو" يقول لامبياز.

"أنا أكره الشخصيات النسائية" تقول الإطفائيّة روزي: "إن الشرطيات يُعطين انطباعًا سيئًا عن الشرطة، وهي منهن ولديها العيب نفسه".

تقول هوميد كاثي: "تعض أظافرها، وشعرها منفلت، وفمها كبير".

تضحك الإطفائيّة روزي: "هذا طيف من الخيال لسيدة تعمل في تطبيق القانون وهي ما هي عليه".

يقول النائب ديف: "لا أعلم، لكني أحب الخيال".

"ربما كانت وجهة نظر الكاتب هي أن الكمان ليس هو الهدف؟" يقول لامبياز.

يقول نائب ديف: "بالطبع هو الهدف".

يقول لامبياز: "ربما يكون الهدف هو كيف يؤثر الكمان في حياة الجميع؟".

"بوو"(74) تقول روزي الإطفائية، تشير بإبهامها للأسفل: "بووووو".

كان فكري يستمع إلى المناقشة من طاولته. من بين أكثر من عشر مجموعات كتب تستضيفها مكتبة آيلاند، يعد نادي (تشيف) لاختيار الكتب المفضل لديه إلى حد بعيد. يدعوه لامبياز من بعيد: "ساعدني بهذا يا فكري، لست مضطراً لمعرفة من سرق الكمان".

يقول فكري: "حسب خبرتي، يكون الكتّاب أكثر إرضاءً للقرّاء إذا قمت بذلك، على الرغم من أنني شخصيًّا لا مانع لدي بالغموض".

هتافات المجموعات تغمر كل شيء بعد قوله: (إذا قُمتَ بذلك).

يصرخ لامبياز: "خائن".

في تلك اللحظة تصدر أصوات أجراس الزينة مع دخول إيسماي إلى المتجر. تستأنف المجموعة مناقشة الكتّاب، لكن لامبياز لا يستطيع الامتناع عن التحديق بها. كانت ترتدي فستاناً صيفياً أبيض مع تنورة كاملة تبرز خصرها الرشيق. وكان شعرها الأحمر ما يزال محافظا على رونقه وجماله، مما يزيد وجهها حسناً. يتذكّر اللون الأرجواني والبنفسجي للنباتات التي اعتادت زوجته السابقة وضعها على حافة النافذة الأمامية.

تصعد إيسماي نحو فكري واضعة قصاصة ورق على الطاولة، وتقول: "لقد اخترت المسرحية أخيرًا، سأحتاج على الأرجح إلى نحو

خمسين نسخة من مسرحية (بلدتنا) (75)".

يقول فكري: "إنها كلاسيكيّة".

بعد سنوات عدة من وفاة دانيال باريش، ونصف ساعة من اختيار نادي تشيف، يُقرِّر لامبياز أن الوقت الكافي قد مضى لإجراء تحقيق معين مع فكري. "أنا لا أرغب بتعدي حدودي هنا، لكن هل ستتحقق إن كانت شقيقة زوجتك مهتمة بالخروج في موعد مع أحد الضباط غير القبيحين؟".

- "من تقصد؟".

- "كنت أمزح فيما يتعلق بـ (القبيحين). أعلم أنني لست بالضبط صاحب المرتبة الأولى بهذا".

- "لا، لقد كنت أعني من تريد؟ فإميليا ليس لديها أخوات".

- "ليس إميليا. أقصد أخت زوجتك السابقة، إيسماي".

- "أوه، حسنًا إيسماي". يصمت ثم يقول: "إيسماي؟ أحقًّا هي؟".

- "نعم، لقد كان لدي دائمًا شيء ما اتجاهها من أيّام المدرسة الثانوية، ولم تعرني اهتمامًا كبيرًا، ولا أعتقد أن أحدًا منا يُعدّ صغيرًا، لذلك يجب أن أغتنم فرصتي الآن".

يتصل فكري بـ إيسماي ويقدّم الطلب.

- "لامبياز؟" تسأل: "هو؟".

- "إنه رجل طيب" قال فكري.

- قالت إيسماي: "إنه فقط... حسنًا، لم أتواعد مع ضابط شرطة من قبل مطلقًا".

- "لقد بدا لي ساذجًا قليلًا حين طلب مني أن أكون وسيطًا بينكما".

- "لا أقصد أن يبدو بهذه الطريقة، لكن الرجال ذوي الياقات الزرقاء لم يكونوا أبداً مما يناسبني".

جال في خاطر فكري ولم يقله: {وقد نجح ذلك معك ومع دانيال}.

- "بالطبع، كان زواجي كارثة" تقول إيسماي.

• • •

بعد أمسيات عدة، وفي وقت لاحق، التقت إيسماي بلامبياز في (إلكارازون). طلبت طبقًا من السلطعون مع الأعشاب، والنبيذ مع ماء الصودا. لا حاجة لتقديم عرض للأنوثة، لأنها تظن أنه لن يكون هناك موعد ثانٍ.

"شهيتك مفتوحة" يُعلِّق لامبياز: "سأطلب الطلب ذاته".

سألته إيسماي بخجل: "ماذا كنت ستعمل لو لم تكن شرطياً؟".

"حسنًا، صدِّقي أو لا تُصدِّقي" قال بخجل: "لقد قرأتُ كثيرًا، ربما لا تتوقعين كم. أنا أعلم أنك تعلِّمين اللغة الإنجليزية".

"ماذا قرأت؟" تسأل إيسماي.

"القليل من كل شيء، بدأت مع روايات الجريمة، ويمكن التنبؤ بها إلى حد ما كما أعتقد. لكن بعد ذلك قدّم لي فكري أنواعًا أخرى من الكتب، مثل كتب الخيال الأدبي. أعتقد أنكِ تسمينها هكذا، بعضها ليس فيه من الأحداث ما يناسب ذائقتي. وقد يبدو محرجًا أن أقول إنني أحب ما تتضمّنه كتب الشباب البالغين، حيث فيها كثير من الأحداث والمشاعر. قرأت ما قرأه فكري أيضًا، وهو ميّال للقصص القصيرة...".

"أعلم ذلك".

"وما كانت تقرؤه مايا أيضًا، أحب الحديث عن الكتب معهم، فهم قرّاء كتّاب كما تعلمين. كما أنني أستضيف مجموعة كتّاب لرجال الشرطة الآخرين، ربما تكونين قد رأيت لافتات (نادي اختيار تشيف)؟".

تهزّ إيسماي رأسها.

- "آسف إن كنتُ ثرثارًا، فأنا متوتر كما أظن".

- "أنت جيد"، تحتسي رشفة من شرابها: "هل سبق لك أن قرأت

أيًا من كتب دانيال؟".

- "نعم، قرأتُ أول كتاب له".

- "هل أعجبكَ؟".

- "على الرغم من أنه كان مكتوبًا بصياغة جيدة للغاية، إلّا أنه لم يرق لي".

هزت إيسماي رأسها موافقة.

هل تشتاقين لزوجك؟" يسألها لامبياز.

"ليس تمامًا"، تقول بعد قليل: "أشتاق لحس الفكاهة في بعض الأحيان، ولكن أفضل ما كان فيه حاضرٌ في كتبه، لذا أعتقد أنه يمكنني قراءة هذه الكتب إن اشتقتُ له كثيرًا. على الرغم من أنني لم أكن أرغب في قراءة كتاب واحد حتى الآن". تضحك إيسماي قليلًا.

"ماذا تقرئين إذن؟".

"مسرحيات، ومقطوعات الشعر الغريبة، والكتب التي أُدرِّسُها كل عام؛ مثل: «تس إف ذا أن بيرفل»(76)، ورواية «جوني يمسك بندقيته»(77)، ورواية «وداعًا للسلاح»(78)، ورواية «صلوات لأجل أوين ميني»، ورواية «سايلس مارنر»(79)،

ورواية «عيونهم كانت تحدق نحو الآلهة»، ورواية «أنا أحتل القلعة»، ورواية «مرتفعات وذرينغ»(80). حيث كانت هذه الكتب بمنزلة أصدقائي القدامى.

"عندما أفكر باختيار شيء جديد، حتى لو كان شيئًا مميزًا بالنسبة لي فقط، فإن شخصيتي المفضلة هي امرأة في مكان بعيد، في الهند، أو في بانكوك مثلًا، في بعض الأحيان تترك زوجها، وفي بعض الأحيان لم يكن لديها زوج لأنها عرفت بحكمة أن الحياة الزوجية لن تكون لها، أحب عندما يكون لديها عشاق كثر، وأحب عندما ترتدي القبعات لتُجنِّب بشرتها الفاتحة أشعة الشمس. أحب عندما تسافر ولديها مغامرات، وأحب أوصاف الفنادق وحقائب السفر مع ملصقات عليها. أحب أوصاف الطعام والملابس والمجوهرات، والقليل من الرومانسية، ولكن ليس كثيرا. القصة هي فترة بلا جوالات، وبلا شبكات التواصل الاجتماعي، وبلا إنترنت على الإطلاق. من الناحية المثالية تحاكي العشرينات أو الأربعينات. ربما كانت هناك حرب دائرة، لكنها محض خلفية للظروف، لا سفك للدماء فيها. وبعض الجنس لكن من دون إفراط. ولا يوجد أطفال، فكثيرا ما يفسد الأطفال قصتي".

قال لامبياز: "ما من أطفال لدي".

"لا مانع لدي من وجودهم في الواقع، أنا لا أريد أن أقرأ عنهم فحسب. يمكن أن تكون النهايات سعيدة أو حزينة، لم أعد مهتمة طالما أنّ الربح واقع. يمكنها أن تستقر، أو ربما تفتح نشاطًا تجاريًا صغيرًا، أو

يمكنها أن تغرق نفسها في المحيط. في النهاية ما يهمني هو غلاف جميل المظهر، ولا يهمني مدى جودة المضمون، ولا أريد أن أقضي أي وقت مع كائن بشع. أنا سطحية على ما أعتقد!".

- "أنت فتاة جميلة" يقول لامبياز.

- تقول: "أنا عادية".

- "مستحيل".

- "الجمال ليس سبباً وجيهاً لمحاكمة شخص ما كما تعلم. يجب أن أقول ذلك لطلابي طوال الوقت".

- "هذا من وجهة نظر امرأة لا تقرأ الكتب ذات الأغلفة القبيحة".

- "حسناً، أنا أحذرك. يمكن أن أكون كتاباً سيئاً بغلاف جيد".

- يتأوه: "لقد عرفت القليل من هؤلاء".

- "على سبيل المثال؟".

- "زواجي الأول، كانت زوجتي الأولى جميلة، لكنها وضيعة".

- "لذا، ألا تظن أنك ترتكب الخطأ ذاته مرتين؟".

- "لا، لقد رأيتك على الرف منذ سنين، وقد قرأت الموجز والاقتباسات على ظهر الغلاف؛ معلمة مهتمّة، وعرّابة، وشخصيّة بارزة

في المجتمع، ووصيّة على زوج أختها وابنته، عانت من زواج سيئ، لكنها بذلت ما بوسعها".

- تقول: "موجز هزيل".

- "لكن يكفي أن تجعلني أرغب بالاستمرار في القراءة". ابتسم لها وأردف: "هلّا طلبنا الحلوى؟".

• • •

تقول إيسماي في السيارة وهي في طريقها إلى منزلها: "لم أمارس الجنس منذ فترة طويلة حقًا".

"حسنًا" يقول لامبياز.

"أعتقد أننا يجب أن نمارس الجنس" توضح إيسماي: "أقصد، إذا كنت ترغب بذلك".

"أرغب بذلك" يقول لامبياز: "بشرط ألّا يعني هذا عدم حصولي على موعد ثانٍ، لا أريد أن أكون محض حب عابر".

تضحك له وتقوده إلى غرفة نومها، تخلع ملابسها والأنوار مُضاءة؛ لأنها تريده أن يرى شكل امرأة تبلغ من العمر 51 عامًا.

يطلق لامبياز صفرة خفيضة.

تقول: "أنت لطيف، لكن كان يجب أن تراني من قبل، من المؤكد أنك ترى الندبات الآن".

تمتد ندبة طويلة من ركبتها إلى وركها، يمرر لامبياز إبهامه على طولها، إنها تبدو مثل شقٍ على دمية. يقول: "نعم، إني أراها، لكنها لم تسلب منك أيّما شيء".

كانت قد كُسِرت ساقها في خمسة عشر مكانًا، وتعين عليها استبدال مفصل الحوض الأيمن، لكنها كانت جميلة، ولمرة واحدة في حياته تحمّل دانيال وطأة التأثير.

"هل تؤلمك كثيرًا؟" سألها لامبياز: "هل عليّ أن أكون حذراً؟".

تهز رأسها وتطلب منه خلع ملابسه.

في الصباح، تستيقظ قبله، وتقول: "سأحضر لك وجبة الإفطار". أومأ برأسه، ثم قبلته على رأسه الحليق.

سألته: "هل تحلق رأسك لأنك أصلع أم لأنك تحب هذا الطّرز؟".

أجاب لامبياز: "قليل من كليهما".

تضع منشفة على السرير، ثم تغادر الغرفة. يأخذ لامبياز وقته ليستعد. يفتح درج منضدة وينظر في أشيائها، لديها مستحضرات غالية الثمن تشبه رائحتها، تتلطخ يداه ببعض منها. يفتح خزانة ملابسها، ثمة فساتين حريرية، وبلوزات قطنية مكويّة، وتنانير من الصوف،

وسترات رقيقة مصنوعة من قماش الكشمير. كل شيء بظلال أنيقة بهيجة اللون ورمادية، وملابسها نظيفة جداً. ينظر إلى الرف العلوي للخزانة، حيث صفّت أحذيتها بعناية في صناديقها الأصلية، وفوق أحدها لاحظ وجود حقيبة ظهر تعود لطفلة صغيرة وبلون الأميرات الوردي.

بعيون شرطي يرى أن حقيبة الطفلة غير متجانسة مع المكان بطريقة أو بأخرى، يعلم أنه لا ينبغي عليه ذلك، لكنه يسحبها إلى الأسفل ويفتحها، يجد في الداخل حقيبة بسحاب، تحوي ألواناً واثنين من دفاتر التلوين، يلتقط واحداً منهما، فيجد أنه كُتب على المقدمة (مايا). ووراء دفتر التلوين شيء آخر، بسيط، وأشبه بكُتيب. ينظر لامبياز إلى الغلاف:

....

تيمورلنك

و

قصائد أخرى

....

بقلم رجل من بوسطن

....

علامات التلوين خدشت الغلاف.

لامبياز لا يعرف ما الذي يفعله.

حثّه دماغه بعقليته الشرطية على الأسئلة الآتية: (1) هل هذا كتّاب فكري تيمورلنك المسروق؟ (2) لماذا يكون تيمورلنك في حوزة إيسماي؟ (3) من عبث بكتّاب تيمورلنك ومن لوّنه؟ مايا؟ (4) لماذا تيمورلنك في حقيبة تحمل اسم مايا؟

كان على وشك الجري نحو الطابق السفلي للمطالبة بتفسير من إيسماي، لكنه بعد ذلك غيّر رأيه، ونظر إلى المخطوطة القديمة لفترة أطول.

كان بإمكانه شم رائحة الفطائر من المكان الذي يجلس فيه، كما كان بإمكانه تخيلها في الطابق السفلي وهي تحضرها. من المحتمل أنها ترتدي مريلة بيضاء ولباس نوم حريري، أو ربما ترتدي المريلة ولا شيء سواها، سيكون ذلك مثيرا، وربما يمكنهم ممارسة الجنس مرة أخرى. لكن ليس على طاولة المطبخ، إذ ليس من المريح ممارسة الجنس على طاولة المطبخ بغض النظر عن مدى جاذبيته في الأفلام. ربما على الأريكة، وربما يعودان إلى الطابق العلوي. كان فراشها ناعما جدا، ولا بد أن يكون عدد خيطان الشراشف بالآلاف. لامبياز يفخر بكونه شرطيا جيدا، وهو يعلم أنه يجب عليه الآن النزول إلى الطابق السفلي وتقديم عذر لها يبين فيه سبب اضطراره للذهاب.

ولكن هل هذا صوت عصر برتقال؟ هل تُسَخّن الشراب أيضًا؟

الكتّاب معبوث به.

إلى جانب ذلك، لقد سُرق منذ وقت طويل، منذ أكثر من عشر سنوات حتى الآن.

فكري حظي بزواج سعيد، ومايا استقرت، وإيسماي تعاني.

ناهيك من كونه يحب هذه المرأة حقًا، وليس هذا الأمر من أعمال لامبياز على أي حال. أعاد الكتّاب إلى حقيبة الظهر وأغلق السحاب، وأعاد الحقيبة مرة أخرى إلى حيث وجدها.

يعتقد لامبياز أنّ رجال الشرطة يتخذون أحد منحَيَين مع تقدمهم في السن؛ إما الحصول على مزيد من النفوذ أو على القليل منه. لامبياز ليس حازمًا كما كان في شبابه. لقد وجد أن الناس يفعلون كل أنواع الأشياء، وعادة ما يكون لديهم أسبابهم.

نزل إلى الطابق السفلي وجلس على كرسي أمام طاولة المطبخ المستديرة والمغطاة بمفرش أبيض لم يشاهد مثله من قبل على الإطلاق. وقال: "رائحة زكيّة".

"من الجيد أن يكون لديك شخص يطهو لك الطعام، لقد بقيت في الأعلى لفترة طويلة" تقول ذلك وهي تملأ له كأسًا من عصير البرتقال الطبيعي. كانت ترتدي مريلة فيروزيّة اللون، وملابس التمارين السوداء.

"هل قرأتِ قصة مايا القصيرة التي قدمتها للمسابقة؟ شعرت أنها كانت متأكدة من الفوز".

تقول إيسماي" لم أقرأها بعد".

يقول لامبياز: "إنها بشكل جوهري عن إصدار مايا لليوم الأخير من حياة والدتها".

"إنها ناضجة جدًا" تقول إيسماي.

"كنتُ أتساءل دائمًا لماذا اختارت والدة مايا (أليس)".

قلبت إيسماي فطيرة، ثم أتبعتها بأخرى، قائلةً: "من يدري ماذا يحلو للناس، ولماذا يفعلونه؟".

---

(73) من أنواع الكمان. (المترجم).

(74) صوت ازدراء. (المترجم).

(75) مسرحية من أصل ثلاثة أعمال مسرحية عُرِضت في عام ١٩٣٨ للكاتب المسرحي الأمريكي (ثورنتون ويلدر)، وتحكي عن بلدة جروفر الصغيرة الخيالية في أمريكا بين عامي ١٩٠١ و١٩١٣ من خلال الحياة اليومية لقاطنيها. (المترجم)

(76) رواية لتوماس هاري، تتحدث عن فتاة شابة أقنعها رجل من طبقة اجتماعية

أعلى بممارسة الجنس معه، وفي النهاية تشنقه عقابًا له على جريمته. (المترجم)

(77) للروائي الأمريكي دالتون ترومبو، رواية مناهضة للحرب مستوحاة من جندي كندي يفقد أطرافه في الحرب العالمية الأولى.

(78) إرنست هيمنغواي، رواية تتحدث عن الحرب العالمية الأولى. (المترجم)

(79) للكاتب جورج إيليوت ١٨٦١. (المترجم)

(80) من أشهر إنجازات الروائية إيميلي برونتي. (المترجم)

الرأس الحديدي
إيمي بندر / 2005

للعلم، كل شيء جديد ليس أسوأ من كل شيء قديم.

الآباء والأمهات برؤوسهم المصنوعة من القرع أنجبوا طفلًا برأس مصنوع من الحديد. كنت أفكر في هذا الأمر مؤخرًا؛ لأنني أفترض أنه سيكون من الأسباب الواضحة للغاية!

فكري.

ملاحظة: أجدُ نفسي أفكر في (رصاصة في الدماغ)، بقلم توبياس وولف. ربما ستولي قراءته اهتمامًا أيضًا.

يجلب عيد الميلاد والدة فكري التي لا تشبهه؛ (بولا) امرأة بيضاء البشرة، ناعمة، لها شعر طويل أشيب، لم تقصه منذ تقاعدها من عملها في شركة الحواسيب منذ عقد من الزمن. وقد حققت أقصى استفادة من تقاعدها في ولاية أريزونا، حيث حوّلت بعضًا من القطع الصخرية إلى جواهر عن طريق طلائها، كما أنّها تُعلِّم في برنامج محو الأمية للسجناء، وأنقذت أقوياء البنية السيبيريين. وكانت تحاول الذهاب إلى مطعم جديد كل أسبوع، كما أنّها تواعد بعض النساء والرجال، وأقحمت نفسها بالمخنثين من دون أن تولي اهتمامًا كبيرًا لهذا الأمر. باولا الآن تناهز السبعين من عمرها، وتعتقد أنها إنْ لم

تقحم نفسك بتجارب جديدة فسوف تموت. جاءت مُحمّلة بثلاث هدايا مغلّفة ومجهزة تجهيزٍ متماثلًا للعائلة، وقالت إن ما دفعها إلى اختيار الهدية نفسها لثلاثتهم ليس عدم الاكتراث. قالت: "أعتقد أن هذه الهدية ستقدرها الأسرة بأكملها وستستفيد منها".

عرفت مايا ما الهدية قبل أن تختلس النظر إليها من خلال الغلاف.

لقد رأت مثلها في المدرسة، ويبدو أن الجميع تقريبًا لديهم هذه الأيام واحدة منها، لكن والدها لا يوافق على ذلك. تمهّلت وهي تفتحها لإتاحة الوقت لمعرفة ردّة الفعل التي من شأنها أن تقلل الإساءة إلى جدتها ووالدها.

"قارئ إلكتروني! لقد رغبتُ في واحد منذ فترة طويلة حقًا". تطلق نظرة سريعة على والدها، يهز رأسه، على الرغم من أن حاجبيه يقتربان من بعضهما قليلًا. "شكرًا جدّتي". تقبّل مايا جدتها على خدها.

"شكرًا لك" قالت إميليا. لديها بالفعل قارئ إلكتروني للعمل، لكنها تحتفظ بهذه المعلومات لنفسها.

ما إن يرى فكري الهدية، سيقرر التوقف عن فتحها، وسيفكر أنه إذا احتفظ بها في غلافها، فربما يمكنه أن يعطيها لشخص آخر. "شكرًا لك يا أمي" قال فكري ثم عض لسانه استياءً.

- لاحظت والدته، وقالت: "إنك مستاء يا فكري".

- يصرّ فكري قائلًا: "لا".

- "عليك مواكبة العصر" نتابع قائلة.

"لماذا يجب عليَّ ذلك؟ ما الأمر العظيم الذي تحققه لي مواكبة العصر؟" غالبًا ما تكون ردّة فعل فكري هكذا. شيئًا فشيئًا كل الأشياء المُثلى في العالم بدأت تنسلخ عنه كانسلاخ الشحم عن اللحم. أول ما اختفى استوديوهات التسجيلات، ثم استوديوهات الفيديو، ومن ثم الصحف والمجلات، والآن حتى متاجر الكتب الكبيرة الحجم تختفي من كل مكان تنظر إليه. من وجهة نظره كان الشيء الوحيد الأسوأ من عالم فيه سلسلة مكتبات كبيرة؛ هو عالم لا يوجد فيه سلسلة مكتبات كبيرة. على الأقل تبيع المتاجر الكبيرة الكتب، وليس الأدوية أو الخشب! على الأقل بعض الأشخاص الذين يعملون في تلك المتاجر يحملون شهادات في الأدب الإنجليزي، ويعرفون كيفية قراءة الكتب والعناية بها من أجل الأشخاص الآخرين! على الأقل يمكن أن تبيع المتاجر الكبيرة عشرة آلاف مجموعة من سجلات الناشرين، بحيث يمكن أن تبيع جزيرة مئة مجموعة من كتب الخيال الأدبي.

"إن أسهل طريقة لبلوغ الشيخوخة هي أن تتخلف عن الركب من الناحية التكنولوجية يا فكري". بعد خمسة وعشرين عامًا من العمل على الحاسوب، كانت والدته قد حصلت على معاش محترم، وهذا أحد الآراء التي يُفكر فيها فكري تفكيرًا خاطئًا.

أخذ فكري نفسًا عميقًا، ورشفة طويلة من الماء، ثم نفسًا عميقًا آخر، شعر بأن جمجمته تضيق على دماغه. قلّما كانت تزوره والدته، ولا يريد أن يفسد هذا اللقاء.

"أبي، إن لون بشرتك يحمرّ" قالت مايا.

"فكري، هل من خطب ما؟" تسأله والدته.

يضرب بقبضته على طاولة القهوة، ويسألها: "أمي، هل تفهمين أن هذه الآلة الشيطانيّة لن تُدمّر أعمالي وحدها فحسب، بل إن الأسوأ من ذلك أنها ستودي بقرون من الثقافة الأدبية النابضة بالحياة إلى تراجع سريع وغير مألوف؟".

تقول إميليا: "إنك تتصرف بطريقة هستيرية. اهدأ".

"لماذا عليَّ أن أهدأ؟ أنا لم تعجبني الهدية. أنا لا أحب هذا الشيء ومتأكد بأنّني لا أحب أن يوجد ثلاثة منه في منزلي. كنت أفضّل لو اشتريتِ لابنتي شيئًا أقل تدميراً كغليون مخدرات".

ضحكت مايا.

بدت والدة فكري وكأنها ستبكي، وقالت: "حسنًا، أنا لم أكن أريد أن أزعج أحداً".

قالت إميليا: "إنها هدية جميلة، كلنا نحب القراءة، وأنا متأكدة من أننا سنستمتع باستخدامها كثيرًا بالرغم من غضب فكري".

قالت والدته: "أنا آسفة يا فكري، لم أكن أعلم أن لديك تعصباً حيال هذه المسألة".

"كان بإمكانكِ أن تسألي!".

"اسكت يا فكري، توقفي عن الاعتذار يا سيدتي. إنها هدية مثالية لعائلة من القرّاء، ستتعرف إلى كثير من المكتبات المهتمة ببيع الكتب الإلكترونية إلى جانب الكتب الورقية التقليدية. فكري فقط لا يريد...".

قال فكري مُقاطِعًا: "أنت تعرفين أن هذا هراء يا إيمي!".

ردّت إميليا: "إنك فظ جدًّا، لا يُمكنك أن تدسّ رأسك في الرمال ونتصرف وكأن القرّاء الإلكترونيين غير موجودين. هذه ليست طريقة للتعامل مع أي شيء".

"هل تشمّون رائحة دخان؟" سألت مايا.

وبعد لحظات، سُمِعت صفارات إنذار الحريق.

"يا للجحيم!" تقول إميليا. "البريسكيت!(81)" هرعت إلى المطبخ وتبعها فكري. "لقد كان هاتفي مضبوطًا لكنه لم يرن".

"لقد وضعتُ هاتفكَ في وضع الصامت حتى لا يفسد عيد الميلاد!" يقول فكري.

"ماذا فعلت؟ توقف عن لمس هاتفي".

"لماذا لا تستخدمين المؤقت الذي في الفرن؟".

"لأنني لا أثق به! إن عمر هذا الفرن نحو مئة عام مثل أي شيء آخر في هذا المنزل إن لم تلاحظ". تصيح إميليا وهي تزيل (البريسكيت) المحترقة من الفرن.

ولأن طبق البريسكيت احترق، فإن وجبة عيد الميلاد تضمّنت المقبلات فقط.

قالت أم فكري: "أنا أحب الأطباق الجانبية أكثر".

أضافت مايا: "وأنا كذلك".

"إن لم يكن هناك أطباق أساسيّة" يُتمتِم فكري: "فستتركُكَ الأطباق الجانبية جائعاً".

يعاني فكري من الصداع، لذا يشرب عدة أكواب من النبيذ الأحمر.

"هل من شخص ما يطلب من فكري أن يمرر النبيذ؟" قالت إميليا: "وهل من شخص ما يُخبره أنه يحتكر الزجاجة؟".

"تصرف صائب" يقول فكري وهو يقوم بملء كوب آخر لها.

"أنا بصراحة لا أستطيع الانتظار لتجربتها يا جدّتي" تهمس مايا لجدتها الطاعنة في السن. "سأنتظر حتى أذهب للنوم" ترمق فكري بعينيها قائلة: "أنت تعرفين ذلك".

"أعتقد أنّها فكرة جيدة للغاية" تهمس والدة فكري لمايا.

• • •

في تلك الليلة في السرير، ظلَّ فكري يتحدّث عن القارئ الإلكتروني.

سأل: "هل تعرفين المشكلة الحقيقية لهذه البدعة؟".

تقول إميليا من دون أن ترفع نظرها عن كتابها الورقي: "أفترض أنك على وشك أن تخبرني".

"يعتقد الجميع أن لديهم ذائقة جيدة، لكن معظم الناس لا يتحلون بذائقة جيدة. في الحقيقة، إنّ معظم الناسٍ لديهم ذوق بشع، حتى عندما يتركون الأجهزة الخاصة بهم -حرفيًا الخاصة بهم - يقرؤون هراء ولا يعرفون الفرق".

"هل تعرف ما هو الشيء الجيد بالنسبة للقرّاء الإلكترونيين؟ "تسأل إميليا.

"لا، سيدة برايت سايد" يقول فكري: "ولا أريد أن أعرف".

"حسنًا، بالنسبة لأولئك، ولمن هم معنا ولهم أزواج يُصابون بمدّ النظر، ولن أذكر أي أسماء هنا، لأولئك، لمن هم معنا وأصبحوا في منتصف العمر بسرعة ويفقدون بصرهم، ولأولئك المثقلات بأنصاف الرجال المثيرين للشفقة...".

"ادخلي بصلب الموضوع يا إيمي!".

"القارئ الإلكتروني يسمح لهذه المخلوقات اللعينة بتوسيع النص بقدر ما يحلو لهم".

لم يقل فكري شيئًا.

تضع إميليا كتابها لتبتسم بشكل مغرور لزوجها، لكن عندما تنظر إليه تراه منشغلًا. فكري يعاني من إحدى حكاياته، والحكايا تزعج إميليا، على الرغم من أنها تذكّر نفسها بعدم القلق.

بعد دقيقة ونصف، يقول فكري: "كنت دائمًا أعاني من مد النظر نوعًا ما، ولا يتعلق الأمر بكوني في منتصف العمر".

تمسح اللعاب عن زوايا فمه بمنديل.

- "بحق المسيح، هل فقدتُ وعيي؟" سأل فكري.

- "نعم".

يأخذ المنديل من إميليا، فهو ليس من الرجال الذين يحبون أن تميل إليه بهذه الطريقة، ويسألها: "كم من الوقت؟".

- "أعتقد أنه تسعون ثانية".

تصمت إميليا

- "هل تُعد هذه فترة طويلة أم متوسطة؟".

- "ربما طويلة بعض الشيء ولكنها متوسطة بشكل عام".

- "هل تعتقد أنه عليك إجراء فحوصات؟".

- "لا" يقول فكري: "أنتِ تعرفين أنني أجريت هذه الفحوصات منذ أن كنت (ثفلاً)".

- "ثفلاً؟" تسأل.

- "ماذا قلت، طفلاً؟". يغادر فكري السرير متجهاً نحو الحمام، ثم تتبعه إميليا.

- "من فضلك إيمي اتركيني بمفردي قليلاً".

- "لا أريد أن أتركك".

- "حسناً".

- "أريدك أن تذهب إلى الطبيبة، هذه المرة الثالثة منذ عيد الشكر".

يهز رأسه: "التأمين الصحي الخاص بي حماقة، عزيزتي إيمي، ستقول الطبيبة روزن إنه الشيء نفسه الذي كان لدي منذ سنوات. سأذهب إلى الطبيبة في مارس / آذار من أجل تقريري السنوي كما أفعل دائماً".

تدخل إميليا الحمام: "ربما يمكن للطبيبة روزن أن تعطيك دواءً جديداً؟" تحشر نفسها بينه وبين مرآة الحمام، وتستريح بمؤخرتها السخية على المنضدة المزدوجة الجديدة التي ركّبوها الشهر الماضي.

- "أنت مهم للغاية يا فكري".

- ردَّ ردًّا قاطعًا: "أنا لست الرئيس بالضبط".

- "أنت والد مايا، وحب حياتي، ومنهل ثقافة لهذا المجتمع".

يقلب عينيه، ثم يُقبّل إميليا على الطرف البرّاق من فمها.

• • •

انتهى عيد الميلاد ورأس السنة، وعادت والدته بسعادة إلى أريزونا، مايا عادت إلى المدرسة وإميليا للعمل. الهدية الحقيقية لموسم العطلات كما يعتقد، انتهت. يحب الروتين، يحب تحضير الإفطار في الصباح. ويحب الجري إلى العمل.

كان يرتدي ملابس الجري، ثم يتمطّى بكسل، يلف وشاحًا على أذنيه، ويحزم حقيبة ظهره، ويستعد للجري إلى المتجر. الآن لم يعد يعيش فوق المتجر، فإن طريقه يأخذه في الاتجاه المعاكس للطريق الذي اعتاد أن يتخذه عندما كانت نيك على قيد الحياة، وعندما كانت مايا طفلة في السنوات الأولى من زواجه من إميليا.

كان يجري مقابل منزل إيسماي، الذي كانت تتقاسمه ذات مرة مع دانيال، والآن تتشاركه مع لامبياز بشكل غير لائق. يركض مقابل المكان الذي مات فيه دانيال أيضا، وأصبح مقابل استوديو الرقص القديم. ماذا كان اسم معلمة الرقص؟ كان يعلم أنها انتقلت إلى كاليفورنيا منذ وقت ليس ببعيد، واستوديو الرقص خال الآن. يتساءل من الذي سيعلم الفتيات الصغيرات في جزيرة أليس الرقص؟ واصل ركضه مقابل مدرسة مايا الابتدائية ومدرستها الإعدادية ومدرستها الثانوية. لديها حبيب اسمه فورنيس، وهو كاتب، يسمعهما يتجادلان طوال الوقت. يسلك طريقًا مختصرًا عبر أحد الحقول، ويكاد يمر عبره إلى شارع (الكابتن ويغنز) عندما يغمى عليه.

تصل درجة الحرارة إلى العشرين، وعندما يستيقظ تكون يده زرقاء اللون لأنها استقرت على الجليد. يقف ويدفئ يديه بسترته. لم يسبق له أن فقد وعيه في منتصف الجري من قبل.

"سيدتي أولينسكا" يقول.

تجري الطبيبة روزن له فحوصات شاملة. فكري يتمتع بصحة جيدة بالنسبة لعمره، ولكن هناك شيء غريب يخص عينيه، ويؤدي إلى صمت الطبيبة.

"هل عانيت من أي مشكلة؟" تسأله.

أجاب: "حسنًا.. ربما كبرت في السن، ولكن في الآونة الأخيرة يبدو أن لدي خللًا لفظيًا بين الحين والآخر".

"خلل؟" تقول.

"أجد أنني لست بهذا السوء، لكنني أحياناً أبْدل كلمة بأخرى. على سبيل المثال (تشايلد) بـ (تشايف)، أو مثلًا في الأسبوع الماضي نطقت (غرابس أوف راث) بـ (غراب فروت راغ)، ومن الواضح أن هذا يمثل مشكلة في خط عملي، فقد شعرت أنني كنت أقول اللفظ الصحيح، وكنت مقتنعًا تمامًا. وزوجتي تعتقد أنه قد يكون هناك دواء مضاد لمثل هذه النوبات، ويمكن له أن يساعدني".

"احتباس الكلام" تقول: "لا أحب سماع ذلك". بالنظر إلى تاريخ النوبات قررت الطبيبة إرساله إلى أخصائي بالدماغ في بوسطن.

يسألها فكري كطريقة لتغيير الموضوع: "كيف حال مولي؟". مندوبة المبيعات البذيئة، إذ لم تعمل لديه منذ ست أو سبع سنوات.

"لقد قُبِلَت بـ..." سَمّت الطبيبة برنامجًا للكتابة، لكن فكري لم ينتبه. كان يفكر بدماغه. من المذهل أنه من الغريب استخدام الشيء الذي قد لا يعمل للنظر في الشيء الذي لا يعمل. وأردفت الطبيبة: "... تعتقد أنها سوف تكتب الرواية الأمريكية العظمى، أما أنا فقد ألقيت باللوم عليك وعلى نيكول".

"المسؤولية الكاملة" يقول فكري.

ورم أرومي دبقي متعدد الأشكال.

"هل تمانعين في تهجئتها لي؟" سأل فكري. لم يُحضِر معه أحداً إلى هذا الموعد. لم يكن يريد أن يعرف أحد قبل أن يتأكد. "أود أن أبحث عن ذلك لاحقًا عبر غوغل".

السرطان نادر جدًا لدرجة أن أخصائي الأورام في مستشفى ماساتشوستس العام لم يسبق أن رأى حالة في أي منشور آخر غير المنشورات العلمية، ومرة واحدة في مسلسل تلفزيوني في (تشريح المنطقة الرمادية).

- "ماذا حدث للحالة التي في المنشور؟" سأل فكري.

- "الموت بعد سنتين" يقول طبيب الأورام.

- "سنتان جيدتان؟".

- "سنة جيدة كما قلت".

يذهب للرأي الثاني: "وفي المسلسل التلفزيوني؟".

يضحك طبيب الأورام، ثم يتابع بسلسلة صاخبة من الضحك تبين أنه مصمم أن تكون أعلى الأصوات في الغرفة. انظر، السرطان مضحك. "لا أعتقد أننا يجب أن نجري تنبؤات بناءً على المسلسلات التلفزيونية يا سيد فكري".

- "ماذا حدث؟".

- "أعتقد أن المريض قد خضع لعملية جراحية، وعاش لحلقة أو اثنتين، كان بمأمن، - حسب اقتراح صديقته الطبيبة - إلا أنه أصيب بنوبة قلبية على ما يبدو لا علاقة لها بسرطان الدماغ، وتوفي في الحلقة التالية".

- "أوه".

- "أختي تكتب للتلفزيون، وأعتقد أن كتّاب التلفزيون يصفون هذا بالثلاثية".

- "لذلك يجب أن أتوقع أن أعيش في مكان ما بين ثلاث حلقات، وسنتين".

- ضحك طبيب الأورام مرة أخرى. "حسن، شعور الفكاهة هو المفتاح، أود أن أقول إن هذا التقدير يبدو صحيحاً". يريد طبيب الأورام تحديد موعد للجراحة على الفور.

- "على الفور؟".

- "الأعراض الخاصة بك حُجبت عن طريق النوبات يا سيد فكري، وتبين من الفحوصات أن هذا الورم متقدم جداً. لن أنتظر لو كنت مكانك".

ستكلف العملية الجراحية ما يقرب من تكلفة الدفعة الأولى لمنزلهم. ليس من الواضح كم سيغطي تأمين فكري الضئيل للشركات الصغيرة. "إذا أجريت العملية الجراحية، فكم من الوقت أحتاج لأجهز المبلغ؟"

يسأل فكري.

"يعتمد على مدى قدرتنا على السيطرة عليه. عشر سنوات، إذا تمكنا من تطهير الهوامش. ربما سنتان، إن لم يكن. هذا النوع من الأورام الذي تعاني منه له ميل مزعج للنمو مرة أخرى".

"وإذا حالفنا الحظ ونجحنا في استئصاله والتخلص منه، فهل سأعيش في حالة من السبات أو الفقدان الجزئي للذاكرة؟"

"سيد فكري، لا أود التحدث باستخدام مصطلحات مثل (السبات أو فقدان الذاكرة)، فهو موجود لديك في الفص الجبهي الأيسر، لذا من المحتمل أن تلاحظ العجز اللفظي في بعض الأحيان، وزيادة في فقدان القدرة على الكلام، وما إلى ذلك. لكننا لن نتركك وحدك. وبالطبع إذا تُركت من دون علاج، فإن الورم سينمو حتى يختفي مركز اللغة في عقلك. سواء عالجناه أم لا، فإن هذا سيحدث على الأرجح، وفي نهاية المطاف سيحدث على أية حال".

الغريب في الأمر أن فكري يفكر في (بروست) (82). على الرغم من أنه يتظاهر بأنه قرأ كل شيء، إلا أنه لم يقرأ سوى المجلد الأول من كتاب البحث عن الوقت الضائع (83). لقد كان من الصعب قراءة هذا القدر، والآن يعتقد أنه {لن يضطر إلى قراءة ما تبقّى أبدًا}. يقول: "يجب أن أناقش الأمر مع زوجتي وابنتي".

"نعم، بالطبع" يقول طبيب الأورام: "لكن لا نتأخر كثيرًا".

في القطار، ثم في العبارة العائدة إلى أليس، فكر في كُليّة مايا وقدرة إميليا على دفع رهن المنزل العقاري الذي اشترته قبل أقل من عام. بحلول الوقت الذي كان يسير فيه في شارع (كابتن ويغينز) قرر أنه لا يستطيع إجراء مثل هذه الجراحة إذا كان ذلك يعني ترك أعز ما عنده. فكري لا يريد حتى الآن مواجهة عائلته في المنزل، لذلك اتصل بـ لامبياز، والتقيا في البار.

- "أخبرني قصة شرطي جيد" يقول فكري.

- "أتقصد قصة عن شرطي جيد، أم قصة مثيرة للاهتمام تتحدث عن ضباط الشرطة؟".

- "أيّما قصّة. الخيار لك. أريد أن أسمع شيئاً مسليًّا يلهيني عن مشكلاتي".

- "ما مشكلاتك؟ زوجة مثالية؟ أم طفل مثالي؟ أم عمل جيد؟".

- "سأخبرك بعد ذلك".

يهز لامبياز رأسه موافقًا: "حسنًا، دعني أفكر. ربما قبل خمسة عشر عامًا كان هناك طفل يذهب إلى أليكّاون، لكنه لم يذهب إلى المدرسة لمدة شهر، وكل يوم يخبر والديه بأنه سيذهب ولا يذهب، حتى لو تركوه هناك، فإنه يتسلل ويذهب إلى مكان آخر".

- "إلى أين يذهب؟".

"اعتقد الأهل أنه متورط في بعض المشكلات الخطيرة، كان طفلًا صلبًا، ويتسكع مع ثلة قوية. جميعهم تحصيلهم الدراسي متدنٍ، ويرتدون بناطيل متدلّية. يدير والداه منصة طعام على الشاطئ، لذا ما من مالٍ كافٍ لديهم. على أي حال، نفدت حكمة والديه، لذلك قررتُ متابعة الطفل طوال اليوم. كان الطفل يذهب إلى المدرسة، وبين الحصة الأولى والثانية يغادرِ، تعقبته، وأخيراً وصلنا إلى مبنى لم أذهب إليه من قبل، كنتُ في (مَين وباركر). هل تعرف أين أنا؟".

- "هذه المكتبة".

- "(البنغو) (84). أنت تعرف أنني لم أقرأ الكثير في ذلك الوقت، لذا أتابعه على الدرج وبين رفوف المكتبة في الخلف وأفكر، ربما سيتعاطى مخدرات أو شيئًا ما هناك. المكان مثالي، أليس كذلك؟ معزول. لكن هل تعرف على ماذا حصل؟".

- "أتوقع أنه يبحث عن كتاب! هذا هو الشيء الواضح، أليس كذلك؟".

- "لديه كتاب سميك واحد، كان في منتصف رواية مزحة بلا نهاية. هل سمعت بها من قبل؟".

- "أنت الآن تلفق هذا".

"الصبي يقرأ رواية مزحة بلا نهاية. يقول إنه لا يستطيع فعل ذلك في المنزل لأنه لديه خمسة أشقاء، ولا يمكنه فعل ذلك في المدرسة

لأن رفاقه يسخرون منه، لذلك يتخطى المدرسة للذهاب كي يقرأ بهدوء. الكتاب يتطلب كثيرًا من التركيز. يقول: "اسمع يا رجل، لا يوجد شيء بالنسبة لي في المدرسة، كل شيء موجود في هذا الكتاب".

- "أظن أنه لاتيني الأصل كونك استخدمت كلمة (يا رجل). هل يوجد كثير من الناس من أصل إسباني في جزيرة أليس؟".

- "لا، القليل".

- "إذن، ماذا فعلت؟".

"أخذته إلى المدرسة، وسألني المدير عن كيفية معاقبة الطفل، فسألت الطفل كم من الوقت يعتقد أنه سيستغرق حتى ينتهي من قراءة الكتاب. قال: "نحو أسبوعين". ولذا أوصيت بأن يمنح إجازة لمدة أسبوعين بسبب انحرافه".

يقول فكري: "أنت تلفق ذلك قطعًا. اعترف بذلك. لم يكن الشاب المضطرب يتخطى المدرسة لقراءة "مزحة بلا نهاية".

"أقسمُ بالله كان كذلك يا فكري". ولكن بعد ذلك انفجر لامبياز بالضحك: "يبدو أنك مكتئب. أريد إخبارك بقصة صغيرة".

"شكرًا. شكرًا جزيلًا ".

يطلب فكري كأسًا آخر من البيرة.

- "ماذا تريد أن تخبرني؟".

- "من المضحك أن تذكر رواية مزحة بلا نهاية. بالمناسبة، لماذا اخترت هذه الرواية بالذات؟".

- "لأنني دائمًا أراها في المتجر، إنها تشغل مساحة كبيرة على الرف".

هز فكري رأسه: "تجادلت ذات مرة مع صديق لي حول هذا الموضوع. لقد أعجب بها، وأنا كرهتها. لكن الشيء الأكثر طرافة في هذا الجدال هو... ".

"نعم؟".

"لم أنته من قراءتها" يضحك فكري: "تلك الرواية وكتاب (بروست) يمكن أنَ يندرجا في قائمتي من الأعمال غير المكتملة. الحمد لله. بالمناسبة، مخي تضرر". يُخرج قصاصة ورقية ويقرأ: "ورم أرومي دبقي متعدد الأشكال. إنه يحولك إلى شيء فاسد ثم تموت، لكن الأمر على الأقل سريع".

يضع لامبياز البيرة، ويقول: "لا بد أن تكون هناك عملية جراحية أو شيء ما".

"نعم، لكنها تكلف مليار دولار، وهي تؤخر الأشياء التي ستحدث على أي حال. لن أترك إيمي ومايا مفلسات لإطالة أمد حياتي لمدة

شهرين".

ينهي لامبياز بيرته. يشير إلى نادل آخر. يقول لامبياز: "أعتقد أنه يجب عليك السماح لهم بأن يقرروا بأنفسهم".

- "ستكونان عاطفيتين" يقول فكري.

- "دعهما كذلك".

- "الشيء الصحيح الذي عليّ فعله - كما قلت - هو أن أعطّل دماغي".

- هز لامبياز رأسه: "هل ستفعل ذلك مع مايا؟".

- "كيف يكون من الأفضل لها أن يكون أبوها متعطل الدماغ ولا مال لديها من أجل التحاقها بالكُلّيّة؟".

في تلك الليلة في السرير، بعد أن انطفأت الأنوار، يقرّب لامبياز إيسماي إليه ويقول: "أحبك، أريدك أن تعرفي أنني لا أُقيّمُكِ بناء على أي شيء كنتِ قد فعلته في الماضي".

"حسناً"، تقول إيسماي: "أنا نصف نائمة ولا أعرف ما الذي تتحدث عنه".

"رأيت الحقيبة الموجودة في الخزانة" يهمس لامبياز: "أعرف أن الكتاب موجود هناك، ولا أعرف كيف وصل إلى الحقيبة ولا

أريد أن أعرف ذلك أيضًا، لكن من الصواب أن يُعاد إلى مالكه الشرعي".

تقول إيسماي بعد صمت طويل: " لقد تضرر الكتاب".

يقول لامبياز: "لكن حتى (تيمورلنك) التالف ربما ما يزال يستحق شيئًا ما. لقد بحثت في موقع (كريستي) عبر الإنترنت وبيعت آخر نسخة في السوق مقابل خمسمئة وستين ألف دولار، لذلك أتصور أن النسخة المتضررة تستحق خمسين ألفًا، أو ما يقرب من هذا، وفكري وإيمي الآن يحتاجان إلى المال".

"لماذا يحتاجان إلى المال؟".

أخبرها عن مرض فكري وإصابته بالسرطان، فغطّت إيسماي وجهها بيديها.

يقول لامبياز: "الطريقة التي أرتئيها هي أن نمسح بصمات الأصابع الموجودة على الكتاب ونضعه في مغلّف ونعيده. يجب ألا يعرف أحد من أين جاء أو من جاء به".

تشغل إيسماي المصباح بجانب السرير: "منذ متى وأنت تعرف هذا؟".

"منذ الليلة الأولى التي قضيتها في منزلك".

"وأنتَ، ألم تهتم؟ لماذا لم تخبرني؟" كانت عيون إيسماي حادّة.

"لأنه ليس عملي يا إيسماي. لم أُدْعَ إلى منزلك بوصفي موظفًا قانونيًا، وليس لي الحق في النظر إلى الأشياء الخاصة بك، وأنا أحسب أنه لا بد أن هناك قصة ما. أنتِ امرأة طيبة، ولم يكن ما مررتِ به سهلًا عليك".

"تجلس إيسماي، ترتعش يداها، تمشي نحو الخزانة وتسحب الحقيبة، وتقول: "أريدك أن تعرف ما حدث".

يقول لامبياز: "لا أريد ذلك".

"من فضلكَ، أريد أن أخبركَ ولا تقاطعني. إذا قاطعتني، فلن أتمكن من استذكار كل شيء".

"حسنًا يا إيسماي" يقول.

في المرة الأولى التي جاءت فيها ماريان والاس لرؤيتي، كنت حاملاً في شهري الخامس، وكانت معها مايا، وعمرها عامان تقريبًا. كانت ماريان والاس صغيرة للغاية وجميلة جدًا، وذات عيون ذهبية وبنية اللون. قالت: "مايا هي ابنة دانيال"، فقلت لها: "وأنا لست فخورة بذلك! وكيف أعرف أنك لا تكذبين؟". على الرغم من أنني كنت أستطيع أن أرى جيدًا أنها لا تكذب، فأنا أعرف زوجي جيدًا، وأعرف من أي نوع هو. لقد خدعني منذ أول لحظة تزوجنا فيها، وربما قبل ذلك أيضًا، لكنني أحببت كتبه أو على الأقل كتابه الأول، وشعرت أنني في مكان عميق ما داخل الشخص الذي كتبه،

إذ لا يمكنك كتابة مثل هذه الأشياء الجميلة وأن صاحب قلب قبيح، ولكن هذه هي الحقيقة؛ لقد كان كاتبًا جميلًا وشخصًا فظيعًا.

وعلى الرغم من ذلك لا أستطيع أن ألوم دانيال على كل هذا. صرخت في وجه ماريان والاس. كانت في الثانية والعشرين من عمرها، لكنها بدت وكأنها طفلة. وقلت لها: "هل تعتقدين أنكِ أول وقحة تأتي إلى هنا، وتدّعي أنها أنجبت رضيعًا من دانيال؟".

اعتذرتْ، وبالغت في الاعتذار، وقالت: "معك حق، لا ينبغي أن تكون هذه الطفلة في حياة دانيال باريش". واستمرت باحترامه وقول اسمه مرفقًا بكنيته، وكانت من المعجبين به. وكررت: "لا ينبغي أن تكون الطفلة في حياة دانيال باريش. لن نزعجك مرة أخرى، أقسم بالله. نحن بحاجة إلى القليل من المال فقط للمضي قدمًا، وهو قال إنه سيساعدنا، لكن لا يمكنني العثور عليه".

هذا الأمر منطقي بالنسبة لي، فدانيال دائمًا يسافر كثيرًا، يزور كاتبًا في مدرسة في سويسرا، ويذهب برحلات إلى لوس أنجلوس لم تُسفر عن أي شيء أبدًا.

قلت لها: سأحاول الاتصال به ومعرفة ما يمكنني القيام به، إن كان سيعترف بأن قصتك صحيحة. لكنني كنت أعرف أنها صحيحة بالفعل يا لامبياز! قلت لها: إذا اعترف بأن قصتك صحيحة، فربما يمكننا القيام بشيء ما". أرادت الفتاة أن تعرف كيف يمكنها الاتصال بي، فأخبرتها أنني سأكون على تواصل معها.

تحدّثتُ مع دانيال في تلك الليلة هاتفيًا، وكان حديثًا شائقًا، ولم أُثِر قصة ماريان والاس، فقد كان متعاطفًا معي، وبدأ بوضع خطط لولادة طفلنا، قال: "حينما يأتي طفلنا، سأصبح رجلاً مختلفًا"، قلت له إنني سمعت ذلك من قبل. فقال: " أنا جاد"، وأردف: "سوف أسافر بدرجة أقل من الآن، وسأبقى في المنزل، وسأكتب أكثر، وسأعتني بك وبالبطاطس!". كان دائمًا حلو اللسان، وأردت أن أصدّق أن هذه هي الليلة التي سيتغير فيها كل شيء في زواجي، وقرّرت في ذلك الحين أن أحل مشكلة ماريان والاس وحدي، وأن أجد طريقة لإرضائها وإبعادها.

لطالما اعتقد الناس في هذه المدينة أن عائلتي لديها أموال كثيرة، كان لديّ أنا ونيك صناديق استئمانية صغيرة، لكنها لم تكن كثيرة، وقد استخدمت صندوقها الاستئمائي لشراء المتجر، واستخدمت صندوقي لشراء هذا المنزل، وما تبقى بحوزتي قضى عليه زوجي بسرعة. بيع كتابه الأول بشكل جيد، إلا أن الكتب التي بيعت فيما بعد كانت أقل من ذلك، وكان دائمًا يتمتع بتذوّق أنواع الشمبانيا المختلفة على الرغم من أن إيراداته متضاربة. أنا مدرِسة فحسب! كنت أبدو أنا ودانيال دائمًا أغنياء، لكننا كنا فقراء".

في أسفل التل ماتت أختي منذ أكثر من عام، وكان زوجها يشرب الخمور باستمرار، حتى بعد الموت، بدافع الالتزام بها، كنت أطمئن على فكري في بعض الليالي، وسمحت لنفسي بمسح القيء عن وجهه وسحبه إلى السرير. وفي إحدى الليالي دخلت ووجدته مغمى عليه كالمعتاد، وكتاب تيمورلنك موضوع على الطاولة، وأود أن أوضح لك

هنا أنني كنت معه في اليوم الذي وجد فيه كتّاب تيمورلنك، لكنه لم يعرض عليّ تقاسم المال على الإطلاق، على الرغم من أن ذلك كان هو المتوقع، وهو الشيء اللائق الذي يجب فعله، وعلى الرغم من أن ذاك الوغد البخيل ما كان ليبقى في ذلك العقار لولاي، لذا وضعت (فكري) على السرير، وخرجت إلى غرفة المعيشة لتنظيف الفوضى، ومسحت كل شيء، وآخر شيء فعلته، حتى من دون التفكير فيه حقًا، هو أنني وضعت الكتّاب في حقيبتي".

"في اليوم التالي، بحث الجميع عن تيمورلنك، لكنني كنت خارج المدينة، كنت في كامبريدج طوال اليوم، ذهبت إلى غرفة ماريان والاس في السكن ورميت الكتّاب على سريرها، وقلت لها: انظري، يمكنك بيع هذا الكتّاب، إنه يستحق الكثير من المال. نظرت إلى الكتّاب بريبة، وقالت: "هل في الأمر ما يريب؟"، فقلت لها: "لا، إنه لـ دانيال، ويريدك أن تحصلي عليه، لكن لا يمكنك أبدًا التصريح من أين جئت به. خذيه إلى دار المزاد أو إلى أحد تجار الكتب النادرة، وادّعي أنك عثرت عليه في صندوق كتب مستعملة في مكان ما". صمتت ماريان والاس مرة أخرى لبرهة، وأعتقد أن هذه ربما هي النهاية.

انحرف صوت إيسماي عن السياق.

"لكنه لم يكن على هذا الحال؟" سأل لامبياز.

"لا، لقد جاءت مع مايا إلى المنزل ومعها الكتّاب قبل عيد الميلاد مباشرة، وقالت إنها ذهبت إلى دور النشر كلها وإلى تاجر في منطقة

بوسطن، ولم يرغب أي منهم في شراء الكتّاب لأنه ليس أصليًا، وكان رجال الشرطة يقولون إن نسخة تيمورلنك مسروقة. أخرجت الكتّاب من حقيبتها وسلمتني إيّاه، فرميته في وجهها. هزت ماريان والاس رأسها وقالت: "ماذا سأفعل به؟". وقع الكتّاب على الأرض، والتقطته الطفلة وبدأت تقليبه، ولم يعرها أحد أي اهتمام. اغرورقت عيون ماريان والاس الكبيرة، وقالت: "هل قرأتِ كتّاب تيمورلنك، يا سيدة باريش؟ إنه كتّاب محزن للغاية". هززت رأسي: "فيه قصيدة عن هذا الفاتح التركي الذي يتاجر بحُبّ حياته؛ تلك الفلاحة المسكينة، من أجل السلطة". أدهشتني عيناها، وقلت: "هل هذا ما تعتقدين أنه يحدث هنا؟ هل تخيلت نفسك فتاة فلاحة مسكينة، وأنا الزوجة البذيئة التي تحرمك من حب حياتك؟".

"لا" قالت. عند هذه النقطة بكت الطفلة. قالت ماريان إن أسوأ ما في الأمر أنها كانت تعرف ما فعلته، فقد جاء دانيال إلى كليتها للقراءة، فأحبّت كتّابه، وعندما نامت معه قرأت سيرة مكررة مليون مرة، وعرفت جيدًا أنه متزوج. وقالت: "لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء". قلت لها: "لا أستطيع مساعدتك". هزّت رأسها والتقطت الطفلة، وقالت: "سنبتعد عن طريقك الآن... عيد ميلاد سعيد"، ثم غادرتا.

صُدِمتُ جدًا، لذلك ذهبت إلى المطبخ لأحضر لنفسي بعض الشاي، وعندما عدت إلى غرفة المعيشة لاحظت أن الفتاة الصغيرة تركت حقيبة ظهرها وكتّاب تيمورلنك على الأرض بجانبها، فالتقطت الكتّاب، وفكرت أنني سأذهب إلى شقة فكري غدًا أو بعد غد وأعيده

له، لكن عندما لاحظت أن الفتاة الصغيرة قد لوثته ورسمت عليه بألوانها! أغلقت سحّاب الحقيبة عليه، ووضعته في خزانة الملابس الخاصة بي، ولم أبذل جهدًا كبيراً في إخفائه. ظننت أن دانيال ربما يجده ويسألني عنه، لكنه لم يفعل ذلك أبدًا، ولم يهتم أبدًا. في تلك الليلة اتصل بي فكري وسألني عن الأشياء المناسبة لإطعام الأطفال. فوجئت من احتضانه لمايا في شقته، لكنني مضيت قدمًا.

"في اليوم التالي وُجِدت ماريان والاس ملقاة عند المنارة" قال لامبياز.

قالت إيسماي: "نعم، انتظرت لأعرف إن كان دانيال سيقول أي شيء، وما إذا كان سيتعرف إلى الفتاة ويعترف بالطفلة، لكنه لم يفعل ذلك. وأنا - الجبانة - لم أتفوه بكلمة.

احتضنها لامبياز بين ذراعيه: "لا شيء من هذا مهم الآن". وقال بعد برهة. "إذا كانت هناك جريمة...".

"كانت هناك جريمة" قالت إيسماي ذلك بإلحاح.

ويكرر قائلاً: "إن كانت هناك جريمة، فإن كل من يعرف عنها قد مات".

"باستثناء مايا".

قال لامبياز: "لقد تغيرت حياة مايا نحو الأفضل".

هزّت إيسماي رأسها وقالت: "لقد تغيرت، أليس كذلك؟".

يقول لامبياز: "من وجهة نظري أنت أنقذتِ حياة فكري عندما سرقتِ تلك المخطوطة".

"أي نوع من الشرطة أنت؟" سألته إيسماي.

"النوع القديم" قال.

الليلة التالية، ككلّ يوم أربعاء من كل شهر على مدى السنوات العشر الماضية، كانت ليلة اختيار نادي (تشيف) في آيلاند بوكس، في البداية شعر ضباط الشرطة بأنهم مضطرون للانضمام، لكن المجموعة حظيت بشعبية حقيقية على مر السنين، والآن موعد أكبر لقاء كتّاب تستضيفه الجزيرة. ما يزال ضباط الشرطة يشكلون الجزء الأكبر من الأعضاء، وكذلك زوجاتهم وحتى بعض أطفالهم الذين يحضرون عندما يكبرون. منذ سنوات اضطر إلى وضع سياسة سمّاها: "اترك سلاحك" بعد أن قام شرطي شاب بسحب بندقية على شرطي آخر خلال مناقشة ساخنة للغاية عن كتاب (بيت الرمال والضباب). بيّن لامبياز فيما بعد لـ فكري أن الاختيار كان خاطئًا، وقال: "كان له شخصية شرطي مثيرة للاهتمام، ولديه كثير من الغموض الأخلاقي في آن واحد. سألتزم بمواد أسهل من الآن فصاعدًا". بخلاف هذه الحادثة، كانت المجموعة خالية من العنف، وبصرف النظر عن محتوى الكتب طبعًا.

كما هي العادة، يصل لامبياز إلى المتجر في وقت مبكر للإعداد لخيار

تشيف، والتحدث مع فكري. قال لامبياز عندما دخل: "لقد رأيت هذا موضوعًا عند الباب". سلّم صديقه مغلفًا مُغْلقًا كُتِب عليه اسم فكري.

"ربما كتّاب آخر" قال فكري.

"لا تقل ذلك" مزح لامبياز: "يمكن أن يكون الشيء الكبير التالي هناك".

"نعم، أنا متأكد، ربما تكون الرواية الأمريكية العظمى، وسأضيفها إلى مجموعتي التي يجب أن أقرأها قبل توقف عمل المخ".

وضع فكري المغلف على طاولة المطبخ ولامبياز يراقبه. ثم قال لامبياز: "لا تعرف أبدًا".

"أنا أشبه بفتاة كانت في مشهد انتظار لموعد طال أمده، عانيت من خيبات أمل كثيرة، ومن الوعود المتكررة التي لم تحقق أبدًا. وأنت بوصفك شرطيًا، ألا يحصل معك شيء على هذا النحو؟".

"أي نحو؟".

"التشاؤم، على ما أظن" قال فكري: "ألم تصل إلى النقطة التي نتوقع فيها الأسوأ من الناس طوال الوقت؟".

يهز لامبياز رأسه: "لا، أرى أهلًا طيبين تمامًا مثلما أرى أشخاصًا سيئين".

"نعم، سمِّ لي بعضًا منهم".

"أناس مثلك يا صديقي" تنحنح لامبياز، وكان بمقدور فكري التفكير في أي رد. "ما الجيد في الجريمة التي لم أقرأها؟ أحتاج إلى بعض الخيارات الجديدة لاختيار تشيف".

مشى فكري نحو قسم كتب الجريمة، نظر إلى غلاف أحد الكتب، معظمه أسود وأحمر مع خطوط كبيرة فضيّة وبيضاء اللون. ظهر نور طارئ يكسر الرتابة. فكر فكري كيف يبدو كل شيء متشابهاً في نوع الجريمة، ولماذا يختلف كتاب ما عن كتاب آخر؟ ثم يصل إلى أنها مختلفة لأنها فعلاً كذلك. علينا أن نغوص في الأعماق كثيراً، ويجب أن نصدق، ونتفق على أن نشعر بخيبة الأمل في بعض الأحيان حتى يتسنى لنا أن نشعر بالبهجة بين الحين والآخر.

اختارَ كتابًا وأعطاه لصديقه، وقال: "ربما هذا؟".

---

(81) وجبة تتضمن لحم صدر البقر. (المترجم)

(82) روائي، وكاتب، وناقد فرنسي مشهور. (المترجم)

(83) يتحدث عن ذكريات الراوي في أثناء طفولته، وتجاربه في سن الرشد في فرنسا الأرستقراطية، مع التفكير في ضياع الوقت وعدم وجود معنى للعالم. (المترجم)

(84) لعبة من ألعاب الحظ والمقامرة. (المترجم)

عمّ نتكلم حين نتحدث عن الحب؟
ريموند كارفر / 1980

زوجان اثنان شربا حتى ثَمِلَا وانْتَشَيَا، ثم ناقشا ما الحبّ وما ليس حبًّا.

السؤال الذي فكّرتُ به كثيرًا هو سبب سهولة الكتابة عن الأشياء التي لا نحبها / نكرهها /، ونعترف بأنّها معيبة أكثر من الأشياء التي نحبها. *هذه هي قصتي القصيرة المفضلة يا مايا، ومع ذلك لا يمكنني أن أبدأ بإخبارك السبب.

(أنتِ وإميليا أعز الناس).

* هذا يمثل جزءًا كبيرًا من الإنترنت بطبيعة الحال.

فكري.

في آخر لحظة أُضيف إلى مزاد فترة ما بعد الظهيرة قرابة ألفين ومئتين كتاب، وهي فرصة نادرة لمُعجبي الكتب القديمة؛ تيمورلنك وقصائد أخرى لـ إدغار آلان بو. كُتبت عندما كان (بو) في الثامنة عشرة ونُسبت إلى (شخص من بوسطن). لم يُطبَع سِوى خمسين نسخة فقط آنذاكَ. سوف يكون كتاب تيمورلنك جوهرة التاج في أي مجموعة من الكتب النادرة المهمة. يظهر على غلاف هذه النسخة بعض

التآكل، وهو ملطخ بقلم تلوين. يجب ألّا يفسد الضرر بأي شكل من الأشكال جمال الكتاب، أو يقلل من قيمته وكونه كتابًا نادرًا، فهذا شيء لا يمكن المبالغة فيه، لذا دع العرض يبدأ بعشرين ألف دولار.

يُباع الكتاب بمبلغ اثنين وسبعين ألف دولار، وهو ما يزيد قليلاً على المدخرات بعد الرسوم والضرائب، وهذا المبلغ يكفي لتغطية تكاليف علاج فكري الإشعاعي في المرحلة الأولى.

حتى بعد استلام الشيك من (كريستي) (85)، كان لدى فكري تردد في مسألة إكمال العلاج، إذ ما يزال في حيرة من أمره، ويرى أنه من الأفضل أن تُنفق الأموال على تعليم مايا الجامعي. لكن مايا قالت: "أنا ذكيّة، وسأحصل على منحة دراسيّة، وسأكتب مقال القبول الأكثر حزنًا في العالم، سأكتب كيف تركتني والدتي يتيمة في متجر لبيع الكتب، وكيف عانى والدي الذي تبناني من أندر شكل من أشكال سرطان الدماغ، لكن انظروا إليّ الآن، سأصبح شخصيّة بارزة في المجتمع، وسيتهافت الناس عليها يا أبتي".

"هذا تعبير مرير للغاية يا طالبتي المُجِدّة" يضحك فكري للعملاقة التي ربّاها.

"لديّ أموال أيضًا" تصرّ الزوجة. خلاصة القول هي أن النساء في حياة فكري يرِدن منه أن يعيش، لذا قام بحجز موعد من أجل العملية الجراحية.

"الجلوس هنا يجعلني أفكر في المُزهر متأخرًا الذي كان في الحقيقة

مجموعة من فكاهة مبتذلة" قالت إميليا بمرارة، ثم وقفت منتصبة ومشت نحو النافذة: "هل تريد رفع الستائر أم إسدالها؟ برفعها نحصل على بقعة من الضوء الطبيعي، والمنظر الخلّاب لمستشفى الأطفال المطل على قارعة الطريق، أمّا بإسدالها فيمكنك التمتع بشحوبي المُميت تحت أضواء الفلورسنت. الأمر متروك لك".

"ارفعيها" قال فكري: "أريد أن أتذكرك في أفضل حالاتك".

"هل تتذكر عندما كتب فريدمان كيف لا يمكنك وصف غرفة المستشفى في الحقيقة؟ وكيف تكون غرفة المستشفى عندما يكون الشخص الذي تحبه فيها، مؤلمة جدا ولا يمكن وصفها أو ما شابه هذا الهراء؟ كيف اعتقدنا أن هذا كان شاعريا؟ أشعر بالاشمئزاز. في هذه المرحلة من حياتي أنا مع كل الأشخاص الذين لا يريدون قراءة هذا الكتاب في المقام الأول. أنا مع مصمم الغلاف الذي وضع الأزهار والقدمين في المقدمة، لأنه يمكنك تماما وصف غرفة المستشفى بأكملها، إنها رمادية. الرسم هو أسوأ فن تراه على الإطلاق، مثل الأشياء التي رفضت من قبل فندق (هوليداي إن). كل شيء تنبعث منه رائحة أشبه بشخص يحاول التستر على رائحة تبول".

"لقد أحببتِ (المُزهر متأخرًا) يا إيمي".

لم تخبره بعد عن ليون فريدمان. قالت: "لكنني لا أريد أن أكون في بعض الصور الغبية منها عندما أكون في الأربعينات من عمري".

"هل تعتقدين أنه ينبغي عليّ إجراء هذه الجراحة حقًا؟".

تُحرّك إميليا عينيها، وتقول: "أجل، أولًا: ستُجرى في غضون عشرين دقيقة، لذلك وإن غيرنا رأينا لن نتمكن من استرداد أموالنا. ثانيًا: لقد حلقوا رأسك، وأصبحت تبدو وكأنك إرهابي! ولا أرى داعيًا للتراجع الآن".

يسأل إميليا: "هل تستحق الجراحة كل هذا المال للعيش لعامين آخرين، ومن المرجح أن يكونا كريهين؟".

تقول وهي تمسك بيده: "نعم تستحق".

"أتذكر امرأة أخبرتني بأهمية الإحساس المشترك، كما أتذكّر امرأة قالت إنها انفصلت عن بطل أمريكي بحسن نية لأنهما لم يجْرِيا محادثة جيدة. من الممكن أن يحدث لنا هذا أيضًا" قال فكري.

"هذا وضع مختلف تمامًا" قالت إميليا بحزم. بعد لحظة صرخت: "اللعنة!"، ظن فكري أنّ شيئًا خطيرًا حدث لأن إميليا لا تسب أبدًا.

- "ما هذا؟".

- "حسنًا، الأمر هو أنني أحب عقلك".

يضحك لها وهي تبكي قليلًا.

- "أوه، لا تبكي... لا أحب شعور الشفقة".

- "أنا لا أبكي من أجلك، بل من أجلي. هل تعرف كم من الوقت

استغرقت كي أعثر عليك؟ هل تعرف كم عدد المواعيد النكراء التي مررت بها؟ لا أستطيع ذلك..." تلهث وتكمل: "لا يمكنني الانضمام إلى موقع (ماتش) (86) مرة أخرى... لا أستطيع ذلك".

- "بيغ بيرد (87) نتطلع دائمًا إلى الأمام".

- "بيغ بيرد! ماذا...؟ لا يمكنك نعتي بهذا اللقب في هذه المرحلة من علاقتنا!".

- " قصدتُ أنّك ستُقابلين شخصًا ما".

- "اللعنة عليك... أنا أحبك... أنا معتادة عليك.... وأنت الوحيد والأوحد عندي أيّها الأحمق... لا أستطيع مقابلة شخص جديد".

يقبّلها ثم تمد يدها تحت شرشف المستشفى بين ساقيه وتعصر، وتقول: "أحب ممارسة الحب معك". وتساءلت قائلة: "إذا أصبحت شخصًا أبلهَ، فهل يمكنني ممارسة الحب معك؟".

- "بالتأكيد" قال فكري.

- "وأنت لن تفكر أقل مني؟".

- "لا". يصمت، ثم يردف: "لستُ متأكّدًا من أنّني أشعر بالراحة إزاء الوقت الذي استغرقته هذه المحادثة" قال.

- "لقد عرفتني قبل أربع سنوات من طلب مواعدتي".

- "صحيح".

- "لقد كنت قاسياً جدًا معي في اليوم الذي التقينا فيه".

- "صحيح أيضًا".

- "لقد انتهى أمري، كيف يمكنني أن أجد شخصًا آخر؟".

- "يبدو أنك لستِ مهتمة اهتمامًا كبيرًا بدماغي!".

- "أنت تعاني من مشكلة كبيرة في دماغك، وكلانا يعرف ذلك. لكن ماذا عني أنا".

- "مسكينة يا إيمي".

- "نعم، قبل أن أصبح زوجة بائع الكتب كانت حياتي بائسة بما فيه الكفاية، وقريبًا سأكون أرملة بائع الكتب".

قبّلت أنحاء رأسه المعطل كلّه: "لقد أحببت هذا الدماغ. أنا أحب هذا الدماغ! إنه دماغ رائع".

- "أنا كذلك" قال.

أتى المرافق كي ينقله على كرسي متحرك.

- "أنا أحبك" قالت بلا مبالاة. "أريد أن أقول لك أشياء أكثر ذكاء

من ذلك، لكن هذا كل ما أعرفه".

• • •

عندما استيقظ، وجد الكلمات أكثر أو أقل هناك. استغرق بعض الوقت للعثور على بعضها، لكنها هناك.

دمُ.

مسكن للألم.

إقياء.

دلو.

بواسير.

إسهال.

ماء.

بثور.

حفاضات.

جليد.

بعد العملية الجراحية وُضِعَ فكري في جناح معزول في المستشفى، وبقي لمدة شهر من أجل العلاج الإشعاعي. كان نظام المناعة لديه مهددًا بالأذية من الإشعاع، لدرجة أنّه لا يُسمَح لأيّ زائر بالدخول إليه. إنها العزلة الأكثر وضوحًا وإيلامًا على الإطلاق، بما في ذلك الفترة التي تلت وفاة نيك. يتمنى لو كان ثملًا، لكن بطنه تعرّض للإشعاع لذا لا يستطيع أن يشرب. هذا ما كانت عليه الحياة قبل مايا وقبل إميليا. لا يوجد لكل امرئ جزيرة خاصة به، وبشكل آخر جزيرة المرء الخاصة به ليست على النحو الأمثل.

عندما لا يكون نائمًا، ولا متوترًا، وليس في حالة معاناة من الإقياء يمكن له الحصول على القارئ الإلكتروني الذي أهدته له والدته في عيد الميلاد الماضي. (تعد الممرضات القارئ الإلكتروني أكثر صحة من أي كتاب ورقي، فيقول ساخرًا: "عليهنّ وضعه على الطاولة"). ويجد أنه لا يستطيع البقاء مستيقظًا لقراءة رواية كاملة، فالأفضل له هو قراءة القصص القصيرة. لطالما فضّل القصص القصيرة على أيّة حال. في أثناء قراءته وجد أنه يريد إعداد قائمة جديدة من القصص القصيرة لمايا، فهي ستكون كاتبة كما يرى ويتوقع. لم يكن كاتبًا، لكنْ لديه أفكار حول هذه المهنة، ويريدها أن تتعلمها. {مايا، الروايات لها سحرها بالتأكيد، لكن النوع الأكثر أناقة في عالم النثر هو القصة القصيرة. أتقني القصة القصيرة وستتقنين كل شيء في العالم}. يفكر قبل أن يخلد للنوم: {يجب أن أدوّن هذا}. يمد يده إلى قلم، لكن لا يوجد أي قلم في أي مكان بالقرب من وعاء المرحاض الذي يستريح قبالته.

في نهاية العلاج الإشعاعي وجد طبيب الأورام أن الورم لم ينحسر ولم ينم، فأعطى (فكري) سنة، وقال بصوت فاجأ فكري: "حديثك وكل شيء آخر على الأرجح سوف يتدهور". وبعكس المتوقع كان مبتهجا وسعيدا بالعودة إلى المنزل، بغض النظر عما قاله الطبيب.

---

(85) شركة عامة للأوراق المالية. (المترجم)

(86) موقع للتعارف والزواج. (المترجم)

(87) لقب سابق لإميليا. (المترجم)

بائع الكتب
روالد دال / 1986

كتاب ماتع عن بائع كتب بطريقة غير معتادة لابتزاز الزبائن والحصول على أموالهم. من حيث الشخصيات، فهي مجموعة (دال) المألوفة من الشخصيات المذهلة والانتهازية. أما فيما يتعلق بالحبكة، فالالتفاف أتى متأخرًا وليس كافيًا لاستدراك عيوب القصة. إن كتاب (بائع الكتب) لا ينبغي أن يُدرج في هذه القائمة، فهو ليس عرضًا استثنائيًا من (دال) بأي شكل من الأشكال. وكذلك "حمل على المذبح"، ولكن هي هنا بكل الأحوال، أما كيف يمكنني إدراجها عندما أعرف أنها بدرجة عادية؟ فالجواب: والدك يتعلق بالشخصيّات، لذا لها معنى بالنسبة لي. وكلما طالت فترة القيام بذلك، أقصد بيع الكتب، اعتقدت أن هذا هو الهدف منه، لكنني أعيش أيضًا - إذا لم يكن ذلك عاطفيًا - بشكل سيئ للغاية).

اتصلي، يا عزيزتي المُجدّة. فقط اتصلي.

فكري.

الأمر بسيط للغاية كما يعتقد، يريد أن يقول: يا مايا لقد اكتشفتُ كل شيء، لكن دماغه يخونه.

الكلمات التي لا يمكنك العثور عليها، اقترضيها.

نحن نقرأ لنعلم أننا لسنا وحدنا، ونقرأ لأننا وحدنا، ونقرأ ونحن لسنا وحدنا.

إن حياتي في هذه الكتب -يريد أن يخبرها - اقرئي هذه الكتب وستعرفين ما في قلبي.

نحن لسنا محض روايات.

التشبيه الذي يبحث عنه تقريبًا موجود.

نحن لسنا محض قصص قصيرة، لكن في هذه المرحلة تبدو حياته أقرب إلى ذلك.

في النهاية نحن مجموعة أعمال.

لقد قرأ ما يكفي ليعلم أنه لا توجد مجموعات كتب قصصها كلها مثاليّة، فبعضها يصيب هدفه، وبعضها يُخطِئ. إن كنت محظوظًا، فستكون بارزًا. وفي النهاية لا يتذكر الناس فعلياً في أي حال من الأحوال البارزين فحسب، حتى وإن... فليس لفترة طويلة.

لا، ليس لفترة طويلة.

"أبي" تقول مايا.

يحاول معرفة ما تقوله الشفاه والأصوات، وماذا يمكن أن تعني؟

لحسن الحظ أنها كرّرت: "أبي".

نعم، يا بابا. بابا هو ما أنا عليه الآن. بابا هو ما أصبحت. والد مايا. أب، يا لها من كلمة. يا لها من كلمة كبيرة نوعًا ما. يا لها من كلمة ويا له من عالم! يبدأ بالبكاء. قلبه متفطر، وما من كلمات لإفراغ ألمه. يقول في نفسه: {أنا أعلم ما تفعله الكلمات، أن نشعر بشكل أقل}.

"لا يا أبي. من فضلك لا... إنك بخير".

تلف ذراعيها حوله.

أصبحت القراءة بالنسبة له صعبة، لكن إن حاول جاهدًا، فبإمكانه اجتياز قصة قصيرة، أمّا الروايات فمستحيلة. يمكنه الكتابة بسهولة أكثر من الكلام، مع أنها ليست بتلك السهولة، يكتب فقرة في اليوم لمايا ليس أكثر، لكن هذا ما بقي لتقديمه.

يريد أن يخبرها بشيء مهم للغاية.

- "هل تشعر بالألم؟".

يقول في نفسه: "لا". لا يوجد في المخ أجهزة استشعار للألم، لذا لا يمكن أن يتألم. أصبح فقدان عقله عملية خالية من الألم بشكل غريب، ويشعر أنه يجب أن يتألم أكثر.

"هل تشعر بالخوف؟" تسأله.

يقول في نفسه: {ليس من الموت، بل ممّا أنا فيه الآن؛ كل يوم هناك أشياء تنسلخ عني، اليوم أنا أفكار بلا كلمات، وغدا سأكون جسدًا بلا أفكار، وهكذا تسير الأمور. لكن يا مايا، أنتِ هنا الآن ولذا أنا سعيد بوجودي هنا، حتى بدون الكتب والكلمات، وحتى بدون عقلي. كيف بحق الجحيم أنطق بهذا؟ كيف يمكنني أن أبدأ؟

تحدق به مايا وتبكي.

"مايا"، يقول "لا يوجد سوى كلمة مهمة واحدة". ينظر إليها لمعرفة ما إذا كانت قد فهمت عليه فبدا جبينها مقطبًا، ما يعني أن فكرته لم تصل إليها. اللعنة! إن معظم ما يقوله هذه الأيام طلاسم. إن كان يريد أن يفهم، فمن الأفضل أن يوجز ردوده بكلمة واحدة، لكن للأسف بعض الأمور تستلزم أكثر من ذلك لتوضيحها.

سوف يحاول مرة أخرى. لن يتوقف أبدًا عن المحاولة.

"مايا، نحن ما نحب. نحن نحب".

هزّت مايا رأسها قائلة: "أبي، آسفة. لم أفهم".

"نحن لسنا الأشياء التي نجمعها، أو نكتسبها، أو نقرؤها. طالما نحن هنا، فنحن الحب فحسب. الأشياء التي أحببناها، الناس الذين أحببناهم، هذه هي الأشياء التي تبقى حيّة بالفعل".

ما تزال تهز رأسها قائلة: "لا أستطيع أن أفهمك يا أبي، أتمنى لو أستطيع. هل تريد مني أن أنادي إيمي؟ أم تودّ أن تحاول الكتابة؟".

بدأ بالتعرّق، فالمحادثة لم تعد سهلة ماتعة كما كانت، وقال في نفسه: "حسنًا، إن كان من الضروري أن تكون كلمة واحدة، فلتكن كذلك".

سألها آملًا أن يكون قد نطقها بشكل سليم: "ما الحب؟".

قطّبتْ حاجبيها وهي تحاول قراءة تعابير وجهه: "أتريد قفازات؟" سألته "هل يداك باردتان يا أبي؟".

هزّ رأسه موافقًا، فوضعت يديه في يديها. كانت يداه باردتين، والآن أصبحتا دافئتين، وقرر أنه أصبح قريبًا بما فيه الكفاية لهذا اليوم. غدًا، ربما، سوف يجد الكلمات.

• • •

السؤال الذي جال في أذهان الجميع في جنازة بائع الكتب؛ ما الذي سيحل بمتجر آيلاند بوكس؟ فالناس مرتبطون بمكتبته أكثر من ارتباطهم به، إذ لا يهم من وضع كتّاب السفر في الزمن في يد ابنتك البالغة من العمر اثني عشر عامًا، أو من باعك دليل السفر دعنا ننطلق إلى هاواي، أو الذين أصروا على أن عمتك ذات الأذواق الخاصة ستعشق بالتأكيد كتّاب سحابة أطلس، وعلاوة على ذلك، فهم أحبّوا (آيلاند بوكس). وعلى الرغم من أنهم ليسوا مخلصين إخلاصًا تامًا، ويشترون الكتب الإلكترونية في بعض الأحيان، ويتسوّقون عبر الإنترنت، إلا أنهم يحبون ما يقال عن (آيلاند بوكس)؛ فهي تحتل

مكانًا مناسبًا في وسط القطاع الرئيس في المدينة، وهي المكان الثاني أو الثالث الذي يقصده الناس المحليون أو الزائرون في مدينتهم بعد النزول من العبّارة.

اقتربوا من مايا وإميليا في الجنازة بكل احترام، وهمسوا: " لا يمكن لأحد أن يحل محل فكري على الإطلاق، ولكن هل ستبحثون عن شخص آخر ليدير المتجر؟".

إميليا لا تعرف ماذا ستفعل، فهي تحب جزيرة أليس، وتحب متجر (آيلاند بوكس)، إلّا أنّها لا تملك خبرة في إدارة محل لبيع الكتب. لطالما كانت تعمل في الأمور التي تخصّ الناشر، لكنها الآن بحاجة إلى راتب ثابت، وتأمين صحي مضمون، بعد أن أصبحت مسؤولة عن مايا، لذا تفكّر بترك المتجر مفتوحًا لكنها تريد توكيل شخص آخر يديره في أيام الأسبوع، إلا أن هذه الخطّة غير قابلة للتطبيق، فالتنقل شاق جدًا، والأفضل هو انتقالهما من الجزيرة انتقالًا تامًا.

بعد أسبوع من الكآبة والنوم المتقطع والتسارع الفكري، قررت إميليا إغلاق المتجر. مبنى المتجر والأرض التي أُقيم عليها اشتراها فكري وزوجته نيك منذ سنوات طويلة، والمبنى والأرض الآن يستحقان - بأقل تقدير- كثيرًا من المال. إميليا تحب (آيلاند بوكس)، لكنها لن تنجح في إدارته، لذا عرضته للبيع، وبقي شهرًا كاملًا من دون أي متقدم للشراء، لذا سيغلق (آيلاند بوكس) في نهاية الصيف.

"انتهت حقبته" قال لامبياز لـ إيسماي في أثناء وجبة بيض كانا يتناولانها على العشاء. انفطّر قلبه بسبب الأخبار، وخطط لمغادرة

أليس قريبًا. في الربيع المقبل سيكمل خمسة وعشرين عامًا في عمله في سلك الشرطة، ولديه مبلغ لا بأس به من المال المدخر. يتخيل نفسه وهو يشتري قاربًا ويعيش في (فلوريدا كيز)، مثل شخصية الشرطي المتقاعد في رواية إلمور ليونارد(88). حاول إقناع إيسماي بالمجيء معه، وجهد بذلك حتى بدأ يشعر أنه يرهقها، فقد عثرت مؤخرًا على أسباب للرفض، على الرغم من أنها واحدة من تلك المخلوقات الغريبة في نيو إنجلاند التي تحب فصل الشتاء.

"آمل أن يجدوا شخصًا آخر يدير المتجر، على الرغم من أن آيلاند بوكس لن يكون نفسه من دون فكري ومايا وإميليا... لن يبقى بالعبق نفسه".

"صحيح" قالت إيسماي: "يبدو لي الأمر باهتًا، ربما يحولونه إلى فوريفر21"(89).

"ماذا تقصدين بـ فوريفر21؟".

ضحكت إيسماي، وقالت: "ألا تعرفه؟ ألم ترَ إشارة إليه في إحدى روايات اليافعين التي كنت تقرؤها دائمًا؟".

"لا، روايات اليافعين ليست هكذا".

"إنه متجر لبيع الملابس. في الواقع، لابد أن نكون محظوظين جدًا. من المحتمل أن يحولوه إلى بنك". ترشف قهوتها، وتكمل: "أو إلى متجر لأدوات التجميل".

"ربما إلى فرعٍ لـ (عصير الجامبا) (90)" قال لامبياز: "أنا أحب عصير الجامبا".

بدأت إيسماي بالبكاء.

وقفت النادلة بجانب الطاولة، وأشار لامبياز إلى أنّه عليها رفع الأطباق، وقال: "أعرف كيف تشعرين، وأنا مثلك لا أحب ذلك يا إيسماي. سأقول لك شيئًا مضحكًا عني؛ أنا لم أكن أقرأ كثيرًا قبل أن ألتقي بـ فكري، وقبل المجيء إلى الجزيرة. عندما كنت طفلاً، ظن المعلمون أنني قارئ بطيء، لذلك لم أكن أتقن ذلك".

"إن قلت لطفل إنّه لا يحب القراءة، فسيصدقك" قالت إيسماي.

"حصلتُ على مستوى متوسط في اللغة الإنجليزية أيضًا. عندما تبنّى فكري مايا، كنت أرغب في الذهاب إلى المتجر لأطمئنّ عليهما، لذلك كنتُ أقرأ ما يعطيني إيّاه، ثم بدأت أحب القراءة".

ازداد بكاء إيسماي أكثر.

"اتّضح أنني حقًا أحب المكتبات. أنت تعرفين أنني قابلت كثيرًا من الناس في مجال عملي، وتعرفين أنه يمر كثير من الناس عبر جزيرة أليس، لا سيما في فصل الصيف. كنت أشاهد الأفلام السينمائيّة في العطل، وقابلتُ موسيقيين وصحفيين أيضًا. لا يوجد أحد في العالم يشبه عشّاق الكتب، إنّها صفة النبلاء".

قالت إيسماي: "لا أطن أن الأمر بهذا القدر".

"لا أعرف يا إيسماي. أنا أخبرتك أنّ المكتبات تجذب النوع الصحيح من الناس الجيدين مثل فكري وإميليا، وأنا أعشق الحديث عن الكتب مع أشخاص يحبّون التحدث عن الكتب. أنا أحب الورق، ويعجبني كيف يبدو، وأحب الإحساس بالكتاب في حقيبة ظهري، وأحب الطريقة التي تنبعث منها رائحة كتاب جديد أيضًا".

قبّلته إيسماي، وقالت: "أنت أطرف شرطي قابلته على الإطلاق".

"أنا قلق بشأن ما ستكون عليه أليس إذا لم يكن هناك محل لبيع الكتب فيها" قال لامبياز وهو ينهي قهوته.

"وأنا كذلك".

اتّكأ لامبياز على الطاولة وقبّلها على خدها: "مهلًا، هذه فكرة مجنونة. ماذا لو، بدلاً من الذهاب إلى فلوريدا، نسيطر - أنا وأنت - على المكان؟".

" هذه فكرة مجنونة في ظل هذا الوضع الاقتصادي" قالت إيسماي.

"أجل، ربّما يبدو الأمر كذلك".

سألتهم النادلة إذا كانا يريدان الحلوى، فأجابت إيسماي إنها لا تريد أي شيء، لكن لامبياز يعرف أنّها ستشاركه دائمًا جزءًا صغيرًا من حلواه، فطلب قطعة من فطيرة الكرز وشَوْكَتين.

قال لامبياز: "لكن، ماذا لو فعلنا ذلك؟ لقد حصلت على مدّخرات جيدة، والمعاش التقاعدي على وشك الوصول، وكذلك أنت. وكان فكري قد قال إنّ الناس دائمًا في الصيف يشترون كثيرًا من الكتب".

"كل إنسان في هذه الأيام لديه قارئ إلكتروني يستخدمه في الصيف وغيره" تتابع إيسماي.

"صحيح" قال لامبياز. وقرّر إلغاء الموضوع.

كانا في منتصف تناول الفطيرة عندما قالت إيسماي: "يمكننا فتح مقهى أيضًا، ومن شأن ذلك أن يساعد على الأرجح في النهاية".

"نعم، اعتاد فكري التحدث عن ذلك في بعض الأحيان".

قالت إيسماي: "ونحوّل الطابق السفلي إلى قاعة مسرح، وبهذه الطريقة لا يضطر المؤلف إلى أن تكون حفلاته من أجل التوقيع أو القراءة في منتصف المتجر، وربما يستطيع الناس استئجاره كمسرح أو قاعة للاجتماعات في بعض الأحيان أيضا".

قال لامبياز: "ستكون خلفية المسرح رائعة".

قالت إيسماي: "هل أنت متأكد من أنك قادر على القيام بهذا؟ نحن لسنا صغارا. وماذا عن فصول الشتاء؟ ماذا عن ولاية فلوريدا؟".

"سنذهب إلى هناك في شيخوختنا، فنحن لم نكبر بعد!" قال لامبياز

بعد صمت: "لقد عشت في أليس طوال حياتي، وهي المكان الوحيد الذي عرفته على الإطلاق، كما أنها مكان جميل، وأفكر بالحفاظ عليها بهذه الطريقة. لا يعد المكان مكانًا من دون مكتبة يا إيسماي".

• • •

بعد بضع سنوات من بيع المتجر لـ إيسماي ولامبياز، قرّرت إميليا ترك دار نايتلي للنشر، فمايا سوف تتخرج في المدرسة الثانوية قريبًا، وهي تعبت من كثرة السفر. وجدت لها عملًا جديدًا؛ إذ صارت مشتري كتب لمتاجر عامة وكبيرة، تبيع بالمفرق خارج ولاية (مين). قبل أن تغادر فعلت كما فعل هارفي رودس، نشرت في حساباتها النشطة جميعها ملاحظات تفيد بأنّها تركت آيلاند بوكس لشخص آخر.

كتبت: {إن آيلاند بوكس صارت للمالكين الجديدين: إيسماي باريش (مُدرّسة سابقة في مدرسة)، ونيكولاس لامبياز (قائد شرطة سابق). لامبياز بائع يدوي استثنائي، لا سيما في مجال كتب الخيال الأدبي للجريمة، وروايات الشباب البالغين، ويمكن الاعتماد على باريش التي اعتادت إدارة ناد للدراما في المدرسة الثانوية، ويمكن التعويل على استضافة حدث لمؤلف ممتاز. يحتوي المتجر على مقهى ومسرح، وفيه شبكة إنترنت ممتازة. بُنِيَ هذا كلّه على الأساس المتين الذي أنشأه فكري؛ المالك الأصلي الذي وجّهت ذائقته كثيرًا من الناس نحو الأدب. ما يزال في المتجر كثير من كتب الخيال الأدبي، لكن المالكين الجديدين لن يطلبا ما لا يمكنهما بيعه. أحبّ آيلاند بوكس من كل قلبي، أنا لا أؤمن بالله، وليس لدي أي دين، لكن

هذا بالنسبة لي أقرب إلى الكنيسة حسب تجربتي في هذه الحياة، إنّه مكان مقدس. مع مكتبات من هذا القبيل أشعر بالثقة حين أقول إنّه سيكون هناك عمل في مجال الكتب لفترة طويلة جدًا.... إميليا لومان}.

شعرت إميليا بالحرج قليلاً من هذه الجمل الأخيرة، لذا حذفت كل شيء بعد: {لن يطلب المالكين ما لا يمكنهم بيعه}.

قرأ يعقوب غاردنر ملاحظاتها مرّة أخيرة: {... لن يطلب المالكان ما لا يمكنهما بيعه}. ثم أغلق هاتفه ونزل من العبّارة بخطى طويلة وهادفة. يعقوب، البالغ من العمر سبعة وعشرين عامًا، يحمل درجة الماجستير في الكتابة القصصية، ومستعد للعمل بنصف الأجر. لم يصدّق أنه حصل على هذه الوظيفة، وكان يفكر أن الأجر بالتأكيد سيكون أفضل. كان يحب الكتب، ويعتقد أنها أنقذت حياته، حتى إنه وشم اقتباسًا لـ (سي. إس لويس) الشهير على معصمه. تخيل أن تكون أحد هؤلاء الأشخاص الذين يتقاضون رواتبهم للحديث عن الأدب! إنه مستعدّ لفعل ذلك مجانًا ومن دون علم ناشره، لكنه يحتاج إلى المال، فالعيش في بوسطن ليس رخيصًا، وها هو اليوم يؤدي مهمة تدعم شغفه، وسيعمل بالقرب من الكتب التراثية، ومتون المسرحيات الهزلية التي تتحدث عن الشخصيات المنحطة أخلاقيًا! لكن هذا لا ينفي حقيقة أنه شخصية جيدة، يمشي وكأنه يُجري اتصالًا هاتفيًا مهمًا. ربما يكون مخطئًا في مسألة التبشير، لكنه في الحقيقة نشأ بوصفه (ماروني) (91)، وهذه قصّة أخرى.

آيلاند هي أول مكالمة هاتفية من مبيعات يعقوب، ولم يُطق صبرًا حتى يصل إلى هناك، كما لم يُطق صبرًا حتى يخبرهم بجميع الكتب العظيمة التي يحملها في حقيبة كتب نايتلي. لا بدّ أنّ الحقيبة تزن ما يقرب من خمسين رطلاً، بيد أنّ يعقوب يعمل ولا يشعر بذلك. حصلت نايتلي على قائمة مميزة بشكل ملحوظ هذا العام، وهو متأكد من أنّ وظيفته ستكون سهلة. لن يكون أمام القرّاء أي خيار سوى أن يحبوا هذه العناوين. المرأة الجميلة التي وظّفته اقترحت عليه أن يبدأ بمتجر آيلاند بوكس، فالمالك هناك يحب كتب الجريمة في الخيال الأدبي، والمفضل لدى يعقوب من القائمة هو ظهور لأول مرة لفتاة من (الأميش) اختفت في أثناء وجودها في (رام سيبرينغا)، وفي رأي يعقوب لا بدّ أن تكون قد حظيت بإعجاب عشاق الخيال الأدبي للجريمة جميعهم.

ما إنْ مرَّ يعقوب على عتبة المتجر الفيكتوري الأرجواني حتى عزفت موسيقا الريح أغنيتها المألوفة والمبحوحة الصوت، ولكن ليس بطريقة غير ودية، بل بصوت اتصال صادح: "مرحباً".

سار يعقوب في الممر التاريخي، وصافح رجلاً في منتصف العمر على السلم.

"سيد لامبياز، لقد جئت بكتاب لك!".

---

(88) روائي، وكاتب قصة قصيرة وسيناريو أمريكي، متخصص في قصص الجريمة

والإثارة، من أعماله الشهيرة (Out of Sight) (Hombre) (Swag) (Run Punch). (المترجم)

(89) متجر مشهور في أمريكا يهتم بالأشياء التي تخص شريحة اليافعين. (المترجم)

(90) شركة تنتج عصائر الفواكه والخضار المخلوطة، ومنتجات مماثلة، لها أكثر من ٨٠٠ فرع في جميع أنحاء العالم. (المترجم)

(91) مؤيد للكنيسة المارونية. (المترجم)

شكر وامتنان

لا يوجد وحيدو القرن، ولا جزيرة أليس، وأذواق فكري ليست بالضرورة أذواقي.

تحدّث لامبياز والسيدة الأولى مع فِكري بصيغ مختلفة عن عِبارة: "المدينة ليست مدينة من دون مكتبة". لا بد أن كليهما قد قرأا (الآلهة الأميركيّة) (92) لـ نيل غيمان (93).

حرَّرت كاثي بوريز هذا الكتاب بطريقة متقنة، ودقيقة. تمكنت بطريقة ما من تحسين حياتي كلها، وهنا تكمن قوة المحرر الفذ. شكراً للجميع في ألجونكوين، لا سيما كريج بوبيلارز، وإيما بوير، وآن وينسلو، وبرونسون هول، وديبرا لين، ولورين موسيلي، وإليزابيث شارلات، وإينا ستيرن، وجودي جرانت.

دوغلاس ستيوارت، وكيل أعمالي، وهو لاعب بوكر جيد، وأحياناً ساحر. سُخّرت هذه المهارات لمصلحة فِكري. شكراً لزملائه مادلين كلارك، وكيرستن هارتز، وسيلفيا مولنار أيضاً. ولأسباب عدّة ومتنوعة، أنا مدينة أيضاً لكلير سميث، وتمسين بيريمان، وجين فيويل، وستوارت جيلوارج، وأنجوس كيليك، وكيم هايلاند، وأنجالي سينغ، وكارولين ماكلر، وريش جرين.

والدي، ريتشارد زيفين، اشترى لي كتابي الأول بأجزائه كلها:

المنزل الصغير في البراري، وعندما أحببته أعرب لي عن تقديره وامتنانه أو نحو ذلك. خلال ساعات الغداء في العمل اعتادت أمي؛ إيران زيفين، أن تقودني إلى محل لبيع الكتب كي أتمكّن من الحصول على مؤلفي المفضل في أول يوم لتحريره. أعطاني جدّاي؛ أديل ومايرسوسمان، كتباً قيمة في كل مرة ألتقي فيها بهما. عرّفتني أستاذة اللغة الإنجليزية في الصف الحادي عشر؛ جوديث باينر، على الخيال الأدبي المعاصر عندما كنت في سن قابلة فيه للتأثر والتميز. كان هانز كانوسا أول قارئ لي، وأكثرهم صبراً منذ عقدين من الزمن. أما جانين أومالي، ولورين وين، وجوناثان بورنهام فهم محررو الكتب السبعة التي كتبتها قبل هذا الكتاب. كل هذه الأفعال وهؤلاء الأشخاص لهم الفضل في تطوير كاتبة.

بصفتي مندوبة مبيعات لفارار ستراوس جيروكس، قادني الاجتماعي مارك غيتس، الذي لم يعد معنا، إلى تشيكاجولاند في جولتي للكتّاب في عام 2007. أظن أنّني بدأت بتصور هذا الكتاب في ذلك الوقت. بعد عدة سنوات، أجابت فانيسا كرونين بلطف عن أسئلتي حول مكالمات المبيعات وتوقيت القوائم آخذة أخطائي بعين الاعتبار.

سأكون مقصّرة إن لم أعترف بالعديد من باعة الكتب، ومرافقي المؤلفين، وأمناء المكتبات، والمدرسين، والكتّاب، والمتطوعين في مهرجانات الكتب، وأناس آخرين في دور النشر التي استضافتني، وهؤلاء الذين تحدثوا معي في السنوات العشر منذ أن بعت روايتي الأولى. هذه المحادثات هي الأساس الذي بنيت عليه (آيلاند

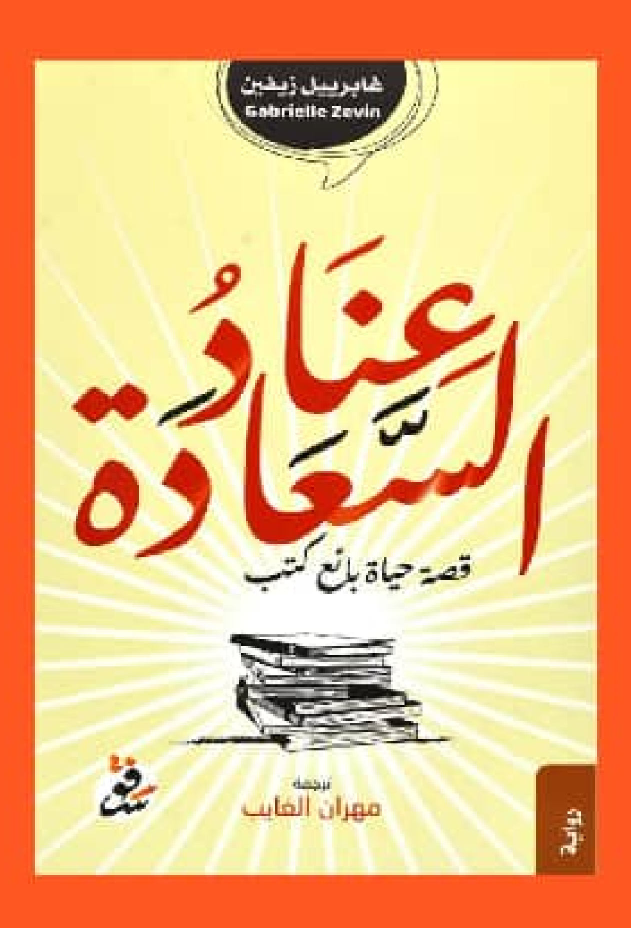
بوكس).

أخيرًا، أخذت حريتي فيما يتعلق بتصوير حديقة الأشجار الخضراء الزخرفيّة في بورتسموث في رود آيلاند. والصحيح هو أن الحديقة لا تفتح في فصل الشتاء، بل في الصيف، وستجد بالفعل وحيد القرن هناك.

---

(92) قِصّة عن قوة الإيمان وتطوره، وعن المهاجرين الذين ساعدوا في بناء الثقافة الأمريكية وتعريفها. (المترجم)

(93) كاتب بريطاني، يكتب الروايات، والقصص القصيرة، وكتبًا للأطفال. معروف بمجموعة من الأعمال، منها: (ساند مان) و(الآلهة الأميركيّة). (المترجم)


غابرييل زيفين
Gabrielle Zevin
عناد السعادة
قصة حياة بائع كتب
ترجمة
مهران الغايب
رواية